علي المصري



الشعر النبطي في حوران

الشِعرُ النَبْطِيُّ في حِوران

شعراءُ ونماذِج

عليّ المصري

الشِعر النَبْطِيّ في حوران

شعراءُ ونماذج

الجزء الأوّل

دراسة وتوثيق

بسم الله الرحمن الرحيم

- الشعر النبطي في حوران
- علي المصري
- الطبعة الأولى ١٩٩٦/٦ ألف نسخة
- القياس ١٧×٢٥
- لوحة الغلاف والرسوم الداخلية
الفنانة سميرة بشارة
- التنفيذ دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع

- خطوط الديوان - للخطاط عصام الجزري

المحتوى

الباب الثالث

دوحة الشعراء

١ - الشاعر محمود الزعبي .

٢ - الشاعر عازر غنيم بشاره .

٣ - الشاعر يوسف عويّد الصياصنة .

٤ - الشاعر أحمد عبد الرّحمٰن قداح .

٥ - الشاعر عبد الكريم الحمصي .

٦ - الشاعر هاجم عيازره .

٧ - الشاعر محمد العضيبن .

كلمة شكر

أتوجَّهُ بالشكر الجزيل للشاعر الرقيق...
محمود مفلح الزعبي «أبي منصور» ولأياديه البيضاء التي لولاها ما خَرجَ هذا السِفْرُ إلى عالَمِ النور وحيِّزِ القراءة.



محمود مفلح الزعبي « أبي منصور »

الشعر النبطي

مقدمة :

الشعرُ النبطيُّ - نَبَطَ الماءُ نبعَ ، ونبطَ البئرَ إذا حفرَها وابتدعها ، والاستنباطُ الاستخراجُ (١) - أو الشعرُ العاميُّ ، أو البداويُّ نسبةً إلى البداوة ، كما يحلو للبعض أن يُسمِّيَه ، كلّها أسماءٌ لمسمىً واحدٍ . إذْ لا يوجد أحدٌ منّا لا يعرفُه في الريف والقرى والبوادي والصحاري على امتداد الوطن العربي في آسيا ، من جبال طوروس والأناضول شمالاً ، إلى اليمن وعُمان جنوبًا ، ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر غربًا إلى شرقي الخليج العربي وجبال زاغروس وكردستان شرقًا .

هذا اللونُ من الشعر موجودٌ كحقيقةٍ واقعة ، شئنا أم أبينا ، بلهجته ولغته ونحوه ومقاصده ومعانيه وأغراضه ، يعرفُنا ونعرفُه إلى الحدِّ الذي يهدمُ حدودَ الكلفة ما بيننا ، ننشدُه في جلساتنا وحركاتنا ، ونُغنّيه على إيقاع الربابة في مجالسنا وسهراتنا ، نُحمِّلُه شيئاً من همومنا ومقاصدنا وحاجاتنا ، ونُضمِّنُه فروسيتنا وصبانا ، مفاخرنا وأمجادنا ، عشقنا وهوانا . وكلَّ ما يُثقِلُ أعماقنا من آمال ورغاب .

ظلَّ هذا اللونُ من الشعر ، على كثرته وغزارته ، على حاله دونَ أنْ تمسَّه يدُ العناية كغيره من الأشكال الأدبيّة الأخرى ، منذُ أقدم العصور الجاهلية حتى اليوم ، إلّا ما جاءَ عفوَ الخاطر . ظلَّ مُستوحشاً جافياً على نفوس البعض محافظاً على بداوته من حيثُ اللغةُ والصورُ والأوصافُ ، وهذا ما حدا بالبعض على تسميته بالشعرِ البدّاوي .

ولا نستطيع أن ننكر شيئاً بسيطاً من التطوّر الذي لحقَ بهذا الشعر نتيجةَ تحضُّرِ بعض شُعرائه، وسكناهم في الحواضر. فأسْلَسَ قِيادَه، ورقَّتْ حواشيه، واستوْنسَتْ لغتُه، واخضرَّتْ صورُه، وابتلّتْ جوانحُه. فأخذَ من ريح الحضارةِ روحاً ساعدته على الاستمرار، ومواكبةِ الحياةِ الاجتماعية.

هذه الأسبابُ وغيرُها دَعتنا للتّنادي لعقدِ ندوةٍ تجمعُ بعضَ المهتمّين بالأدب عامةً وبالشعر خاصةً، وبهذا اللون على وجه الخصوص، للبحثِ عن أسبابٍ للنهوض بهذا الشعر وتهذيبه، واستئناسهِ ليحمل همومَ العصرِ ومشكلاتهِ، وتحظى بالاهتمام كغيره من الأشكال الأدبيةِ الأخرى. وقد قيّضَ اللهُ لهذه الندوةِ أنْ تنعقدَ في مطلع آذار عام ١٩٩٥م في منزلِ الشاعرِ الرقيق محمود الزعبي في اليادوده، غربي درعا، ضمّت كلاً من الأدباء والشعراء: محمود مفلح الزعبي، وعازر غنيم البشارة، ويوسف عويد الصياصنة، وعبدالكريم الحمصي، ومحمد إبراهيم عياش، وأحمد قداح، وهاجم عيازرة وعبدالإله مفعلاني، ومنصور الزعبي، وعبدالسلام محاميد، وآخرين. برعاية راعي الندوة علي المصري الذي قدَّمَ لهذه الندوة ورقةَ عَمَلٍ تمّ بحثُها نقطةً نقطة، واتخذت توصياتٌ للنهوض بهذا الفنّ من فنون القول، أُرسلَتْ بعد التداول، إلى رئاسةِ اتحاد الكتاب العرب بدمشق، نرجو أنْ ننشرها في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إذ قدِّر لنا أنْ نُنجِزَ إصدار الجزء الثاني.

ولا نزعمُ لأنفسنا الريادةَ في هذا الموضوع، فقد سبقتْنا

محاولاتٌ باءت للأسف بالفشل والخذلان ، لأنّ القائمين عليها ليسوا من أهل الأدب المختصين ، فجمعوا أكثر الشعر في جوران من هذا اللون في ديوانين ، وبدلاً من توثيقهما لأصحابهما ونشرهما ، قاموا ببيعهما لمشايخ الخليج بعد أن نحلوها لأنفسهم وقبضوا ثمنها بخساً لا يُسمنُ ولا يُغني من جوع . نقولُ ذلك لكي ننتباه إلى مثل هؤلاء العوابث على الأدب والأدباء ، الذين باعوا ويبيعون هذه الأمة وتراثها في أسواق النخاسة وبأبخس الأثمان ، فهناكَ وبحدود علمي محاولاتٌ شبيهةٌ بتلك المحاولة البغيضة ، وإنْ كانت بأساليب مُغايرة ، تجري فصولُ مهزلتها على الساحة هذه الأيام .

طرائقه ، وأساليبُه معروفةٌ وتكادُ تكون مُقنّنَةً

١ - يبدأُ هذا الفنُّ مِنْ فنونِ الشعر بالتحيَّةِ والسلام على الحاضرين ، لأنَّه ما قيلَ ليُدوَّنَ ويُكتبَ ، بل ليُقالَ ويُنشَدَ . ثم يتَّجهُ الخطابُ للرفيق أو الصديق أو النديم الذي قلَّما تخلو قصيدةٌ منه . وقد يكونُ هذا النديمُ المخاطَبُ إنساناً ، أو حيواناً ، أو جماداً على أساليب التشخيص ، للبثِّ والنجوى ، وليُسرِّي بهذا عن نفسه وما يعتلجُ في خاطره ، فيشكو إليه النَّصَبَ والهجرَ والنوى ، وما يشغَلُ بالَهُ ويُغنِّي قلبَهُ من حبٍّ ، وما يعتملُ في نفسه من أشجان ، وما يدورُ في فكره من أحلام . وربَّما يكونُ ذلك جسراً ينتقلُ عليه إلى الحكمة وغيرها .

٢ - ثم يقتحم بابَ الحكمة والموعظة، فيلخّص الشاعرُ لنا تجربتَه الحياتية. ويرسمُ لنا صورةً عن عالمه الداخلي، وما يمورُ به خيالُه الخصبُ من صورٍ وتلاوين لتجربات الحياة. وما يحمله من تصوُّرٍ لقيمٍ يؤمنُ بها ويتبنّاها، ويتمنّى أنْ تظلّ ثابتةً في المجتمع حولَه، ماثلةً للعيان، تتعاورُها الأجيال.

٣ - ثم يُعرِّجُ الشاعرُ على موضوعِه الأصلي من القصيدة - بعد أن يكونَ مهَّدَ له ببيتٍ أو بيتين من الشعر ينتقل عليهما - كالمديح والفخر والرثاءِ والهجاءِ والغزلِ وغيرها من الفنون والأغراض التي تُشكِّلُ هاجسَ الشاعر... وكثيراً ما يُطيلُ الحديثَ في هذا الموضوع، فيُقلّبُهُ الشاعرُ يميناً وشمالاً، ويُفتِّقُ أبوابَ القولِ حولَه، حتى يوضِّحَهُ ويجلوَ معانيه، ويزيلَ اللَّبسَ عنه، هذا إذا كان الموضوعُ مناسباً والزمنُ مواتيةً.. وقد يقتصرُ القولَ ويختصرُ الكلامَ أحياناً، ويُعمّي طريقةَ العرضِ، ويُورِّي، ويُكنّي، ويغمزُ، ويهمزُ إذا كان الغرضُ أو الموضوعُ يتناولُ عيباً أو مثلباً أو خصلةً غيرَ مستحبَّةٍ لا يُريدُ الشاعرُ أن يفتضحَها ويفضَّ أستارَها، إذْ يربأُ الشاعرُ بنفسه أن ينطقَ بها أو أن يُصرِّحَ بها، كيلا يُسجِّلَ على نفسه شيئاً أو شيئاً لا يريدُه ويترفَّعُ عنه.

وقد حفظَ لنا هذا البابُ من القولِ صوراً خالدةً من تاريخ أهله وغزواتهم وحروبهم، كما حفظَ لنا صوراً من خفقِ أفئدتهم، وذوبِ قلوبهم التي «ابتحتها فيهم الحبُّ، وما يؤدّي إليه من وصلٍ أو هجرٍ، ومن سعادةٍ أو شقاءٍ، ومن لذَّةٍ أو غصَّة».

وكأنَّ الشاعرَ سِجلٌ لحياةِ قبيلتهِ، ومجمعٌ لمآثرها، ولسان حالها الذي يُعبِّرُ باسمها، ويذبُّ عنها، وينشرُ محامدها وفضائلها وقيمَها ومعادحَها على الناس، ويجلو أيَّامَها ومواقعهـا وانتصاراتها على الملأ[٤].

٤ - وربَّما سلَّى الشاعرُ نفسَه عن همومهِ بعد ذلك - إذا ارتابَ بعدم تحقُّقِ مسعاهُ - بجَسرةٍ ذَمولٍ تقطعُ الفيافي وتختصِرُ البوادي، يُطويه وقعُ مناسِمها على رمالِ الكثبانِ وهي تطوي المسافاتِ طيَّاً.. وربَّما عَنَّ على باله الصيدُ والقنَصُ: فيعرِضُ علينا آنئذٍ صُوراً لقطعانِ الظباءِ السوانحِ، يُطيلُ الحديثَ في وصفها ويخصُّ العنودَ منها، وكثيراً ما يعقدُ الصلةَ ما بينها وبين محبوبته التي خلَّفَها بعده على نارِ الجوى.. وربَّما.. وربَّما.. وربَّما..

٥ - ثم ينهي قصيدتَه بأبياتٍ من الحكمةِ تخصُّ موضوعَهُ، يُضمِّنها عصارةَ تجربتهِ وخلاصةَ القولِ الفصلِ فيها.. ولابُدَّ في كلِّ الأحوالِ بعد ذلكَ من بيتٍ أو بيتينِ أخيرينِ من الشعرِ يختمُ بهما قصيدتَه يتركُ بهما انطباعاً حسناً في نفوس سامعيه، وأثراً لا ينمَّحي وصولاً إلى غرضه، يُعرِّجُ بهما على حمدِ اللهِ وشكرِ خالقِ الأكوانِ ومدبِّرِ الحياةِ، ومن ثَمَّ الصلاةُ والسلامُ على نبيِّه المصطفى العدنان. وإلاَّ اعتبرتِ القصيدةُ بدونهما ناقصةً مرذولةً: مهما كانَ دينُ القائلِ ومذهبُه وعقيدتُه.

هذا هو المخطَّطُ العام لعمودِ هذا الفنِّ من فنونِ القولِ، مع بعض التفاوتِ بين قصيدةٍ وأخرى في بعض

الأحيان. تزيدُ أو تنقصُ تبعًا للنَّفَسِ الشعريِ ورغبة الشاعر.

لغةُ الشعرِ هذا

إذا قرأنا هذا الشعرَ نُحِسُّ للوهلةِ الأولى بخشونتِهِ وقسوتِهِ «وقد ننكرُ منه بعضَ ألفاظِهِ التي لا نألفُها.. غيرَ أننا لا نكادُ نجاوزُ عدمَ الإلفِ هذا، ولا نكادُ نخلّي بيننا وبينَ حاضرِنا الذي نعيشُ فيه، ولا نكادُ نخالطُ شعراءَه ونتعرّفُ إلى ألفاظِهم ومعانيهم.. لا نكادُ نفعلُ ذلكَ حتّى يبدو لنا هذا الشعرُ جميلاً يجتذبُنا إليه بعدَ أنْ كُنّا ننفرُ منه، ونقتربُ إليه بعد أنْ كُنّا نبتعدُ عنه.. ونحسُّ أنَّ النفوسَ التي صدرَ عنها نفوسٌ رقيقةٌ دقيقةٌ، تمتلكُ قدرًا غيرَ يسيرٍ من رهافةِ الإحساسِ وجمالِ الطبعِ، كما تمتلكُ مثلَ هذهِ القدرةِ في حُسنِ البيانِ وجمالِ الأداءِ».

ولغةُ هذا اللونِ من الشعرِ هيّنةٌ، ليّنةٌ، طيّعةٌ ليستْ مقيّدةً ولا مقنّنةً، لا تحكمُها قواعدُ ولا يضبطُها صرفٌ في كلِّ الأحوالِ. ويختارُ الشاعرُ من الألفاظِ والتراكيبِ العاميّةِ. وما يقاربُ الفصحى حينًا وما يُجافيها ويُجانِبُها في كثيرٍ من الأحيانِ، دونَ أنْ يُكلّفَ نفسهُ عناءَ البحثِ والتنقيبِ، ومساءَلةِ معاجمِ اللغةِ. فهي - أي اللغةُ - ليّنةٌ مطواعةٌ بينَ يديهِ كالصلصالِ أو العجينِ يصنعُ منها ما يشاءُ. ويصوغُ بها كلَّ ما يخطرُ على بالِهِ من بالٍ، دونَ أنْ يرهقَ نفسَهُ أو يُعني

ذاكرته بنحوٍ أو صرف. ويأخذ من الصيغ، ويستعمل من التراكيب ما يراه هو مناسبًا، وما يفكر فيه ويريده، دون حذوٍ يحذوه أو قاعدةٍ يتقفّاها.. وكثيرًا ما يبتدع من المعاني والألفاظ والتراكيب الجديدة كلّ الجدّة حسب مبتغاه، بل وربّما عبّر عن المعنى بلفظةٍ شبيهةٍ باللفظة الأصلية بطرفٍ قريبٍ أو بعيد، مع بقاءِ قرينةٍ تدلّ على المعنى الأصلي.

وربّما كان هذا اللون من الشعر أقدر الفنون الأدبية الأخرى على التعبير عن ما يختلج في النفوس ويحتمل من الأفكار. ويواجه من مسائل حياتيةٍ، لسببٍ مهم جدًا، وهو: أنّه يُكتَبُ باللغة التي نتكلّمها ذاتها، ونتخاطبُ بها، وهذه نقطةُ تفوّقٍ تُسجّلُ له.

فالكُتّابُ والشعراءُ العربُ يُعانونَ من انفصامِ شخصيّةِ اللغةِ التي يستعملونها، فهم يكتبون بلغةٍ، ويفكرون، ويخاطبونَ آباءَهم ونساءَهم وأبناءَهم وحبيباتِهم بلغةٍ أخرى، هذه الازدواجيةُ بينَ اللغةِ الدارجة المحكيّةِ اليومية، واللغةِ التي يكتبون بها، تشطُرُهم إلى نصفين، وتشوّه كثيرًا من المعاني التي تتحرّكُ في خواطرِهم وتتماوجُ في أخيلتهم عند محاولاتهم لتدوينها على الورق.

إملاؤه وتدوينه..

هنا تكمنُ المشكلةُ الرئيسيةُ في هذا الفنّ من فنون الأدبِ بالذات، وإليها يرجعُ سببُ تخلّفِه وجمودِه وعدم تطوّرِه،

ولحاقه بمختلف الأشكال الأدبية الأخرى. ألا وهي الحيرة أو الصعوبة في كتابة هذا اللون من ألوان القول وتدوينه.

ومجمل القضية يكمن في أن هذا الشعر نشأ في الزمن السحيق من الجاهلية الأولى قبل عصور التدوين، حيث كانت المشافهة هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعارف الإنسانية وتداولها، وهذا ما جعل تدوينه فيما بعد صعباً، لأن هذا التدوين يحتاج إلى قواعد وأصول غير متيسرة، وغير تلك المتعارف عليها في تدوين الفصحى، التي أتيح لها من قبل علماء اللغة طرائق صقلتها مع الزمن.. ولولا القرآن الكريم لما دونت اللغة العربية نفسها بالأصل، ولما استنبط لها من قواعد النحو والصرف والإملاء ما هو متعارف عليه اليوم ومتداول. بل ولظلت اللهجات الكثيرة سائدة على ما فيها من اختلاف بين الناس حتى يوم الناس هذا.. ولكن الله قيض لهذه اللغة أن ينزل القرآن الكريم بها، ليحفظها من العبث، وليمنحها قدرة فائقة على الاستمرار والنماء ويسخر لها من يخدمها ويرعاها حتى اليوم.

وجد هذا الشعر أول ما وجد ليحمل هموم الناس ويسجل حياتهم بخيرها وشرها، وذلك لسهولة حفظ الكلام الموزون وتناقله.. وكل الباحثين مجمعون على أن لغة الشعر سابقة للغة النثر بعصور متطاولة، نظراً لسهولة تناقله مشافهة. وهذا ما حدا سادة قريش وأعيان العرب أن يقفوا مبهوتين أمام لغة القرآن، فلا هو بالشعر،

ولا هو بالنثر، ولا هو بسجع الكُهّانِ. فما هو إذن؟

فكيفَ نُدوِّنُ اليومَ هذا الشعرَ ونُعليه؟

الخليلُ بن أحمد الفراهيدي، واجهَ المشكلةَ ذاتَها، عندما حاولَ أن يُدوِّنَ أوزانَ الشعر العربي وبحورَهُ. فقد وجدَ أنَّ هناكَ فرقاً كبيراً بين الإملاءِ الذي تواضعَ عليه أهلُ هذه اللغة قبلَه بِلُغتهم، وبين لفظِها أو أصواتِها التي مازالتْ على حالِها قبلَ التدوين وبعدَهُ، وهو بحاجةٍ إلى رسمِ هذهِ الأصوات، فماذا عليه أنْ يفعل؟

رأى أنَّ عليه أنْ يبدأ من الصِّفرِ. وبالفعل بدأ بفهم أسرارِ الأصواتِ في هذه اللغة، فألَّفَ معجمَ العين، لأنَّهُ اكتشفَ أنَّ اللغةَ مجموعةُ أصواتٍ مختلفةٍ تمامَ الاختلاف، تؤلِّفُ باجتماعِها أو بترابطِ أصواتِها مدرَجاً موسيقيًا يبدأُ بحروف الحلقِ وينتهي بالحروف الهوائية، فبدأ بتصنيف هذه الأصواتِ أو الحروفِ. فكانت على الشكلِ التالي:

- الحروفُ الحلقيةُ .. العين، والهاء، والحاء، والخاء والغين.
- الحروفُ اللهويةِ .. القاف، والكاف.
- الحروفُ الشجريةِ .. الجيم، والشين، والضاد. «والشجر مفرجُ الفم».
- الحروفُ الأسليةُ .. الصاد، والزاي «لأنَّ مبدأها من أسلةِ اللسان وهي طرفُهُ المستدقّ».
- الحروفُ النطعيةُ .. الطاء، والذال، والتاء «لأنَّ مبدأها نطعُ الغارِ الأعلى».

- الحروفُ اللثويةُ .. الظاء، والذال، والثاء « لأنّ مبدأها من اللِّثَةِ ».
- الحروفُ الذلقيةُ .. الراء، واللام، والنون.
- الحروفُ الشفويةُ .. الفاء، والباء، والميم .
- الحروفُ الهوائيةُ .. الواو، والألف، والياء.

ولأنّه ابتدأ مدرجَ الحروفِ أو الأصواتِ بالعينِ وهو أبعدُها داخل الحلق، سمّى كتابَهُ معجمَ العين، ورتّبه على هذا الأساس، فلم يُسبَق إلى ذلك، ولا لُحِقَ. فظلَّ السابقَ والمصلّي.

إذنْ، فهو لم يبدأ من الصفرِ بل ممّا دونَهُ، لأنّهُ وجدَ أمامَهُ لغةً كاملةً مكمّلةً مدوّنةً ليس هذا فحسب، بل وجدَ أمامَهُ جداراً عالياً يصعبُ اجتيازُه وتجاوزُه من القوانين والقواعد المقدسة، عليه والحالةُ هذه أنْ يبدأ ممّا هو دونَ الصفرِ، أنْ يجدَ أبجديةً تتناسبُ مع الموسيقى الصوتية التي تُشكِّلُ العمودَ الفقريَّ للنَّغمِ، لأساسِ الوزنِ من جهة. وبحجمِ حَناجرِنا من جهةٍ أخرى. «...».

لنْ أطيلَ البحث .. فقدْ اخترعَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيدي أبجديةً داخلَ الأبجديَّةِ تتناسبُ كتابتُها وإملاؤُها وفقاً لِمَا يصاحبُها من أصواتٍ على المدرج الموسيقي الذي رسمَهُ لهذه الأبجديَّة. وخلاصةُ ذلك: أن لا يكتبَ إلاّ الأصواتَ التي تُشكِّلُ المنطوقَ والمسموعَ، بصرف النظرِ عن قواعدِ الإملاء، وهو ما نُسمِّيه بالكتابةِ العروضيَّةِ حينما نُحاولُ أن نُقطِّعَ بيتاً من الشعرِ لمعرفةِ وزنه وبحرِه.

والآن .. هل نُدوِّنُ هذا الشعرَ بلغةٍ أو برسمٍ على طريقةِ الفراهيدي الخليل ؟

أم نُدوِّنُه برسمِ اللُّغةِ الفصحى ، وهو أمرٌ لا يستقيمُ معَنا ؟!

ومرةً أُخرى أيضًا ، لن نقفَ عاجزينَ عن الإجابةِ عن هذين السؤالين . وسنجتهدُ ، فإنْ أصبنَا فهذا توفيقٌ من العزيزِ القديرِ .. وإنْ أخطأنا فعذرُنا أنَّنا حاولنا بكلِّ الوسائلِ المُتاحةِ ، وأنَّ هذه هي مقدرتُنا المعارفيةُ ، وهذا جهدُ المُقلِّ .

سنُدوِّن هذا اللونَ من الشعرِ بطريقةٍ ، هي وسطٌ بين الطريقتين السابقتين .

سنكتبُه بحروفٍ تُحافظ على اللَّهجةِ الصوتيةِ لأداءِ هذا الشعرِ ، مع مُراعاةِ عدمِ الابتعاد عن طريقةِ رسمِ اللُّغةِ الفصحى ما أمْكنَ ذلك ، وستمرُّ بك شواهدُ كثيرةٌ على ذلك . وبناءً عليه رأينا أن نُرسمَ الديوانُ على أعيُنِنا ، فجاءَ بخطِّ اليدِ .. هذا ما استقرَّ عليه رأيُنا بعد أنْ كلَّفنا البحثُ وقتًا ليس باليسيرِ ، ولا يقاس بالشهورِ بل بالسنين .(٣)

وهكذا أرجو لهذا اللونِ من الشعرِ بأنواعِه المختلفةِ - النبطي ، الشروقي ، البدّاوي ، المربَّع ، الفنّ ، الهجيني ، الحدادي ، الجوفيَّة ، العامي ، شعر الربابه ... أن يجدَ بعدَ الآن طريقه إلى التدوين .

أقول هذا لأنَّني أشعرُ أنَّ السوادَ الأعظمَ منَّا ما زالوا ينامونَ على الجليد داخلَ المغاورِ والكهوفِ في حقولِ التخلُّفِ والاستسلام ، فتجمَّدتْ عقولُهم ويبستْ

ألسنتهم ، وبالتالي جفَّ نطقهم ، وتحجّرت لغتهم ، وماتوا قهرًا وغمًّا .. فقدْ آنَ الأوانُ لأنْ يخرجوا إلى أشعّةِ الشمسِ يتدفّأون بنارِها .

أيُّها الأخوةُ .. أرجو أنْ أنبِّه إلى أنَّ اهتمامَنا بهذا الشكلِ الأدبيِّ بلغتهِ العامّيّة ، ليس البديلَ بأيّةِ حالٍ من الأحوال للشعرِ باللغةِ الفصحى ، وليسَ على حسابهِ أبدًا ، ولا نشجِّعُ على سَيرورتهِ ، ولا نُريدُ أن تسوِّدَ العامية على اللغةِ الفصحى . فنحنُ نعتبرُ أيَّ شكلٍ من الأشكالِ الأدبيةِ لا يكتَبُ باللغةِ الفصحى ، شكلاً خارجًا عن نطاقِ اهتماماتِنا واختصاصنا ، فلا ندرّسهُ ولا ندرِّسهُ لا في مدارسنا ولا في جامعاتنا .. إنَّما انطلقْنا من موقعٍ أنَّ هذا الشعر موجودٌ على أرضِ الواقعِ منذُ القِدم ، في بلادنا الآسيوية قاطبةً ، وربَّما الأفريقية . وأنَّه ظلَّ على حالِه ، وما محاولتنا هذه إلاّ لتقريبِه من اللغةِ الفصحى ، وتوظيفهِ ليحملَ هُموم زمننا ومُعاناتنا ، وبعد :

أنا قاصرٌ عن بلوغ كلِّ فردٍ من الشعراءِ والفنانين في مواقعهم ، لأنَّني بطيءُ المَسعى ، وئيدُ الخُطى . لذا أتوجَّه إلى حاملي لواءِ الكلمةِ الصادقةِ المعبِّرةِ الحُرَّة ، والمهتمِّين بقضيّة الشعرِ والأدب والتراث والمحافظةِ عليه من الضَّياع ، ممَّنْ لم يصل صوتُنا إليهم ، إلى أن يُبادروا إلينا ، ونقولُ لهم : هلمُّوا نتحاورْ . نتشاورْ ، نتعلَّمْ من بعضِنا ، ننهض معًا ، ونخرج من أصدافِنا إلى ملاعبِ الشموس والرياح ، فقدْ تكلَّستْ مفاصلُنا ، وجفَّ ماءُ الحياة في عروقنا .. هلمُّوا نصنعْ

مستقبلنا بأيدينا.

أيُّها القارئُ العزيز!!

أقول: بعد أن اجتمعَ لديَّ هذا الكم من القصائد المختارة لكوكبةٍ من شعراءِ حوران مِمَّنْ التقيتُ بهم، عكفْتُ على دراستِها مُجدَّداً، واصطفيتُ منها ما اصطفيْتُ، وأكثرتُ من تلك الحواراتِ التي أدرْنَاها بينَ الشُّعراءِ، لقُربِ زمانِها منّا.

وقبل البدءِ بتدوينها، وجدتُ أمامي طريقتين:

الأولى... أن أقومَ بشرح الكلماتِ ذاتِ المعاني الصعبةِ في كل قصيدة على حدة، تسهيلاً للفهم.

الثانية... أو أنْ أقدِّمَ لمحًا لكلِّ قصيدةٍ من هذه القصائد، تلقي بعضَ الضوءِ على معانيها.

وبعدَ التداوُلِ، ومجاولةِ الرأي، اخترْتُ الطريقةَ الثانية، فقدَّمتُ لهذه القصائد بإضاءاتٍ تطولُ أوْ تقصُرُ، تبعًا لجوِّ القصيدةِ العام، وما تثيره من لواعجَ في النفس. وهذا ما فعلت؛

واخترْتُ قصيدتين اثنتين «إحداهما ردٌّ على الأخرى»، لأنَّهما تُمثِّلان نموذجًا واضحًا لعمودِ القصيدةِ في هذا اللونِ من الفنِّ الشعريِّ، مستوفيتينِ لمعظم الشروطِ الفنيَّةِ التي تحدثْتُ عنها في المقدمة، ودرستُهما دراسةً فنيةً كلاسيكيةً مدرسيةً للاحتذاءِ بها، والاستئناس بطرائقها للدارسين من بعدي، ركَّزْتُ في القصيدة الأولى على ظاهرةٍ أسلوبيةٍ عندَ الشاعر الغُصين وهي اهتمامه برسم أدقِّ التفاصيل الجماليةِ لدى موصوفاته، في حين ركَّزْتُ في قصيدة الزعبي محمود

على ظاهرة أسلوبية مُغايرة ، وهي قدرته على التحكّم بأساليب البلاغة العربية في الصياغة . ولا أدّعي أنني أحرزت قصب السبق ، وإنما جهد بذلته ، وخدمة قدّمتها

فإنْ شاقتكَ هذه الدراسة ، يا قارئي العزيز ، ونالتْ رضاكَ ، ووجدتَ فيها منفعةً وجديداً ، وأنّها أضاءتْ جانباً من جوانب حياتنا الثقافيّة والفكرية المهملتين ، فهذه غايتي .

وإنْ كانت الأخرى ، فهذه طاقتي ومقدرتي ، وحسبي أنّني حاولتُ . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى .

درعا ١ / ٦ / ١٩٩٦

علي المصري

(١) - مادة نبط في لسان العرب . ج ٧ / ٤١٠ ص . والصحاح للإمام الرازي مادة نبط ص (٦٤).

(٢) - سنحاول في الجزء الثاني أن نتوسع في موسيقى هذا الشعر التي هي الأساس للبحور الخليلية فمنها اغترف ، وعنها صدر .

(٣) - لقد راعينا في رسم القصائد كما جاء كل شاعر .

الباب الأول

دارة الشاعر محمود الزعبي أبي منصور الشعرية.

١- الفصل الأول : محمود الزعبي ومحمد الغضين

٢- الفصل الثاني : محمود الزعبي وعبد الرزاق الزعبي

٣- الفصل الثالث : محمود الزعبي وعازر غنيم بشارة

٤- الفصل الرابع : محمود الزعبي وعبد الكريم الحمصي

٥- الفصل الخامس : محمود الزعبي وأحمد عبد الرحمن قدّاح

٦- الفصل السادس : محمود الزعبي وعوض أبو عيد



الفصل الأول

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر محمد الغضين

١- قصيدة الشاعر محمد الغضين - إلى الشاعر محمود الزعبي :
« دَنِّيلي منَ الهجنْ مِهذابْ »

٢- ردّ الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر محمد الغضين :
« يا مرحَبْ بذُرٍ لَفاني بَالغيابْ »

١ - دَنِّيلي مِنَ الهِجِنْ مِهذابْ

شعر : محمد الخصين

« من الشاعر المبدع محمد الخصين - أبو جاسم - إلى الشيخ محمود مفلح الزعبي - أبو منصور - المحترم . »

١ - ياهِيهْ دَنِّيلي منَ الهَجِنْ مِهْذَابْ
حُرَّه أصيلَهْ مِنْ سَلايِلْ عَرِيبَهْ
٢ - أَسْرَعَ منَ اللِّي بالجَنَاحِينْ لَوَّابْ
تُودِعْ بعيدَاتِ المَسافَةْ قَرِيبَهْ
٣ - قُومْ اعْتَلِيهْ ياغْلامْ وَسْرِعْ بِمْشْعَابْ
وانْحَرا دَيْرْ أهلَ القْصُورِ الرَّحِيبَهْ (١)
٤ - تِلْفي اليَادُودَهْ دَارْ زَاكِينَ الِنْسَابْ
لَقْصُورْ أبو مَنْصُورْ حِتْ النَّجِيبَهْ
٥ - يْبادِيكْ أبو مَنْصُورْ بَاهْلاً وتِرْحَابْ
شُوقَ الهَنُوفَ اللِّي تْلُوحَ الذويبَهْ (٢)
٦ - مَحْمُودْ يامِشْكَايْ خَصَانْ الطْلاَبْ
يَالِيتْ فَكَّاكَ الامُورَ الصَّعِيبَهْ
٧ - ياخُويْ إقَلْبي مِنْ هَوىَ البيظْ مِنْصابْ
ومْصِيبْتي يا كُبْرَهْ مِنْ مصِيبَهْ !

٨ - مِنْ يُومْ كُنْتَ اغْلاَمْ لَمَّاصِرِتْ أَنَا شَابْ

وَاليُومْ رُوحِي مِنْ هَوانٍ تَعِيبَهْ

٩ - شَبَّنْ بقَلْبِي النَّارْ تِلْعَاتَ الِرْقَابْ

نَارَ الغَرَامَ اللِّي تْوَقَّدْ لَهِيبَهْ

١٠ - عَيِّيتْ أَرْدَعَهْ عَنْ هَواهِنْ وَلاَ تَابْ

مِتْوَلِّعِنْ كُلْ يُوم يِبْغِي حَبِيبَهْ

١١ - كِيفَ الصَّبْرْ وَالرايْ ؟ يَاعِزَّ الِصْحَابْ !

جِيتَكْ خَبِيرْ بمِثِلْ حَالِي طَبِيبَهْ

١٢ - هللِي رِمَانِي لَحِظْ عِينَهْ تْنَشَّابْ ؟

أَدْمَ الفُؤادْ بسَهِمْ رَمْيَهْ عَطِيبَهْ

١٣ - لِعْبَتْ بْقَلْبِي لِعِبَةَ الغُوشْ بالطَّابْ

زِينَ المَعَانِي وَالِوْصَافِ العَجِيبَهْ (٣)

١٤ - تَوَّهْ غَرِيرَهْ مَاتِشْقَا وَلاَ جَابْ

العُمُرْ خَمْسَتْ عَشَرْ، هَذِهْ حَسِينَهْ (٤)

١٥ - أَبُوقُرُونٍ فُوقَ المِتَانْ تِنْسَابْ

مِثِلَ الحْبَائِلْ اللِّي تِوارَدْ جَلِيبَهْ

١٦ - الوَجِهْ يِطْوِي بْلِيلِتْ بَدْرِهَا غَابْ

يِقَرِّهْ عَلَى نُورَهْ وِيِمْشِي خَطِيبَهْ

١٧ - العينْ عينَ اللِّي تنقّطْ بمرقابْ
أسمرْ هدبْها والحواجبْ رتليبَهْ
١٨ - المبْسمْ الموضّاحْ للرّوحْ نهّابْ
ادْقاقَ الشّفايفْ لُونْ دمّ الغضيبَهْ (٥)
١٩ - لَوْصحّ مصّ الشّفايفْ والرْضابْ
أخيرْ منْ خمْرَ المعتّقْ شربَهْ
٢٠ - العُنُقْ عنْقَ اللّي تجفّلْ بالهضابْ
إنْ طالعتْ معْ بدْوةِ الشّمسْ ريبَهْ
٢١ - والمدْلعَ المصْقولْ للحبّ محْرابْ
صُورةْ تبارَكْ والحمدْ ينقريبَهْ
٢٢ - ونهُودْ جلاّسنْ خدّرْ السلابْ
أحلى منْ شهْدَ المصفّى عذيبَهْ (٦)
٢٣ - ظامرْ حشا مسلوبتنْ تقُلْ سنْجابْ
جسْمَ لطيفْ وخالطَ الجسْمْ هيبَهْ
٢٤ - ماهي منَ اللّي تسبّغ الخدّ بخضابْ
زينَهْ عجيبَ الغشّ ما يقتنيبَهْ
٢٥ - حُبَّهْ لجا بالقلبْ للعقلْ سلاّبْ
عزّي لحيٍّ شافْها وما شقيبَهْ (٧)

٢٦- العَفو لله كِيفْ وَضّاحَ الِمنْسَابْ
يَاخُذَ الدّنْيَا بْسَاعَهْ وَجِيبَهْ
٢٧- وَخْتِمْ كَلامي بْحَمِدْ رَبَّ الِرْبَابْ
الوَاحَّدَ بْعِينَهْ عَلينَا رَقيبَهْ

محمد الغصين

١- مشعاب : عود أو خيزرانه تساق بها الدابة .
٢- الهنوف : الصبية الحسناء .
٣- لعبة الغوش بالطاب : لعبة كان الصبيان يلعبونها .
٤- توه : الآن هي فتيه غرة .
٥- الغضيبه : الذبيحة الفتية ، يكون دمها أحمر فاقعاً .
٦- السلاوب : الثياب والملابس التي تسلب حين الغزو .
٧- لحين : لأحد الأحياء .

دنّيلي مِنْ الهِجِنَ مِهْذَابْ

للشاعر: محمد الغُصين

الشاعر الموهوب محمد الغُصين أبو جاسم ، يبعث إلى صديقه الشاعر الرقيق محمود الزعبي أبي منصور بهذه القصيدة التي نستطيع أن نقولَ عنها إنّها نموذجٌ جيّد من نماذج الشعر النبطي في حوران ، والتي استكملت الشروط الفنية لعمود القصيدة من هذا اللون من الشعر كما أشرنا في المقدمة . وسندرسها وفقاً للطريقة الكلاسيكية المدرسيّة ، فنُقسّمها إلى الأقسام الرئيسية التالية :

أولاً .. وصف الركوبة التي توصله إلى الممدوح ، والتحيّة ، ويتضمّن الأبيات الثلاثة الأولى :

يبدأ الشاعرُ الغصين قصيدته بصيغة التجريد « أي يجُرِّد من خياله شخصاً يتوجّه إليه بالخطاب » وفقاً للأساليب العربية المتعارف عليها ، ولا يُسمِّيه هنا إنّما يُشير إليه بلفظة « ياهيهْ » وهي كلمة للنداء والتنبيه ، ويطلبُ منه أن يُعِدَّ له هَجيناً من الإبل السريعة الأصيلة من سلالات عربية عريقة « البيت الأول » .

تسابقُ به طيورَ السماء وصولاً إلى صديقه وممدوحه ، فتقرِّبُ المسافات ، وتُدني البعيد ، وتختصر الزمن « البيت الثاني » .

ثمّ يخاطبه في البيت الثالث بصفةٍ من صفاته هذه المرّة وهي كلمة « ياغلام » ويطلب منه أن يعتليَ متن تلك الناقة السريعة المهذاب ويتّجه بها إلى قصور الممدوح الرحبة وأهلها :

ياهيه !! دنيلي منَ الهجنْ مهذابْ	حُرّه أصيلة ، من سَلايلْ عريبَهْ
أَسرَعَ منَ اللّي بالجَناحِينْ لَوّابْ	تُودِعْ بَعيدات المسافَةْ قريبَهْ
قُومْ اعتَليهْ ياغلامْ وَسَرّع بِشعابْ	والحَرا دَيّرْ أَهَلَ القصورَ الرحيبَهْ

ثانياً .. الغرضُ الرئيسيّ من القصيدة ، وهو المديح .

يبدأ هذا القسم بالغرض الأوّل من القصيدة وهو المدح « وقد يكون للقصيدة أكثرُ من غرضٍ كما في هذا النصّ » وقد تمّ الانتقال إلى غرضه هذا على جسرٍ يتألّف من كلمةٍ واحدةٍ رشيقةٍ تفي بالغرض وتؤدّي مُقتضى الحال وهي كلمة « تلفي » أي تنزل ب ، تلقى ، تجد .

- فأين ينزل ؟

- ومن يلقى ؟

يلفي ... على البادودة ، حيث الممدوحُ محمودُ الزعبي وأهلُه ، وقصورُه المشرّعةُ أبوابها للوافدين من المحتفين والأضياف .

ويلقى ... ذوي الأحساب الكريمة ، والأعراق الطيّبة ، والنجباء من الناس . « البيت الرابع » .

ويطلب الشاعر محمدُ الغصين من رسوله « غلامه » أنْ يحُثّ النجيبة السريعةَ من الإبل إلى البادودة ، ليلقى هناك أبامنصور الذي سيستقبله بالتأهيل والترحيب والشوق الذي لا يُدانيه شوق من يُحبُّ إلى محبوبته الملهوفة بعد شَحْطِ النوى ، حين تستقبلُه بجمالها الأخّاذ وذوائبها التي تلوح على متنيها مراوحَ للشوق ، ولإطفاءِ لنار البعد . « البيت الخامس » .

ويُسبِغُ بعد ذلك على ممدوحه - الشاعر محمود - أجلّ الصفات التي يفتخر بها العربي ، كالكرم ، والجود ، والشجاعة ،

وإغاثة الملهوف ، وفكّ عُسرة المكروب ، وجبر عثرات الكرام بسلسلة من التشبيهات البارعة الخاطفة ، توكيداً للمعنى ، وإغراقاً في إلصاق السّمات بشاعره ، يبدأها باسم ممدوحه متبوعاً بلفظه « يا مِشكاي » المعبّرة عن عميق الثقة القائمة ما بينهما ، بقوله : « محمودْ يا مِشكاي — يحصان الطلاب — يا الميت — يا فكّاك الأمور الصعيبه » « البيت السادس »

كلّ ذلك بأبيات ثلاثة أخرى متعاقبة هي الرابع والخامس والسادس :

يِلْفي اليادودَهْ ، دار زَكِّين النْساب	لَقْصورَ أبو مَنصورْ ، حتّ النجيبَهْ
ببادِيكْ أبو مَنصور ، باهْلاً وترحاب	شوقَ الهنوف اللّي تلوحَ الذويبَهْ
محمود يامشكاي ، يحصانَ الطّلاب	يالميتْ ، نكّاكَ الأمورَ الصعيبَهْ

. . . أمَّا الغرضُ الثاني من القصيدة ، وهو الشكوى من الهوى ، ونارِ الجوى ، ووصفِ المحبوب . فيستغرق ذلك معظمَ أبيات القصيدة ، لأنّ الشاعرين من شعراء الغزل المعدودين ... فالشاعر أبو منصور لم ينظمْ إلاّ في فنّ الغزل ولم يتعدّاه إلى سواه في كل ما كتب وما أنشد ، منه يبدأ ، وإليه يعود ، فهو موردُه ومستراده ، اللّهمّ إلاّ قصيدةً واحدة رثى بها أخاه محمد مفلح الزعبي عميد أسرة آل الزعبي بحوران على مدى نصف قرن من الزمان ونيِّف .. فلا غرابة إذن إنْ وجدنا الغزل يستغرق عشرين بيتاً من أبيات القصيدة السبعة والعشرين ، وبقية الأغراض سبعة أبيات

يبدأ هذا الغرض الثاني من القصيدة — ونقول الثاني من حيث الترتيب ، بينما هو الغرض الأوّل من حيث الموضوع — بـ الاستغاثة ، وَبِمَنْ ؟ . . . . . . بأخيه الشاعر ، وكلمة « ياخوي » فيها من التصغير . . .

- والحميميّة ما يفوقُ أيّةِ صيغةٍ أخرى من صيغ الاستغاثة والندبة. إذنْ يستغيث بأخيه الشاعر محمود يشكو إليه بلوى قلبه الذي انعطب بهوى الحسان، الحسان البيض وتخطفته الكلوم، وحلّت به مصيبة كبيرة من مصائب الدهر، يقول:

ياخوي! قلبي من هوى البيض منصاب ومصيبتي، ياكبرة من مصيبه!

ويحدِّد لنا بالبيت الثامن تاريخ مصيبته ووقوعه في حبائل العشق، فكان ذلك منذ نعومة أظفاره حتى شبَّ، وشبَّ معه حبُّه وهواهُ، حتى استعبدَه هذا الحبُّ، وارتهن روحَه لديه، فلحقها الهوانُ المشينُ:

من كُنت اغلام، الماصيتي أناشابْ واليوم روحي من هوانٍ تعيبَه

ويتابعُ شكواه من هوى العذارى المليحات، ذوات الأعناق الطويلةِ، والترائب المتألِّقة كالظِّباء، فهنّ اللواتي استبْنَهُ، وأشعَلْنَ في قلبه نارَ الهوى، وزِدْنَ اضطرامَ نار الغرام شُبوبًا، ولهيبها توقُّداً قال:

شَبِّنْ بقلبي النار، تِلعاتَ الرقاب نارَ الغرامَ اللّي توَقَّدْ لهيبَهْ

وتستمرُّ شكوى الشاعر في البيت العاشر من قلبه الذي حاول أن يردعَهُ ويصدَّهُ عن هوى الجميلات فأعياهُ هذا القلب، وأمعنَ في عِناده وعشقه، وأبى قبولَ أيّةِ دعوى للتوبةِ والمتاب، بل زاد تعلّقه بحبهنَّ، وتمادى في عِشقهنَّ. ليس هذا فحسب، بل راح يبحثُ عن عشقِ أيِّ وجهٍ صبوحٍ، وعن أيّةِ مليحةٍ في كلِّ يوم ليهواها، ويذوبَ في غرامِها:

عيِّيتْ أردَعَه عن هواهِنْ، ولا تاب متولّعٍ كل يوم، يبغى حبيبه

من ضمن هذا كلِّه يتوجَّهُ بالسؤال إلى أخي منصور أعزِّ أصحابه

أن يُرشده إلى كيفيَّة تصبُّره ؟ وما هو الرأيُ السديدُ للصبر ؟ فمثلُكَ خبيرٌ بمثل حالي ، ومَنْ حالُه مثلي من الحيرة وعدم معرفة الصبر وكيف يتصبَّر ، فليس له إلاّ أنتَ طبيبًا مداويًا :

كيفَ الصبرُ والرأيُ؟ ياعزَّ الصحابِ!   حيثَكْ خبير بمثل حالي طبيبه

ثم يتساءل في البيت الثاني عشر ، على طريقة التساؤل الإنكاري ، عن سبب عِلّته ومُصابه فيقول : هَلْ رمتني ألحاظُ عينيها بسهام مُصمِيَةٍ ، فأصابت منه مَقتلاً ، وأدمتْ فؤادَه بسهامِ عينيها برميةٍ أعطبتْه وأقصدتْه :

هلْ رماني لَحِظْ عينه بنشّاب ؟   أدْمَ الفُؤادبسهم رميَةْ عطيبهْ

الغواني والمليحاتُ لا يؤتمنَّ أبدًا ، والغدرُ طبعٌ فيهنَّ ، فإنْ أوفينَ فهذا غيرُ طبعهنّ . وهذه الغادةُ الحسناء حبيبة الشاعر أبي جاسم ماخرجت عن القاعدة . فقد لعبتْ بقلبه ولَهَتْ به كلعبةِ الغوش بالطاب التي كان يلعبها صبيان القرية ، ورغم عبثها بقلبه ولعبها بمصيره إلاّ أنّها ماخرجت عن سَنَنِ الأدب الجمِّ ، فظلّتْ جميلةَ المعاني ، بديعة الصفات ، عجيبتها ، هذا مايقوله الشاعر :

لعبتْ بقلبي لعبةَ الغوش بالطّابْ   زينَ المعاني والوصاف العجيبه

يبدو أنَّ الشاعر أحسَّ بظلمه لغادته الحسناءَ ، وتجنِّيه عليها ، فأرادَ أن يُصلحَ الموقفَ ، ويخفِّف من وقع التهم التي ألصقها بها ، ويُسوِّغ لها لهوَها به ، وعبثَها بقلبه ، فسارع مردفاً : أنَّ من حقِّها أن تتيهَ بفتنتها ، وتغترَّ بجمالها وصباها وسنيِّها الخمسَ عشْرةَ ، ورعونتها المحبّبة ، فهي مازالت غِرَّةً بأساليب العشق ، ودروب الهوى ، لاتعرفُ معنى شقاء الحبِّ أو معاناته ، فحسبُها ذلك فهي مازالت مُبتدِئةً بحبِّها جاهلةً بأساليب الهوى :

تَوَّهْ غَرِيرِهْ ، ما تِشْقا ولا جاب　　　العمر خمست عشر ، هذه حسيبه

أمّا جدائلُها فتنسابُ على متنَيْها شلالاتٍ من العتمة ، كما تنسابُ حبالُ الدّلاءِ بأيدي الواردين والواردات على الآبارِ يستقون ، فهو يُكنّي بذلك عن طولِ جدائلِها وكثافةِ شعرِها :

أبو قرونٍ فوق المَتان تِنْساب　　　مثل الحبال اللّي تِوارِدْ جليبه

ووجهُها المشرق المضيء يُنوِّرُ الليل بجماله ووسامته ، فيستغني الليلُ بهذا الضّياء عن غياب بدر السَّماء إذا ما احتجزته الغيوم عن الرؤية ، أو تأخّرَ في السطوع ، ليس ذلك فحسب بل يُقِرُّه هذا البدر بنفسه على تفوّق ضياءِ ذلك الوجه الصبوح ، ويشهدُ له بخطبةٍ يُعلنُها ويردِّدُها أثناءَ مسيرته في علياءِ سمائه ، على الاشْهادِ من الخلائق ومسمعها ، فيقول :

الوجه يِطْوِي بليلتٍ بدرها غاب　　　يِقْرَهْ على نوره ، ويمشي خطيبه

والعينُ صافيةٌ حادةٌ قويةٌ قهّارةٌ كعينِ نَسْرٍ ، تكاد تفرّ من محجرها ترقّباً على ظهر جبل عالٍ ، لمرور فريسةٍ تغتالُها ، وممّا يزيدُها فتنةً أهدابُها السوداءُ ، وحواجبُها المزجّجة بأناقةٍ لا أحلى ولا أجمل :

العِينْ عينَ اللّي تِنَفَّضْ بمرقاب　　　أسمرْ هِدِبها ، والحواجب رتيبه

تلك عينُها ، أمّا فمُها المطيَّبُ الوضّاح ، فيبسمُ عن لآلئَ واضحةٍ مشرقةٍ ، يستبي اللُّبَّ وينتهبُ الروحَ بجماله الأخّاذ ، وبَسْمتِه السّاحرة . تُضفي عليه شفاهٌ رقيقةٌ حمراءُ صبيغةٌ رَوْنقاً وبهاءً ، تُشاكِهُ حمرتُها حمرةَ دمِ ناقةٍ فتيةٍ ، فتزيدُه جمالاً وسحراً ، يقول :

المَبسم الوضّاحْ ، للرّوح نهّاب　　　ادقاقَ الشفايفْ ، لون دمّ الضَّبيبَهْ

فلو ساعفَ الحظّ امرءًا، وصحّ مَصّهُ لِتلكَ الشفاه، وارتشافه لرُضابِ ذلك الفم المطيّب والمبسم الوضّاح، لكان أكرمَ وأفضل بكثير من طعم الخمرةِ المعتّقة لدى الشاربين والمجرّبين:

لو صحّ مصّ الشفايفْ والرضاب   أخير من خمر المعتق شربيه

إن تفاصيلَ جمالها الدقيقة تسترقّهُ، وروْعةُ مفاتنها تستعبدُه، فهذا عُنقها يَعلّقه بصورته الرائعة حتى صنفا فصورةٍ رائعة الأوصاف، إذا ما قورنت بعنق ظبيةٍ جَفولٍ على سفوح الهضاب، توقعُكَ بالحيرة فتستريبُ بناظريكَ إذا ما التمعت الشمسُ على صفحاتِ ذلك العنق، فتحتارُ أينَ مصدرُ الضياء! أصفحاتُ ذلك العنق، أم قرصُ الشمس المتلامع على ملامسة ذلك العنق.

العنق، عُنق اللي تحفّل بالهضاب   إن طالعت مع بَدْوةِ الشمس ربيه

ما زالت صورةُ العنق والمطلع تتلامح بين عيني الشاعر، وتسكنُ خاطرَه، وتحتلُّ عقلَه، على الرغم من أنه جاءَ في البيت التاسع على وصفه بجليل المعاني «شبّنْ بقلبي النار تلعاتَ الرقاب»، والتلعةُ في الأصل هي الهضبةُ المشرفةُ بين جبلين، كذلك عنقُها الأتلع يشرف عليك، فيجذب نظرَكَ إليه، كذلك عنقها المذهلُ الذي يَشدّهُ ذهنَكَ.. من هنا، من هذا الانشداه بقي شيءٌ من جمال هذا العنق يُوشّي خيالَ الشاعر، فأراد أن يوفيه حقَّه من الوصف، فشبّه طولَهُ وأناقته، واتّزان حركته الرائعة الساحرة بعنق ظبية جَفولٍ ترتعُ بين الهضاب، تُذهلكَ بروعة عنقها، فترتابُ بصحة ما ترى وحقيقة ما تشاهدُ إذا ما طلعت الشمس على صفحات هذا العنق المصقولِ، فالتمعت كالمرآةِ تبهرُ الأنظار، ولكن الوصف جاء دون مستوى جمال هذا العنق، وهو يريد أن يستنفذ صفحات جماله، فاستمر في وصفِ هذا العنق ليتّخذ من وصفه جسرًا يعبُرُ عليه الشاعر

إلى المدْلَع «جذع العنق» وصولاً إلى الصدر حيث المكنوز المخبوءة فيه، والثمار دانية على جنباته، وقد وصل بالمغل إليه، فإذا ذلك الصدرُ يستبيكَ بحُسنه وجلال روعته، فتذهل حتى عن نفسكَ، ولا تصحو إلا على صوتٍ يتلو وتلكَ لسورة تباركَ الذي بيده الملكُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير، الذي خلقَ سبعَ سماواتٍ طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ، فارجع البصر، هل ترى من فُطور؟ أرجو أن تمعِّن آياتِ هذه السورة كلّها، فربّما ساعدَكَ ذلك على التغلغُلَ في أسرار عَظَمةِ بديع صنع الله في ذلكَ الصدر الجميل، حيثُ لا تلبثُ أن تنثني وأنتَ ذاهلٌ أمامَ بديع هندسةِ صُنع الله وغرسه في جنان ذلك الصدر الوارفة فتردِّد سورة الحمدِ، تشكرُ له نعماءَهُ وأفضالَه، وما أفاءَهُ على عباده من قُطوفٍ دانياتٍ، وثمارٍ ناهداتٍ، وكواعب أترابا»..

ذلك كلّه تقرأه على أعتاب ذلك المطهر والمصهر على رخام صدرها:

والمدلَعَ المصقولُ للحبِّ محراب صورة تبارك والحمد ينقر بيه

لم تستكمل صورةُ الصدر ما تستحقُّه من جلاءٍ رغم ما قيل، وما يُمكنُ أن يُقال، وخشيَ الشاعر ألاّ يكونَ قد وفّى ظاهرة المكنوز المخبوءة في ذلكَ الصدر حقَّها من الوصف، فثنّى وثلّثَ وربّع بوصف النهدين الجالسين على ملاسةِ هذا الصدر، لسببٍ أو قصد يتلامح في ذهن الشاعر.

الأول جمالي: وذلكَ كنايةٌ عن الفتوّة والشباب في صاحبتيهما، فهما منتصبان متمرّدان على القميص.

والثاني معنوي شفّاف: هو طهارةُ هذين النهدين الصبيين، ولم يقل «ثديين»، لأنهما لم يُمَسّا بعدُ، ولن يجرؤَ مخلوق على

الاقتراب منهما.

وقد تأتّى لنا هذا المعنى من خلال تتمة الصورة «ونهود جُلاّسن» و«حدّ السلاب».

وحد السلاب: إمّا كناية عن الفارس الذي يقوم بتحقيق النصر وأخذ الأسلاب التي هي الثياب.

وإمّا تعني حدّة السيف الذي تحت ظلاله تُساق الأسلاب وتُوسق الغنائم. وكلاهما جليل المعنى، بارع الصفات.

ويبدو أنّ الشاعر أحسّ بتجهّم الصورة وارتساماتها في صدر البيت، وطبيعة الغزل لا تتناسب مع مثل هذا المشهد، ولا تحتمل ذلك، فانتقل بنا في عجز البيت إلى معنى رقيق، فوصف هذه النهود الصبيّة الصُلبة المنتصبة بإباء على ملاوسة ذلك الصدر تحرسها السيوف المشرفية: إنّها أحلى من الشهد المصفّى، والمذاق العذب:

ونهودُ جلاّسن، حدَّ السلاب أحلى من شهد المصفّا عذيبه

وبعد أن استنفذ الشاعر كلّ طاقات اللغة في وصف الجزئيات الدقيقة من جمال محبوبته. وهي ظاهرة أسلوبية سنراها تتكرّر عند الشاعر في معظم قصائده. بعد هذا التفصيل الدقيق ينتقل ليصف لنا جسمها اللطيف الذي يتثنّى برقّة، فهي ضامرة الحشا، رقيقة القوام، خفيفة اللحم، يُخالط ذلك كلّه هَيَفٌ وهَيْبَةٌ تفرضُ سيادة جمالها بجدارة، يقول:

ظامرْ حَشا مسلوبتن، ثِقل سجاب جسمَ لطيف، وخالطَ الجسم هيبه

هذه الزينة البانخة، وهذا الهَيَفُ النادر، وذاك الجمال الغضّ والنضارة الطازجة هي سماتٌ طبيعية وهبها لها الله، ←

وصقلتْها يدُ الطبيعة الخلاّقة المعطاء، فلا شوّهتْها الأصابعُ المستورَدةُ ولا خضّبتْها الحنّاءُ المحليّةُ، ولا الكحلُ المصنوعُ، أبدًا! هي زينةٌ طبيعية بسيطة زاهية لا غشّ فيها ولا تبرّج، ولا تدخّلت بتوظيبها مستحضرات «ماكسْ فاكتور، أو كوكو شانيل» يقول:

ماهي من اللّي تصبغ الخدّ خضاب زينةْ عجيب، الغِشّ ماتعتني به

لقد احتلّ حبُّها حنايا القلب، وأقامَ على شرفاته، وسلبَ العقلَ جمالُها الذي يستعصي على الوصف، أمّا إذا قُدِّرَ لكَ أن تصطلي بألقها، وتنبهرَ بضيائها، حينها لا أضمنُ ألاّ تشقى بهذا الجمال المسيطر:

حبّه لجا بالقلب، للعقل سلاّب عزّي لمَن شافها وماشقي به

وفي البيت السادس والعشرين وقبل الأخير، يبلغُ الشاعر قمّةَ الإعجاب فيستغفرُ ربّه سبحانه وتعالى، ويطلبُ منه العفوَ لعظمةِ ما صنعَ وما ابتدع، ويتعجّبُ من روعة صُنعِه، ودقّةِ خلقِه، إذْ كيف يستطيعُ جمالُ هذه المخلوقة أنْ يغتصبَ الدنيا خلالَ ساعةٍ واحدةٍ؟! وكيفَ بملاحتها الأخّاذة وثغرِها الوضّاح تسيطرُ على وجيب القلوبَ، فتكفُّ عن الخفقان؟! وكيف تتوقّفُ ساعةُ الزمنَ عن الدوران:

العفوُ لله، كيفْ وضّاح النّاب يأخُذ الدنيا بساعه وجيبه

ويختمُ الشاعرُ قصيدتَه بالبيت السابع والعشرين، بحمدِ الله ربّ الأرباب، الواحدِ الأحد القهّار الذي لا قبله ولا بعده، ويعينه على رعايتنا مالديه من رقيبٍ عتيد. وهي نهاية مرسومة متّفَقٌ عليها، حمدُ ربّ العالمين، أو الصلاةُ والسلام على سيّد المرسلين، يُنهي الشاعر فيها قصيدته مهما كان دينه أو مذهبه، أو طائفته، يقول:

واختم كلامي بحمد رب الرباب الواحد، بعينه علينا رقيبه

العاطفة ...

لقد بدت لنا عاطفة الشاعر أول ما بدت حارةً صادقةً، تضج بالشكوى، وتمتلئ بالمعاناة، تخفت أحياناً، ويزيد اشتعالها وتصخب أحياناً أخرى. وهي في كل الحالات عاطفة إعجاب وتقدير للجمال، تتهدّج أحياناً إلى درجة التفجّع والبكاء، ثم تعود فتهدأ من جديد. ومما يجعلها مؤثرةً، حرارتها الواضحة وصدقها الأكيد، لأنها تصدر عن عاشقٍ مدنفٍ أسقمه الهوى، واستلبته دقائق الجمال وتفاصيله.

الخيال ...

كان الخيال طابعاً مميزاً من طوابع النص، إذ لعب دوراً بارزاً في رسم الصور وتلوين المشاهد، وهو في كلا الحالين خيال خالقٌ مبدعٌ، استطاع أن ينقل لنا مدى التوتر العالي للحالة النفسية، والعالم الداخلي للشاعر، وينقل لنا وتائر التوتر الذهني لدى وصف التفاصيل الدقيقة للمحبوبة.

الأسلوب ...

تتبدى رشاقة الأسلوب بخفة ألفاظه التي جاءت معبّرةً عن المعاني التي وجدت لأجلها حيناً، وإلى معانٍ مجازيةٍ أحياناً أخرى. وقلما نفرت كلمةٌ أو نبت لفظةٌ في سياق النص، بل ظلت

رزينةً متقلةً بأحمالها من المعاني الظاهرة، والإيحائية المخبوءة أحياناً أخرى، تتكاثف مع بعضها لتشكّل جُملاً وتراكيبَ رائعةً صافية قصيرةً مشدودةً الوتائر معبرةً بعفويةٍ عن تلك العوالم المَوّارة المتحرّكة في أعماق الشاعر، وما تعاقبُ صفاتٍ عِدّةٍ لموصوفٍ واحدٍ إلاّ دلالة على المعاناة الفعلية التي تستنفدُ طاقةَ الشاعر، وعلى تمكّنه من مفردات اللغة وغزارة معرفته بها، من جهة، وتوازم بين الشكل والمضمون بصورةٍ رائعةٍ تدلّ على تمكّنٍ لناصية النظم والتأليف، وتطويع اللغة لمقتضى الحال ببراعة وسهولة كما يقول الجاحظ سيّدُ البيان والتبيين . أسعفَ ذلك بعضُ المحسِّنات البلاغية وما رافقها من تشبيهاتٍ وكنايات واستعارات أسبغْنَ سربالاً مفوّفاً لحواشي الأسلوب، وارتعاشات النغم التي كانت تعزفُ على أوتار النفس وتتغلغلُ في مساربها . هذه الموسيقى التي شكّلتها التراكيبُ المهندسة بذوقٍ رفيع وخبرةٍ عالية، فولّفت بين الموسيقى الداخلية لهشهسات الحروف مع الموسيقى الخارجية في رنّاتِ القوافي الخافياتِ على حركةِ «هاء» السكتِ الساكنة فيها .

لقد استطاعَ الشاعر محمد الخضين أن يرسُمَ في أذهاننا وعلى صفحاتِ قلوبنا عوالمَ تُشبه عالمَه الداخلي، نهتزُّ معه لدى كل نأمةٍ، ونجمدُ حين يُسمّرهُ الجمال ويدهشه، فيجعلُنا نُشاركه في تساؤله، أو تعجّبه، في ذهوله وفي صحوة، في سكرتِه وفي خدَره، فهذه درجة عالية من درجات التوصيل التي قلّما يبلغُها المتأدّبون إلاّ مَنْ أوتيَ من الأدبِ شيئاً كثيراً، فكنّا نفرحُ لفرحه، ونُدهشُ لدهشتِه، فنحلّقُ معه إلى قِنَنِ الجبال والخيال الشامخ، ونهبطُ معه إلى عالم الواقع المنغمسِ بالرغاب .

٢- يامرحب بدر لفالي بالغياب

شعر: محمود مفلح الزعبي

ردّ الشيخ محمود مفلح الزعبي على قصيدة الشاعر محمد الغصين.

١ - يامَرْحَبْ بدْر لِفالي بالغيابْ
مَخْطوطْ نَظْمَهْ لي تحِيَّهْ رَهيبَهْ

٢ - يَحْوي منْ وَصْفَ البْنَيَّاتْ ماطابْ
لي فنْ شاعرْ للغَوالي رَغيبَهْ

٣ - منَ الشَّيخْ أبو جاسِمْ لِفا اليومْ نجَّابْ
حامِلْ اوْصافَ البيظْ ، وشْفي أجيبَهْ

٤ - يالشَّيخْ يالْصمْصامْ، للرَّبعْ مِنْصابْ
زاكي الفرعْ ، ومْشَكَّلْ منْ صَليبَهْ

٥ - العَشِقْ يامحمَّدْ على الناسْ غلاّبْ
وَيا ما سْهرْنا وضاقْ بالنَّفسْ غيبَهْ!

٦ - يا ما قَضيتَ اللَّيلْ لي سَهلْ وشْعابْ
بِرْقَبْ عَنودٍ بالْهوى لِي تضيبَهْ

٧ - شَعْرَهْ عَدَّرْ، مِزِنَّهْ ، ونَاشْ الجعابْ
ياعُنقْ مُهْرَهْ يومْ ترخي سَبيبَهْ (١)

٨ - الحبّْ بِضْلوعي مْحَاوِر، وْنَشّابْ
شَفي بِنْتٍ عالنِّسا أحْتَظيبَهْ
٩ - ياهُولْ عيني جِفْنَها سِحرْ وِحْجَابْ
عَرجُونْ فِضَّةْ خِصْرَها بِالسكّيبَهْ
١٠ - يا عينْ خِشْفِنْ طالِعَ الزُّولْ مِرعَابْ
يِقْطِفْ زَمالِيجِنْ وْلِمَّهْ رَبِيبَهْ (٢)
١١ - وِبْريطِمِنْ حَامَارْ حبّاتْ عِنّابْ
وزَهْراتْ وَرْدِنْ وجَنْتَهْ لي غَبِيبَهْ
١٢ - يابَرْدْ رُوضِنْ صَافِيَ اللُّونْ بِسْحَابْ
أوْ رِزْ شامي سِنْهَا يِنْجَلِيبَهْ
١٣ - النحلْ من رِيقَهْ جَنَى الثَّمْرْ بِعْبَابْ
لَلْقَلْبْ يِمْحَمّدْ يِجْحَلْ نَصيبَهْ
١٤ - لَهْ لاَعْسِنْ لاشمسْ قِيظَنْ وَلاحْرَابْ
ويذبَحْ وَعِيّ الجُرحْ يِشْفي صَوِيبَهْ
١٥ - اللّي سَبَاني نِهِدْها، وِبْرِعْمَنْ قابْ
مَظْلُومْ لي سِجْنَهْ بِقِفْلِ وحَقِيبَهْ
١٦ - تِمْشي يِلَوّي خِصْرَها لِينَةَ الدّابْ
مِنْ جَنَّةَ الفِرْدُوسْ ماهي جَلِيبَهْ

١٧- تبني بيوت الحب ترزهي بالصلاب
ومرسوم فوق الصدر عقه وصليبه (٣)
١٨- ماشفت مثله بكل لباس العصاب
مع البدو، والحضر، وريام طيبه
١٩- ما يفكني من حبها كل عراب
ما ترافق المظهور وخده جنيبه (٤)
٢٠- أنا لحبه لي، مقيظ ومعزاب
ومصيت خمره مع توالي سربيه (٥)
٢١- تعطي لي الحبه، وتبخل بمطلاب
مملوحتن ياخوي ماهي غضيبه
٢٢- الدمع من عيني، من الحزن خاب
خوفي على غصنه يذبل قضيبه
٢٣- من دون شوقي ماظهر لي حجاب
وزادة هموم الحب ولا تنسربه (٦)
٢٤- مادام قلبك «يابوجاسم» مهوشاب
لا تخوفك بالراس ياخوي شيبه
٢٥- اقنص ازيام البيظ سكان الطناب
ولابد مايبنا علينا النصيبه

٢٦- لا تكونْ يمحمد مِنَ البيظ هَيَّابْ
انْ فرّ ظَبْيَ الصِّيدْ مابلَغْ تجّيبَهْ (٧)

٢٧- وصَلاةٌ ربّي عالنّبي كُلّ ما تَابْ
وماحَجْلَهْ رُكْبان ومِشْيت تجيبه

محمود مفلح المزعبي

١- ناش الجعاب : وصل إلى الكعبين .
٢- زماليجن : زهرة العشب . ولمه : إلى أمه .
٣- الصلاب : صلب الانسان . عمه : سورة عَمّ .
٤- المظهور : الظعن . الجنيبه : التي تسير لوحدها .
٥- سربه : راسب القهوة ، أو بقايا الكأس .
٦- ولا تسربه : لا يُسرع به إليها ، من السّروه : المسير مبكّراً .
٧- تجيبه : تلحق به تجلبه .

يا مرحب بدر لفاني بالغياب

الشاعر: محمود مفلح الزعبي

تصلُ قصيدةُ الشاعر محمد الخُصين أبي جاسم، إلى صديقه الشاعر محمود الزعبي أبي منصور عند الغياب، بأبياتها السبعة والعشرين.

والخصينُ من شعراء الطبقة الأولى في هذا اللون الشعري في حوران. ومحمودُ شاعر متفوّقٌ في فنّه لا يُدانيه شاعر آخر؛ لأنه تخصّص في فنٍ واحدٍ من فنون الشعر وهو الغزل، فقد مهّدَ طرائقه، وذلّلَ سبُلَه، ونشرَه على مساحة سهول حوران الفيح وروابيها المغمّسة بالندى، وجعل هذا الشعرَ ملكاً عامـًا مُتاحًا للجميع، ينعمُ كلُّ واحد بدفئه، ويستظلُّ بفيئه، حتى غدا كالشمس، كالماء، كالهواء، نعمةً للمتلهّفين على التمتّع بجمال الكلمة، ورقّةِ الغزل، وروعةِ الصورة، وروائح البدويات والحضريات وهُنَّ يطفُوْنَ على شفاه حروف قصائده.

وصلَتْهُ قصيدةُ الخُصين عند المساء.. ولحظتَها تدفّقَتْ ينابيعُ شاعريّتِه التي اهتاجَتْها معاني قصيدة صديقه بمبناها وعدّة أبياتها. فهو حريص أنْ يظلَّ السابقَ والمصليَّ في كل ميدان، فكيف والميدانُ ميدانُه، والحلبةُ ساحته ومُبتغاه؟! وبالفعل استنبطَ من موهبته قصيدة «عِدّةُ أبياتها سبعة وعشرون بيتًا مطابقة لعدد الأبيات الواردة عليه، دون زيادة ولا نقصان» لأنّه يحترم مُحاوِرَه ومادِحَه وصديقه أباجاسم.

يبدأ أبو منصور قصيدته بالترحيب بدُرَر المعاني التي وردته عند الغروب تحمل إليه خلاله أبياتها المتتابعة، تحيةً خاصة من صديقه الوفيّ الشاعر محمد الغصين، وقد اختار محمودُ لقصيدته وفقاً للعادة المتبَّعة، الوزنَ والقافيةَ نفسيهما اللذين جاءا في قصيدة الغصين، فقال:

يا مرحبَ بدُرٍ لفاني بالغياب   مخطوطْ نظمةْ بي تحيّةْ رهيبةْ

ويصف لنا بالبيت الثاني ما تحويه تلك القصيدة من كلِّ مُمتع وزكيٍّ من فنٍ شعريٍّ غزليٍّ، لشاعرٍ أُغرم بوصف الغواني الحسان، إذ اختار أطيبَ وأجملَ ما توصف به العذراوات وما يُرغِّبهُ فيهنَّ من الصفات:

تحوي من وَصْفَ البْنَيَّاتْ ما طَابْ   بي فَنْ شاعرٍ للغَواني رَغيبَةْ

ثم يشير بالبيت الثالث إلى مصدر الرسالة أو القصيدة صراحة، «الشيخ أبو جاسم» الذي لفى رسوله النجيب، إمعاناً بالاحترام، حاملاً من أوصاف البيض الجميلات، ما يدفع به بشوق لا يوصف للإجابة على تلك الأوصاف التي استثبَتْه، فيقول:

من الشّيخْ أبو جاسم لفا اليوم نجّابْ   حاملْ أوْصاف البيضْ، وشفّي أُجيبه

ويمدح صديقه الشاعر ببيت واحد جمعَ فيه كل المدائح التي يعتزُّ بها العرب، وهو الذي ما اعتاد امتداح الناس، لأنه هو المُمَدَّحُ دائماً من الآخرين، ولأنه ما مدح تكسُّباً بشعره، فقد أنعمَ الله عليه بالخير العميم ونزّهَه عن حاجة الآخرين الذين كانوا دائماً

بحاجة إليه ولمعروفه فيهم . ومع ذلك خلعَ على صديقه الشاعر
قيمًا مدحيةً عَهِدَها به ـ فوَسَمه بالزعامة « يا الشيخ » .

ـ وبالبسالة « يا الصمصام » .

ـ والوجاهة ومحط الأنظار والمكانة الرفيعة « للربع منصاب » .

ـ وطيب المنبت « زاكي الفرع » .

ـ وعراقة الأصل « ومشخّلن من صليبة » .

وكلّها قيم مدحيةٌ يراها الشاعر في نفسه ، ويحبّ أن يراها ويتبنّاها لدى الآخرين .. ومن نافلةِ القول أن نذكر أنّ محمودًا لم يعرّج على قيم مدحية أخرى لسببين :

ـ إمّا لأنّه يراها طبيعيةً لاحاجة لذكرها ، كالكرم ، والجود ، وغوث المستجيرين .

ـ أو ربّما ، أقولُ ربّما أراد أن تخصّ بها نفسه دون العالمين ، لذلك لم يعرّج عليها ، ولم يذكرها .

ـ وربّما نسيَها أو تناساها وهو أمرٌ بعيد . يقول :

يا الشيخ ، يا الصمصام ، للربع منصاب   زاكي الفرع ، ومشخّلنْ من صليبه

وقدّم في البيت الخامس ما حقّهُ التأخير ، وهو العِشق لأنّه مدار الحديث ، وصاغه بجملةٍ اسمية إنشائية ليجعلها لاتحتمل إلاّ التصديق ، ليؤكّدَ ما يريد أن يقوله ويقرّره ، ثم خاطب صديقه الشاعر الخُصين بياء النداء قبل اسمه ، والتي هي هنا أقرب للتنبيه في معناها ، ثم قدّم شبه الجملة « على الناس » على متعلّقها الخبر « غلاّب » وأخيرًا جاء بالخبر مبالغةً لاسم الفاعل ليدلّل بذلك على أن المبتدأ كثيرُ الحدوث وشِبهُ عام « العشق يا محمد

على الناس غلاّب».

لا أظنّ أن جملةً جاءت على هذا الترتيب قد أتت من فراغٍ أبدًا، فلها عند المختصّين من أهل الأدب تفسيراتٌ على غاية من الأهمية - لأنّها تكشف عن مقدرةٍ هائلةٍ على التأليف عند الشاعر.

- وعلى تضلّعٍ بأساليب القول وهندسته.

- وعلى تمكّنٍ من أسرار البلاغة العربية الأصلية.

- وعلى علمٍ وافٍ بالنحو والصرف في اللغة وأسرارها.

وإلاّ لما جاءت بهذه الصيغة، وعلى هذا التركيب، وهذه كتب البلاغة واللغةِ سائلوها إنْ كنتم لا تعلمون!!.

وبعد أن أكّد محمودٌ في صدر البيت الخامس الآنف الذكر مقولتَهُ التي تصدق على كافة الخلائق وقرّرها «العشق غلاّبٌ للخلائق كلِّها» انثنى في عجز البيت، فتطامَنَ وخفّف من غلوائه، فقال: مادام هو من الناس، إذنْ فهو مشمولٌ بأحكام تلك المقولة، إذن فهو مغلوبٌ بسلطة الهوى الغلاّب كالآخرين، فصرّح بذلك علانية. ولكنَّ نفسَه الأبيّة وكبرياءه الرفيعة، عبرتا عن نفسيهما دون أن يتقصَّدهما أو ينحوَ إليهما، فجاء التعبير عن مقولته «العشق غلاّب» بصيغة الجمع «ياماسهرنا» و«المنا» هنا ضميرٌ يدلُّ على الجمع كصيغة من صيغ اللغة... وأستغفرُ معارفكم أن أشيرَ على ما بها من كبرياء واعتزاز بالنفس لدى الشاعر الفنان.

وخلاصة القول في معنى البيت الخامس: مادامَ العشقُ قدرًا محتومًا على العباد، والشاعر منهم، فإن العشق أرّقَهُ، وأناخَ بكلكله عليه، فضيّق صدرَه وأنفاسَه، لعدم معرفته بحالة هذا الحبّ

وما ستؤول إليه :

العشق يا محمد على النّاس غلاّب   ويا ما سهرنا وضاق بالنفس غيبه!

تتداعى ذكريات محمود، في البيت السادس، فيسترجعها على شاشة ذاكرته موشّاةً بشيء ليس بالقليل من الحزن والأسى، موشّحةً بضباب العاطفة السخينة، والأسف الرقيق الحواشي، على ما مرَّ وتصرّم من أيّام .. فكم خوّض في سواد الليل، بين السهول والوديان والشعاب، وراءَ عَنودٍ عَنقاءَ من المليحات الحِسان التي تستحقُّ أن يُسعى إليها، ويرتضيها الحبّ ويتشهّاها الهوى :

يا ما قضيتَ الليل بي سَهلْ وشعاب   نرقبْ عَنود بالهوى نِرْ تَطليبَهْ

ما زالت تلوح في خياله بشلالات شعرها المسترسل على قوامها، فوق خصر ضاق الزنّار بدقّته ذرعاً، وتساحب حتى لامس الكعبين بذؤاباته الأثيثة الرخصة، فذكّره منظر شعرها المنساب هذا بشَعر مَعْرَفَةِ مُهرةٍ أصيلةٍ يتدلّى على عنقٍ يحاكي عنقها روعةً وجمالاً، فقال :

شعره تحدّر، مزنّره، وناشَ الجعاب   يا عُنق مهرة يوم ترخي سَبيبَهْ

إنّني أتشهّى احتضان بُنيَّةٍ اخترتُها من بين نساء الأرض، وارتضيتُ حبّها الذي يعتمل بين ضلوعي ويخترقها محاورَ من نارٍ، أو كسهامٍ مَريشة تُمزّق صدري، فيعاني من حبها ما يُعاني، فيصرخ من وجده :

الحب بضلوعي محاور، ونشّاب   شَفّي بنتْ عالنسا أحتظيبه

يستغيث الشاعر محمود ممّا يكابده من أهوال الحب، وما يُلاقيه من فتنة عينيها، وسحر جفنيها، فقد استضبته بسحرها وجمالها فبهرته وغشت عينه بأمر عظيم هو السحرُ الكامن في جفونها المرضى الصحاح، ونقابها الذي يخفي وراءه كلّ ذلك الجمال، ولتجرّدَ من تحته سيوف الفتنة والإغراء بقوامها السمهريّ المتأوّد كقضيبٍ من الفضّة المجلوّة، وبخصرها الدقيق الرقيق النحيل السبيك الذي قدّره ودوّره وصوّره خالقُه على مقدار:

يا هولَ عيني إن جفنها سحرٌ وحِجاب عرجونُ فضّة خصرَها بالسكيبة!

يبدو أنّ السحر كلّ السحر تركّز في عيني تلك الفاتنة، فعيناها الوسيعتان المكحلتان كعيني ظبيةٍ روّعها زوالُ صائدٍ فاتسعتا لذعرِهما، فراحتا تقطفان بمضاءِ جفنيهما عقولَ العباد، دون أن يرتابَ بهما مُريب فهي نحيفة رقيقة ربيبة أمّها:

يا عين خِشفٍ طالعَ الزول مرعاب يقطِفْ زما ليحنْ ولَمَهْ ربيبَهْ

ما زال الشاعر أبو منصور يُحدّد تفاصيل جمال تلك التي اختلبته جمالُها، فأوّلُ ما شدّهُ إليها جدائلُ شعرِها المنسابة حتى الكعبين، وخصرُها النحيلُ الذي ضاق الزنّارُ به ذرعًا، وعنقُها الذي يحاكي عنقَ مهرةٍ أصيلة، ثم شكا حبّها الذي يخترقه كالسهم المريش «نشّاب» ويُشعل محاورَ من النار بين ضلوعه، ثم تنتضي من سحر جفنيها ما يشدهُهُ ويذهله فيصبح مستغيثًا من هول ما يُلاقيه منهما. ومن فتنة عينين كعيني خِشفٍ ذعّرَهُ صيّادٌ فراح يقطف بسلاح عينيه أعمارَ العشّاق.. والآن تستتبيه

شفاهٌ شديدةُ الحمرةِ تُشابهُ ثغرَ العنّابِ نضارةً .. وخدودٌ غضّةٌ نديةٌ زاهيةٌ كأوراقِ وردٍ غِبَّ سماءٍ ماطرةٍ ، فيقول :

وبريطفن حامار حباتُ عنّاب ... وزهراتُ وردٍ وجنته لي غبيبه

ويتابعُ وصفَ تقاطيعِ جمالها فيشدّه جمالُ ثغرِها وبرودُه الذي يحاكي بتألّقهِ ووضاءته روضاً أُنفاً صافي الأديمِ غداةَ يومٍ غائمٍ ، وينجلي عن بَرودِ أسنانٍ عذبةٍ صغيرةٍ بيضاءَ ناصعةٍ كأنّها شامي أحسن جلوه وتنضيده ، فيقول :

يا برد روض صافي اللونْ بسحاب ... أو رزّ شامي سِنّها ينجليبهْ

فما دام يتحدّث عن جمال الثغر ، وبرود الأسنان ، فلا بُدّ أن يعرّجَ على وصف ريقها العذب من جنى النحل شهده ، أو قطراتُ شهدِ التمورِ على أمّاتها ، متمنياً على الله أن تكون هذه المتلاوين والصور البارعة الجمال من نصيب القلب الطامح ، متجهاً بالخطاب هنا إلى صديقه الشاعر محمد ، فيقول :

النحلْ من ريقهْ جنى التمرْ بعباب ... للقلبْ يا محمّد يجعل نصيبه

ويبدو أنَّ الثغرَ محطّةٌ راقَ له الوقوفُ عندها ، فيدّعي أن هذا الثغر قد سلبه راحته ونجده ، لكنّه في الوقت نفسه ظلّلهُ بنعيمه وأوصافه التي تُشبه نعيمَ الجنّةِ وأوصافها ، وأشدّ ما خلب لُبّه تلك السمرة في باطن شفتيها « اللعس » .. ذلك السحر في ثغرها الذي يسطو به كما تسطو شمس الصيف في الأشياء ، ويطعنُه بحرابٍ تذبحه من الوريد إلى الوريد ، ولا فرصةَ لديه

للبرء أو الشفاء منها :

له لا غصن لا الشمس قيظن ولا حواب ويذبح وحي الجرح يشفي صويبه

وأمّا ثمار صدرها الدانية القطوف ، وما نهد في ذلك الصدر من قباب برعمت حلماتها وارتفعت متمرّدةً على سجّانيها وظالميها ، وتحدّت أقفالهم وما في حوزة حقائبهم من أصناف الأغلال والقيود :

اللي سبابي نهدها ، وبرعمن قاب مظلوم لي سجنه بقفل وحقيبه

ويعجب الشاعر تثنّي خصرها حين تتخطّى أمامه ، وتلوّي بليونة الأفعى ، إلا أنّها ليونة جنّة الفردوس ، وليست ليونةً أرضية مجلوبةً مصطنعة ، يقول :

تمشي يلوّي خصرها لينت الداب من جنّة الفردوس ماهي جليبه

ويمثّل مرآها على هذه الصورة أن تصبح تلك حليلةً ، فتبني لها في خيالك قصوراً للحبّ تزدهي بأبطال أشدّاء أقوياء يشدّون أزرك ، وأمّا صدرها المعتزّ فتنتحر عليه الأشواق ، وتلتقي الأديان ، ويرتسم عليه الصليب وسورة عمّ المسيحية والإسلام ، يقول :

تبني بيوت الحب تزهي بالصلاب ومرسوم فوق الصدر عمّه وصليبه

ويتجاوز إعجاب الشاعر بجمال هذه المزيونه كلّ التوقّعات ، فهو لم يشاهد شبيهاً لها بين كل بنات المدن اللواتي يلثن العصائب على رؤوسهنّ ، ولا بين بنات البدو السارحات في رحاب الطبيعة ، ولا بين الحضريات اللواتي يتقطرن رقّةً وعذوبة ، ولا حتى مع الظباء السوارح برهافتهنّ ورواتحهن

الطبيعية، فيقول:

ماشفت مثله بكل لبّاس العصاب   مع البدو، والحضر، وريام طيبه

لقد عَلقَتْ هذه المخلوقة قلبَ الشاعر، وتمكّنت به، وسيطر حبّها على كل مشاعره وأحاسيسه، فلا فكاك له من سحرها ولو استشار كلّ السَّحَرة والعرّابين ممن يكتبون الرُّقى والتمائم، وقد ترافق هذا الأسر الظاهر لوقوعه في حبائلها، بصورة جليّة واضحة لا لُبس فيها، يقول:

مايُفكّني من حُبّها كل عرّاب   ماترافقْ المظهوبْ وَحْدَهْ جنيبَهْ

ومادام قد تمكّن حبّها من قلبه، ولا فكاكَ له من حبائلها، ومادام هذا الحبُّ قد افتضح وبانَ عليه وظهرت علائمه، إذن فليحبّها جهارًا، فيترّبعُ معها، ويصطافُ مقيمًا على حبّها، يُقيّضُ ويعزّبُ في مرابع هَوَاها وحبّها يرتشف خمرتها المعتّقة مع كل لفتةٍ من لفتاتها، وفي كل وقتٍ من عمر الزمان المتساحب، فيقول:

أنا نحبه لي، مقيّظ ومعزّاب   ومصّيتْ خَمْره مع توالي سَرِيبه

ومما يُذهلُ الشاعر ويشدُّه إليها، ويزيد من سطوتها عليه، وإسارها له، أنّها تُنوّله القبلةَ بعد عناءٍ وتمنّعٍ شديدين، وبخل تجابه به كل مطلبٍ يحاوله للتقرّب منها. والمحيّرُ في أمر هذه الغادة الفاتنة أنّها لا تريد أن تُغضبَه يا أخي.. ولفظة «ياخوي» في هذا العجز من البيت ومناداته لأخيه ماهي إلّا استغاثة وشكوى مبحوحة، ممزوجة بالدهشة والعجب والفرح، فيقول:

تعطي لي الحبَّهْ، وتبخال مطلاب   مملوحتن ياخوي ماهي غضنيبه

وأشدُّ ما يحزنُ الشاعر ويخشاهُ، ويجعلُ الدموعَ تتساقط من عينيه بانتحاب وأسى، هو خوفه أن يذبُلَ هذا الجمال الفريدُ الغضُّ على أغصانه، وفي هذا كارثة لا تُحتمَلُ، يقول:

الدمعْ من عيني، من الحزن نحّاب   خُوفي على غصنه يذبل قضيبَهْ

الشاعر يحبُّها، ويُتيِّمُه الشوق على دروب هواها، وهي تبادله هذا الحبَّ ولم تُبْدِ أيَّ ممانعة لمسيرة هذا الحبِّ، وهذا مايزيدُ همومَ الشاعر وتعلُّقه بحبها، والتمسُّك به، إذْ لا وجودَ لأيِّ أملٍ آخر يُسرِّي به عن نفسه ويُعزِّيه عن حبِّها، فيقول: ولم يعدْ ممكناً أن يدلج إليها سرًّا في الصباح الباكر.

من دون شوقي ماظهر لي حجّابْ   وزادةْ هموم الحبّ ولا تسر بيه

وبعد أن ارتوى الشاعرُ من ينابيع الجمال في تلك الصبية التي لامثيلَ لها لا في البوادي، ولا في القرى، ولا في المدن، وخالطها وخالطتْهُ، وطالبتها فنوَّلته صَحنَ الخدِّ الرغيب، يتوجَّه الآن إلى صديقه الشاعر مباشرةً، وكأنَّه يُواسيه ويعيدُ الطمأنينة والثقة إلى نفسه، ويناديه بكنيته «يابوجاسم» وكان فيما يبدو أنَّه قد شكا إليه الشيبَ في قصيدة سابقة، فيقول له محمود مادام قلبُك ياأخي شاباً لم يغزه الكبرُ، ومفعمًا بالرغاب، فلا تُهولنَّكَ شيبةٌ لاحت في مفرقِ رأسك، فيقول:

مادام قلبَكْ «يابوجاسم» مَهُو شَابْ   لا اخَوِّفَكْ بالراس ياخُوي شيبَهْ

ثم يحثُّه على الاستمرار بالحبِّ والفناء في العشق،

واهتبال الفرص واغتنامها ، لا بل يطالبه باقتناص الحسناوات «البيظ» الشبيهات بالظباء قبل فوات الأوان ، وتبقى علينا النائحات المنادب والمناحات آنئذٍ .

واللون الأبيض في الحسناوات ظاهرة تتلألأ تتلامح في خاطر الشاعر وتؤرقه ، ويجعلها وكده دائماً ، ونحن لا نلومه على ذلك فالبياض بين خضرة السهول والمراعي من جهة ، وزرقة السماء الصافية من جهة أخرى ، يدلُّ على رهافة ذوق الشاعر وابتعاده عن الألوان النافرة الصارخة .

وتشبيه المحبوبة بالظبية حيناً ، والخشف أحياناً أخرى ، والريم ثالثة ، والرئام رابعاً ظاهرة تستوقفنا عند محمود ، وتشير إلى تعلقه بالرشاقة والهيف ، وهي صفات حضرية صقلها تنقله بين المدينة والسهول الفيح ، فالجميلات في المدن ، والظباء في مرابعه ، والبدو يتحولون بمضاربه وفي أرضه ، جعلته يعقد الصلة بينها . يقول لصديقه أبي جاسم :

اقنص ارياح البيظ سكان الطناب   ولا بدّ ما يبنا علينا النصيبه

ويطالب الشاعر محمود صديقه مرة أخرى ألا يهاب سطوة الحسناوات «البيظ» ، بل على العكس من ذلك ، إذ يجب عليك أن تنصّ الظباء قبل اصطيادها ، فعلى قدر المشقة يحلو الحب ، وعلى قدر المعاناة يحلو الشوق ، مادام المرء قادراً على الحب والقنص واصطياد الجميلات . فيقول :

لا تكون يفحمد من البيظ هيّاب   إن فرّ ظبي الصيد مابك تجيبه

ويختم الشاعر محمود أبو منصور، بعد هذه السياحة الرائعة بين فتن الجمال، ومباهج الطبيعة، وضفائر النساء، وطيب روائحهن، وعذوبة ريقهن، بين مسارح الظباء، وأدواح الظلال، كالعادة المتّبعة في هذا الفن من فنون القول بالصلاة على النبي، كلّما تاب مخلوق توبة نصوحة، وكلّما حجّت الركبان إلى بيت الله الحرام، وسارت نجيبة من الإبل في ذلك المقصد المقدس.

فلا كنت يا توبة محمود، ولا كان الشيب، ومرحبًا بالحب ومغاني الجمال والفتنة، لتظلّ القلوب خضراء، والصبايا البدويات يتخطّرن بقدودهن الرشيقة على دفاتر محمود، وعلى شرفات قصائد محمود، ولتظلّ الرعشات على الشفاه، وذوب القلوب على منحنيات المواعيد، ودموع الشوق تحرق الخدود في ليالي السهد والضنى، ولكي يظلّ حُداء الشوق فوق نعيق الغربان التي راحت تصمّ الآذان وتنفّر القلوب

★ ★ ★ ★

العاطفة ...

لقد لاحظنا صدق العاطفة مُتّسمًا يَسِم أبيات القصيدة جميعها باللّهفة والحرارة والودّ والحميميّة. لأنّ الحبّ الذي يربط محمودًا وصديقه محمد حبٌّ صافٍ نقيٌّ صادق ينبع من القلب مبرّءٌ من الأغراض والمنافع، لذا جاءت عاطفته حارةً معبرةً طافحة بالأخوّة والودّ بين شاعر وقسيم روحه الشاعر الآخر، وهي عدا ذلك عاطفة هادئة ثابتة لا تحرّكها الأهواء ولا ...

ولا تبدّلها الزعازعُ حين يكون الحديثُ عن الصداقة والود.
ومهتابةً متأجّجةً حين تخلي على آتون الحبّ ويفوّرها الجمال،
وتستثيرُها الصباباتُ وحبُّ الجميلات.

الخيال...

الخيال سِمَةٌ بارزةٌ عند الشاعر محمود الزعبي، لأنَّ سيلَ ذكريات الجميلات اللواتي مررنَ على واديه، أو تخطّرن على حوافي جداول حبّه ومراتع صباه كثيراتٌ، وما دُمْنَ كذلك فلا بُدَّ أن تترك كلٌّ واحدةٍ منهن بصماتها على صفحات ذاكرة الشاعر الذي يحتاج إلى خيال قويٍ مبدعٍ وخلّاقٍ ليستحضرَ كلَّ تلك الذكريات ولاستدعاء نار التجارب بغُبارها ودخانها. أضِفْ إلى ذلك خصوبةً في هذا الخيال الذي هو أثرٌ من آثار تجربة الشاعر الفنية لاستحضار المشاهد والصور التي صادفها خلال ارتياده للدساكر والمدن العامرة بعد أن ارتوى من التغلغل عبر مسارب الطبيعة وسهولها ووديانها وهضابها.

الأسلوب...

يتأثر أسلوب الشاعر محمود الزعبي تأثُّراً كبيراً بثقافته العربية العميقة، وبمصره بالشعر الجاهلي وما تلاه من عصور، فمكتبته عامرةٌ بدواوين الشعراء، يُضاف إلى ذلك تضلّعه بأساليب الشعراء وطرائقهم، وما اطّلع عليه من بلاغة وبيان، وعاشهما وعَبَّر بهما عمّا في فكره وما يشغلُ بالَهُ، فهو على علمٍ بالفصل والوصل، والتقديم والتأخير، والخبر والإنشاء، والنداء والاستفهام

والجملة من حيث التركيبُ والبناء؛ وعلى معرفةٍ هائلة كمًّا من حيث المفردات الطريفة والتالدة، ومن هناجاءت مفرداته مفصّلةً على قدر معانيها، ينتقيها بذوقٍ رفيع وخبرة صَبْرَ في نَقْدِه.

أمّا التراكيبُ فقد جاءت رصينةً، موطّأةً لقواعد البلاغة والبيان كما مرّ معنا في صدر البيت الخامس، إذْ لكل لفظة فيها أداءٌ لدورها المخصّص لها معنىً ونغماً، وغالباً ما كان يختار الكلمات العذبة ذات الموسيقى الهامسة حيناً والمجلجلة أحياناً أخرى، ناهيكَ عن القوافي المختارة تبعاً للحالة النفسية التي تتلبّسُه، فرحاً وحزناً، رضىً وخصاماً، وصلاً وصدّاً.

وعُنيَ محمودُ كثيراً برسم المشاهد، وتلوين الصور في معظم أبيات القصيدة، وأولاها عنايةً فائقة كما في البيت السادس والسابع والعاشر والحادي عشر والسادس عشر والسابع عشر وغيرها.

وقد نجح الشاعرُ في أن يرسمَ في أذهاننا عالماً يشبه عالمه الداخلي، وأنْ ينقلنا إلى مرابع حبّه وصباه، ومغاني أحبته وهواه، بكل حرارة اللُّقيا وأسى البعاد، وسعادة الوصل وشقاء الصدود بصدق وأمانة وإخلاص، وجعلنا نُشاركه إحساسه في كلّ دبيب الحياة والجمال، يسري بأوصالنا.

الفصل الثاني

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر عبد الرزاق الزعبي

١- قصيدة الشاعر عبد الرزاق الزعبي - إلى الشاعر محمود الزعبي :

« يا راكْبَنْ مِن عِندنا فوقْ مَذعورْ »

٢- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر عبد الرزاق الزعبي :

« هاجِ الضميرْ وخَطِّ القَلَمْ مَنصورْ »

٣- قصيدة الشاعر عبد الرزاق الثانية - إلى الشاعر محمود الزعبي :

« يا عينْ هِلّي دمعتِكْ ياسَخِيّة »

٤- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر عبد الرزاق الثانية :

« ميتٍ هَلا بكْتابْ تَوّا لَفاني »



١ - يا راكبين من عندنا فوق مذعور

للشاعر: عبد الرزاق الزعبي

إضاءة على النص:

يخاطب الشاعر رسوله الذي يمتطي ركوبةً مذعورةً ليدلّل على سرعتها، أصيلة، حرّة، لا تسلك إلّا الدروب الصحيحة، يعتليها هذا الرسول لينقل الخطّ والسطور في رسالته التي انطلقت من ساحة مُحرّك ضخّ الماء في القرية، إلى بلد ممدوحه وصديقه، فتلقى هناك شيخ الشهامات المعروف الشاعر محمود الزعبي، فخصّه بسلامي، سلام الذي كواه البعد، وإنّي أقسم لك يا أخي حاضراً وغائباً أنّي صادقٌ في كلّ حرفٍ أوجّهه إليك فأنا ما اعتدتُ على الزلل والكذب.

ثم يخاطب صديقه وابن عمّه بلفظة مختار قائلاً له: لو قُدِّر لك يا عزيزي أن ترى جمالها لأعجبك عنقها الذي يُشابه عنق عنودِ غزلانٍ يخبُطْنَ في الحماد، فهي يا ابن العمّ من جريرة الزيدي.

وما رأيت أجمل منها في جميع البوادي! فشعرٌ يتهدّلُ على كتفيها، وجدائلها تغمرُ صدرها وتكسو شلالاتُ جدائلها نهديها، وذوائبها الشقراء غارقةٌ بالعطور، وخدودُها تتألّق لامعةً كصفحات البلّور، وحاجبان دقيقان مصقولان كحدّ السيف، ونهدان بارزان معلّقان بأعلى الصدر كتفاح روميٍّ جاء من بلادٍ بعيدةٍ ليفتتن بسحرهما، وبين ثناياها العذابُ يتكدّسُ الشهدُ والعسلُ المصفّى، وأكوامُ المنّ والسلوى

التي وعدَ اللهُ بهما المتّقين .

ولو قُدِّرَ لكَ يا ابنَ العمّ رؤيتها لهجرتَ قصورَكَ وعلاليكَ وسكنتَ في الخيامِ مع العربان بدون زادٍ أو ماء لأنّكَ ستكتفي برؤيتها ... لو قُدِّرَ لكَ يا ابن العم أن تراها لجفاكَ النومُ ، وهجركَ السرورُ ولواحتْ عيناكَ تسحّانِ الدموع ، ولقصُرتْ أجفانكَ عن الغمْضِ وَلَهاً بها وتعلّقاً بجمالها . . لو قُدِّرَ لكَ أنْ تراها لقضيتَ الأيّامَ والشهورَ مقهوراً إذْ كيفَ مرَّ هذا العمرُ قبلَ أنْ تعرفَها ! ولقضيْتَ زمانَكَ بالهواجس تضربُ أخماساً بأسداس ، وتُغنّي لِتؤنِّسَ نفسَكَ وتُسلِّيَها .

لذلكَ لا تتعجبْ لأنّي خصَّصْتُ لها خَدَماً تخدمونها وحرّاساً تحرسونها ، وناطوراً يرقبُها ويرعاها ويقومُ على تلبية رغباتها ليلاً ونهاراً .

لذلك فهو لن ينساها ، ولن يسلاها لو تغيرتْ ، هندسةُ الكون ، ولو أنَّ وادي طعيم خلفَ الدورِ ، ولو استغاثتْ أركانُ تلِّ الفرس . ولن يلومَ فِكرهُ إذا تشتَّتَ ، وفقدَ رشادَه وإذا ما سمع أنَّها ارتحلَتْ عن منازلِها فعندئذٍ تُظلِمُ الحياةُ بعينَيه ويسودُّ الوجود .(١)

« وإليكَ نصُّ القصيدة التي أرسلها الشاعر عبد الرزاق الزعبي إلى الشاعر الرقيق محمود الزعبي » أبي منصور ، يقول فيها :

النص :

يا راكبٍ منْ عِنْدَ نا فوقْ مَذْعورْ

حُرٍ شَهَرْ يِسْلِكْ طَرِيقَ الرَّشادي

مَا فُوقْها إلاّ نَاقْل الخَطّ وِسطُورْ
وِمِنْ سَاحِةْ المَاثُورْ قَبَّتْ وَكَادِي
تِلْفِينْ شِيخٍ بَالشَّهامَاتْ مَشْهُورْ
خِصَّهْ سَلامِي إِلِّي كَوَاهْ البِعَادِي
يا خِيّ أَحْلِفَلَكْ بْدِينٍ عَلَى حْظُورْ
اوْهَرْجَ المُزَّلَكْ مَالِي عَلِيهْ اعْتِيَادِي
مُختارْ لو تُنْظِرْ خِزارِي بَالِخْصُورْ
عُنْقَ العنودْ الِّي تْخَبَّطْ حَمَادِي
أَصْلَهْ مِنَ المُزَّيدِي تِنْسَبْ مِنَ القُورْ
وِلاشُفْتْ زِينَه مَعْ جَمِيعَ البَوادِي
أَبو جْعُودٍ كاسِيَ النِّهَدْ نِحْدُورْ
شُقْرَ الذَوايِبْ طَامْسِنْ بِالزْبادِي
أَبو خْدودٍ عِذْهِنْ لُونْ بَنُّورْ
جُوزَ الحَواجِبْ مِثْل صَقْلِ الهَنَادِي
أَبو نُهُودٍ بارْزَاتِنْ بَالصْدُورْ
تُفَّاحْ رُومِي مِنْ بَعِيدَ البِلادِي
بينَ الثَّنَايَا شِفْتْ أَبِي الشَّهْدْ مَحْصُورْ
المَنّْ وَالسَّلْوى طَلَبْهِنْ مْرادِي

لَوْ شُفْتَها ادَّشَّرْ علاَ لَيكْ وِقْصُورْ
وِتِسْكُنْ مَعَ العُرْبَانْ مِنْ دُونْ زَادِ
وَلَو شُفْتَها مَا ظَنَّتِي تْنَامْ مَسرورْ
عِينَكْ تْسِحَّ الدَّمْعْ وَالجِفنْ جَادي
لو شُفْتَهَا تَقْضِي الوقتْ وانْتَ مَقْهورْ
تِقْضِي زَمانَكْ بالهَجِس والحِدادِي
أَبِي لَهَا خَدَّام وْحارِسْ، وناطُورْ
صَالح يْقُومْ بْخِدْمْتَهْ بالسِّهَادِي (١)
مَسْلاَهْ لَوْ طْعِيمْ يِنْزِلْ قَفَا الدُّورْ
وَتَلَّ المَرَسْ تِصْبِحْ اركَانَهْ رَمادي (٢)
أَوْ مَنْلاَمْ لو فكري تْخَرْبَطْ مع الشُّورْ
وانْ كان قَفَّتْ مُرحَلَهُم يَاسَوادِي

عبد الرزاق الزعبي

١- أبِي : أرغب، أريد .

٢- وادي طعيم : من الوديان السحيقة التي تقع شمال الاشعري، بعيداً عن بلد الشاعر .

٢ - هاجَ الضميرُ وحَطّ القلمَ مَنْصُور

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

يردُّ الشاعر محمود الزعبي بقصيدته هذه على قصيدة الشاعر عبدالرزاق الزعبي التي مطلعُها «يا راكبين من عندنا من فوق مذعور». فما أن تصل القصيدةُ شاعرنا أبا منصور، حتى تستثيرَ كوامنَ العشق لديه، وتُهيِّجَ خاطرَه، فيحدو بعلوِّ صوتِه «هاج الضمير».

ومعنى ذلك أنَّ الشاعر دخلَ مرحلة الاصطلاء، عتبةَ التلقين المُبدع، وهذا يعني أن المعاني ستتدافعُ من شق ريشته ترسمُ خفقاتِ قلبه ونبضاتِ فكرهِ على بياض الورق، فوّارةً رغمًا عنه.

أجل لقد هاجَ الضميرُ، لذا على مخاطَبه أن يُعِدَّ سِنانَ قلمه، لأنّهُ إنْ نَفَدَ حبرُهُ فسيُزَوِّدُه من دمع عينيه، ويطلبُ منه أن يأخذَ سلامَه بعدد غيبات الشهور، ويأمُرُهُ: ألاَّ تتلعثمَ بسلامكَ، وكُنْ لبيبًا وابدأْ بالكلام. وقل له: إنَّ وصفَكَ لحبيبتك جعلَ القلبَ مأسورًا للجمال مُرتهنًا له، لما جاء في رسالتكَ من بثٍ ونجوى حرَّكَتْ لواعج الحبِّ في الفؤاد.

«ياهيه» كلمةٌ للتنبيه والندبة، بدأ بها بيته الرابع، ثم أردفَ بأنه ليس من المعقول أو المقبول في شرع محمود الشاعر أن ينسى عهودَ البيض الجميلات اللواتي تشرَّبْنَ روحَه، وسكَنَّ بها وسِرْنَ كما شئْنَ. وما رأى جمالٌ مثل جمال تلك الحسناء في

كلّ العصور، لا ولا حتى في بلاد الرومان المشهورين بالجمال صاغوا مثلها، لا ولا في أيّ نادٍ أو مجتمع، ولم يخلق الله حسناء بيضاء مثلها أبداً، ولا حتى حور الجنان، لذا ظلَّ الظمأ يُحرقُ قلوبَ كلِّ مَنْ يهفونَ إليها أو يتطاولون لقربها، فكيفَ يمكنهُم أن يصلوا إلى نجوم السماء في أفلاكها ؟ وإذا كانت صفاتُ المحبوبِ على هذه الشاكلة فهو لن يلومَ قلبَ ابن عمه المأخوذِ بسحْرِ حبيبته، ولكنَّه يرجوه ألا ينخدعَ بذلك الجمال، فيرتهنَ قلبه أو يعرضَهُ بالمزاد.

وهُنا يجمحُ الخيالُ بالشاعر وينقلُه إلى أفلاكِ حبيبته التي ما انطفأتْ نارُ الأشواق في قلبه بل ظلَّت مُتَّقدةً مَلامحه، ولا مال جفنُه بعدها إلى غيرها من المليحات، لأنَّ عطرها ما زالَ يتكمَّشُ به ويفيحُ من أردانها وجيوبها فيملأُ دنياه، وأمّا ثمارُ صدرها فتفوقُ ثمارَ الجنَّةِ التي وعدالله بها المتَّقين، وها هي شاهدةٌ على ذلك، ولها شفاهٌ لُعْسٌ وثغرٌ كدُرٍ منضودٍ أو كأبرادٍ مُنشَّرةٍ في روضٍ مُفوَّفٍ بالورد، وأمّا إذا فرَدَتْ شعرَها وأرخَتْهُ فإنّها تُدخِلُكَ بليلٍ مُظلمٍ تلوحُ جدائلُها في عتمته فتزيدُه حلكةً، وعلى نحرها تَتَفتَّحُ الأزهارُ الحمراءُ فتلتهبُ فتسلبُكَ لُبَّكَ وتتركُكَ مُخبَّلاً بلا عقل. وآهٍ من ثغرها الذي يُذكِّرُكَ بأوصاف الجنَّة، فإنَّه يَسَّاقطُ مَنّاً وسلوى، ويُسكِرُكَ بطيبه بلا خمرٍ، أما إذا نظرتْ إليكَ فالموتُ كامِنٌ بين جفنيْها ما دامتْ سيوفُ لحظها مجرَّدةً غيرَ مُغمدة.. وكانَ اللهُ قريباً من الأرض حينما كوَّنَ جَمالها، وصادفَ عندما خاطب نبيه موسى في الطور، ومن أجل ذلك جاء حُسنُها سماويّاً يوسفيّاً كحُسنِ يوسف يوم اعتلى عرش

المُلكِ المُراد.

وهكذا استباحَهُ جَمالُها وأهْدرَ دمَهُ بلا قَوَدٍ ولا دِيَّة، فهو يُقدِّمُه رخيصًا بين يدَيها ويقسمُ على ذلك بربِّ العباد، ويصبحُ مُستعبداً لها حتى لو تَشفَّى به الحسادُ وشمتوا به. وإنه ليفتَديها ببحيرةِ المزيريب، وبكلِّ الأنهار التي تجري في السهول والوديان، وكل البساتين والحياض، وأدواح شجر الكينا التي تمثل أحلى المناظر وتأخذُ بمجامع القلوب.

.. ويتَّجه بالبيت الأخير بالحديث إلى ابن عمه:

مُفَدِّيًا حبيبتَه بكلِّ ما يملك، وبحَيرةِ وادي الزيدي، وبنتِ «أبو القوس» حبيبةِ ابن عمِّه، مع محركِ الماءِ الذي تحيا عليه قريته، والماءِ كلِّه، وكل ذلك لا يشكل شيئاً في تفديته لها.

«ردُّ الشاعر محمود مفلح الزعبي «أبو منصور» على عبد الرزاق الزعبي.

لقد أرسل ابن العم عبد الرزاق الزعبي أبو زهير، قصيدة يمدح بها الفتاة التي أحبَّها ويحرِّضُني بهذه القصيدة وبجمال تلك الفتاة، ويطلب مني لو رأيتها لتركت القصور والمباني، وقد جاوبته بهذه القصيدة رداً على قصيدته». (1)

النصُّ:

هَاجَ الضَميرُ وحَظُّ القلمْ مَنصُورْ
مِنْ دمعْ عِيني زِيدْ حِبرَهْ امْدادِ

خُذْلِي سَلا مَا عِدْ غِيبَاتَ لِشْهُوْر
وخَلّكْ لَبِيبْ وكُونْ بالهرجْ بَادِ
قُلّه بوَصْفَكْ أصبَحْ القَلبْ مَاسُوْر
برسَالتِنْ بتّتْ لَواعِجْ افْوادِ
يَاهِيهْ مَالِي بَكْ عَلى البِيضْ مَغْرُوْر
تِنْشَاحَبِيبَ الرُوحْ مَشْيَهْ افْرادِ
هَذَاكْ زِينهْ مَازِلِي بِكُلّ العصُوْر
ولاسَاعَةْ الرُومَانْ لِي كُلّ نَادِ
ولا رَالِي مِثْلَه بِيضْ إيطَهْ ولاحُوْر
ولادَنَّسَتْ طَلاّبَهْ دُومْ صَادِ
ولاحَقّ مِنّكْ تْشَبّهْ النّجِمْ بِبْدُور
والبومْ مَاهُو بفَضْلْ طِيبَ العِيادِ
مَالومْ قلبَكْ كَانْ بَالبِنْتَ مَسْحُوْر
إيّاكْ حَظّكْ تِرهْنُو بَالمِزادِ
ولانَارْ قَلبِي يَا وِلدْ فِجْتَ النوُر
ولامَالْ بعدَ الغضي جِفْنِي انْوادِ
حُلوٍ يِفيحْ النّدّ من جِيبَهْ عطُور
بصِدْرَهْ اثْمَارَ الخُلْدْ ظهرَتْ اشْهادِ

لَه لَاعْسِنْ كابَرْدْ بالرُّوض مَنْثُوْر

شَبيهْ لِيلِ يومْ ترخي لِجْعادِ

بي لِحْظها فَتِّحْ النرجسْ وَلِزهُوْر

وشَعْقَ الشمسْ يهْبلْكْ حُمر لِخدادِ

بي ثغرها المَنَّهْ وسُكرٍ بلا خْمُوْر

والموتْ بي جِفْنَه وعينَهْ اغْمادِ

كوّنْ جمالَهْ يومْ مُوسى عَلىَ الطوْر

ومن حُسن يُوسُفْ يومْ لَلمُلْكْ رادِ

دَمِّي لَحُلْو القدّ بالله مهْدُوْر

ولَصْبرْ بعده لَوْ تِشَفَّا لِحسادِ

لَفْدِيهْ بالبَجّة مَعْ كُلّ لِنْهُوْر

مَعْ غيظْتَ الكينَهْ بْأَيّ اعْدادِ (٢)

وفْدْوَه لَها الزّيدي مَعْ بِنْتْ أبو القوْر

ومَاتُور كُمْ والحِيْ وْلاني بْفادِ

١- المقدمة تركت كما دونها الشاعر .

٢- نخيرة في المزيريب شمال اليادودة.



٣ - ياعينْ هِلّي دَمْعتِكْ

للشاعر: عبد الرزاق الزعبي

إضاءة على النص:

أرسل الشاعر عبد الرزاق الزعبي هذه القصيدة مع التحية إلى الشاعر محمود الزعبي أبي منصور، يقول فيها:

يشكو الشاعر عبد الرزاق في مطلع قصيدته مما أصاب محمود ابن عمه من المصائب، مخاطباً عينه أنْ تهلَّ دموعها السخية، وقلبه طالباً منه الصبرَ على المصائب معللاً إيّاهُ على أنَّها أقدار تصيبُ الناس، ثم يصفُ لنا دموعه التي تجري من عينه كما نبع السَّرِيّة، وكيف أناخ الهم على صدره بثقل قنطار، لحظة ورد عليه نبأ الخلاف الذي نشب بين محمود وحبيبته، ففقد عقله وطاش صوابُه ووقع فريسةً للهم والوساوس.

ثم يتوجَّه بالخطاب، بعد أن نفثَ ما في صدره من همٍ ناصبٍ وألمٍ عازب، إلى صديقه الشاعر أبي منصور يُواسيه فهو مستودَعُ أسراره وعالمٌ بحاله، ويطلب من رسوله أنْ يحملَ تحيتَهُ إلى الشيخ أبي منصور مُفرِّج الهم وحامي الجار، ويرجو من الله أن يلهمَهُ الصبرَ، ويُخرِجَهُ من الضِّيقة، لأنَّ فرقته عن وليفهِ من أعزِّ ما يصدَعُ القلبَ، ويعزُّ على الخاطرْ ليس ذلك فحسب بل هي من أكبر البلاوي التي يمكنُ أنْ يبتليَ بها المحبُّ، فتُغيِّرُ حالَه، وتشوِّشُ عقلَه وروحَهُ ونفسي

ويصبح وكأنَّه يتقلَّبُ على شوكِ صبَّار ... ويحزنُ الشاعر أبو زهير أشدّ الحزنِ حين يقارنُ حال صديقه اليوم في البعدِ والنوى مع حاله في الأيام الخوالي يوم كان لا يعكِّرُ صفوَ صديقه أبي منصور همٌّ ، بل كانت أيامه ربيعًا دائمًا ، ورياضاً مزهرةً . وإنَّ خوفه من الحسَّاد على صديقه أورثه علَّة في الصدر خفيَّةً ، ومن أجل ذلك يكمدُ على نارٍ في أحشائه حاميه.

ويواسي صديقه أبا منصور ونبعلّله بأنَّ عشق المليحاتِ لا يورث إلا وجع القلب بما يُسَلِّفْنَ من غدرٍ وخديعةٍ ، ولذلك يطلبُ الشاعر أبو زهير من الله أن يخونَ البيضَ الحسان اللواتي جُبِلْنَ على الختل والغدر ، ولو أن الأمرَ بيده لذهَبَ وحَاشَها وتَمكّنه يخشى مقالَةَ الحساد وشماتةَ العذَّال .

ويطلبُ من صديقه الشاعر أبي منصور أن يقبل تعازيَ الروح منه لروحه ، طالباً منه أن يثق به ولا يشكُّ فيه ، لأنَّ همّه عليه حقٌ يحمله في قلبه مُقسمًا على ذلك بعلّام الأسرار وما تخفيه الصدور ، وأنه لابُدَّ بعد الضيق من فرج . كما أنه لابد بعد غروب الشمس من أفياء ، وهذه حال الدنيــا ، وهذا هو الدهر دوَّارٌ يوم لك ويومٌ عليك .

ثمَّ يتَّجه إلى الله العليِّ القدير غافرِ الذنوب والزلاَّت أن يُقبل عثرةُ صديقه ، ويشفيه من شرِ الهواجس التي تعتورُ قلبهُ ، ومن الأكدارِ التي تعكِّرُ خاطِرَهُ .

نص القصيدة التي بعث بها الشاعر عبد الرزاق الزعبي أبو زهير، إلى الشاعر محمود الزعبي أبو منصور.

النص:

ياعين هلّي دمعتك ياسخيّة
يا قلب صبراً والمصايب ترى أقدار
ادموع عيني مثل نبع السريّة
الهمّ عاصدري ترى وزن قنطار
على صديق العمر غالي عليّة
يوم ان سمعت العلم عقلي غدى وطار
يا طارشي خذ لي سلامي وتحيّة
لشيخ أبو منصور ياحامي الجار
الله يلهمك الصبر والقضيّة
فرقت وليفك عز على القلب مختار
فرقت صديق العمر أكبر بليّة
يصبح ويمسي نايم فوق صبّار
ياديت المشروع وش صار بيّه
حزني على ايام مضت كلّها أزهار
ترى بوسط الصدر علّة خفيّه
خوفي من الحسّاد أكمظ على نار

ومن عاشر المزيانات نفسه رديّه
الله يخون البيض جبلن على اغدار
ماهي شماته لو طلع بي يديّه
لذهب وحوشه لو وري جبل سنجار
إقبل تعازي الروح ولتنشك بيّه
همك بقلبي وحق علام السرار
لغربت شمسك تري جاك فيّه
من خلقة الدنيا تري الدهر دوار
يا غافر الزلات الله ليكم ولنيّه
يشفيك من هاجوس قلبك والكدار

عبد الرزاق الزعبي

٤ - ميتٍ هلا بكْتاب توّ الفاني

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

نستعرضُ فيما يلي نصَّ القصيدة التي يردُّ فيها الشاعر محمود الزعبي أبو منصور، على قصيدة الشاعر عبد الرزاق الزعبي أبي زهير، التي بعث بها إليه يُواسيه ويُعلّله بشأن مزيونة أحبَّها أبو منصور فنفسَه الناس وحسدوه حبَّها فابتعدتْ، ولكنَّه تمكَّنَ من حُسّاده وشانئيه ونال مُبتغاه، وهدأت نفسه واطمأنَّ بالُه، فكتبَ إليه يقول:

يقولُ مرحباً «ميت هلا» بكتاب وردَهُ للتوِّ، ويزيدُ بالترحيب على عدد طيور الدوري التي تعودُ إلى أعشاشها، وهذا الكتاب جاءَه من صديقٍ غالٍ، فتّقَ جراحاتِ القلبِ وذكّره بحبِّ سيِّدةِ الجميلات حبيبته.

ثم يخاطبه باسمه مرخماً للتدليل على ما بينهما من أُلفةٍ ومحبة وودٍّ متبادل، وهي ظاهرةٌ أسلوبيةٌ ستتكرّرُ فيما سيأتي في النص هذا للتوكيد أولاً، ودلالةً على حاجة الشاعر إلى صديق يركنُ إليه ويأمنُ جانبهُ وليبثّهُ ما يُثقل صدرَهُ ويعكّرُ خاطرَهُ، فيستنفدُ بذلك همَّهُ وشكواه، فيقول: «رزاق» اختصاراً للزمن لأنَّ ما بعده هو الأساس وهو «حب البنت» فما بالُ حبِّ هذه البنت؟ لا يتركنا الشاعر ننتظرُ لأنه على عجلةٍ من أمره، فيتابعُ «ليّا اجنانيْ» إذن فحب البنت أصابه

بالجنان ، ويعتذر عن ذلك بأنَّهُ أمرٌ ليس بيده ولا لَهُ سيطرةٌ عليه ، ويُقسمُ على ذلك بخالق العرش والأرض .

ويؤكد في البيت التالي محزّته لصديقه أبي زهير وأنه قريب له ودانٍ منه ، ولا يدري أهوَ يُعزّيه أم أنه يفرح لبلواه ؟ .

وبودّي لو أقف مطولاً عند عجز هذا البيت لأبين أن المحبين لا يثبتون على حال ، فالشك يُتَعتِعُهم ويلعب بهم دائماً ، وإلاّ بماذا نفسّر شكّ الشاعر محمود بابن عمه وصديقه الشاعر عبد الرزاق وحيرته بعد كل تلك المقدمات والحبّ والثقة التي تحدّث عنها ؟! .

يُتابع محمودٌ شكواهُ فيقول كم مرةٍ ياعبد الرزاق جئتُكَ عانياً - وجاء الاسم هنا مرخماً - أذكرُ لك الأحبابَ وأيّامَ البوح والهوى ؟! ويرجوه ألاّ يلومَهُ على تعلقه بحبيبته ، لأنّ العمرَ فانٍ والأيامَ قصيرةٌ ، فياما بكى على منازلها ومسارح غُدُوِّها ورواحها !! .

أمّا اليوم فقد فضحتْهُ دموعُه ، وعرفَ الناسُ حبَّهُ وبلواه ، وكذلك فعل الحزنُ لفراقه فعمّق جراحاتهُ ، ومن أجل ذلك يارزاقُ لن يسلاها مقسماً على ذلك بالذي ألزمه بهذا الهم ودفعه إليه ، ومادامَ القمريُّ ينوحُ مثله على أغصان الدوح .

ينتقلُ الشاعر محمد بعد أن فثأ غلّةَ فكرِهِ وَحَرَّ قلبه ليصفَ لنا محبوبَتَهُ هذه التي وجنتاها تُضارعان شقائقَ النُعمان حُمْرةً وزنابق السيول والطياح رِقةً وعذوبةً وغضاضة .

أمّا خصرُها النحيلُ فيكاد ينبترُ من ثقل ردفيها، على قوامٍ ميّاسٍ يُحاكي الرماحَ السمهريةَ رقةً واستقامةً وليونة.

ويستثني الشاعر ذكرى ريقها العذب الذي كثيراً ما سقته منه حتى يثملَ بالشهد والكوثر والخمرة المعطّرة في ذلك الريق. حتى بات يسكرُ فيما لو مرَّ زوالُ هذه المحبوبة في المنام على باله، وأنّهُ يذكره بعد ذكر الرب، ويُسبّحُ بحبّها، ويتنسك بمحراب غرامها، ويعبدها بعد عبادة ربه.

وأخيراً ينادي صديقه بأعلى صوته «رزاق» انّها عدته بحبّها واستعبدتْهُ، ويُقسمُ بأنّهُ إذا لم يأخذها ويتزوج بها، ليسوح بالبراري ويسرحُ مع الذئاب، ويلحق بها في الفلوات وإنه لقسم لو تعلمون عظيم!!.

ويختم محمودٌ قصيدته بعد أن عذّبنا معه، وشوانا على نار وجده التي يحترقُ بها، وجعلنا نصدّقُ كلّ كلمةٍ قالها، ونشاركه هواجسَهُ وغيرتَه. ثم يُصلّي على النبيّ بعددِ حبّات القطاني في كل صباح.

رد من محمود الزعبي رداً على قصيدة ابن عمه عبدالرزاق الزعبي أبو زهير يتألم بها للبعد عن الحبيبة.

النص:

مِيتِ هَلاَ بكتاب توّا لَفاني
عَ عدَدْ طَيرٍ دوَّرْ العِش مِرواحْ

كتابَ الصَّديقِ الغالي اليوم جاني

فطَّنَ القلب بحبٍّ عاود الملاحْ

زاق حبَّ البنتَ لِيَّ اجْناني

ماهي بيدِّي وخالق العرشْ وبطاحْ (١)

أنتَ الصَّديقِ اللِّي عزيزٍ ودَاني

مَدري تعزِّيني وِلِلّه نَبكَ افْراحْ

كم مرتينْ زَّاق آتيكْ عَاني

اذكُرلكَ الخُلاّنْ وايَّام الشّراحْ

لاتلومْني زّاق والعُمُرْ فاني

ياما بكينا فوقّ مَنزِلٍ ومسْراحْ!

واليومْ دَمعي للمخاليقْ بَاني

والحزنْ من فُرقاه عَمَّقْلي اجْراحْ

زاقَ أبي مَسْلاه وحَقِّ الموَذاني

ماغرَّدِ القُمْري على الْغُصِنْ صدَّاحْ

البنْتَ اللِّي اخذيدَها دِيدَحاني

زَنابقٍ مِن حولْ سيلٍ وطيَّاحْ

الخضِرْ من ردفْنْ ثقيلٍ يْعاني

حوقَهْ صَغير وسَمْهَرينْ من الرماحْ (٢)

كَم مرّتنْ من رِيقَها هُوَّ سَقاني
الشّهدْ والكوثَرِ ومعطَّرِ بْراحْ

احْمَرْ وَلَوْ بَالحلُم زُولَه وَتاني
واذكُرْه بعد المَوتْ بحبّات مِسْباح

رزَّاق لِي حُبَّه كثيرٍ عَادَاني
وِانْما خَذَيْتَه لَلْحَقِ، الذيبْ سَرّاح

صَلاةْ رَبّي عَدّْ حَبّْ القَطَاني
على النَّبيّْ المصطفى كِلّْ مِصباحْ

محمود مفلح الزعبي

١- بطاح : الأرض .
٢- حوقه : الخصر . سمهرين : نسبة إلى سمهر صانع الرماح .

الفصل الثالث

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر عانر غنيم بشاره

١- قصيدة الشاعر عانر غنيم البشارة - إلى الشاعر محمود الزعبي :

«جَنّني تميدْ بقامةٍ عِدَّها الحورْ»

٢- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر عانر البشارة :

«ياقلبْ سَطّْ والجبرْ ليكْ مَوجودْ»

٣- قصيدة الشاعر محمود الزعبي - إلى شعراء حوران :

«سِتّين حجّةْ نحبْ بِرفاتِ لِيامْ»

٤- إحدى ردود الشعراء على قصيدة الشاعر محمود الزعبي السابقة وهي للشاعر عانر غنيم البشارة :

«دَعْنا نزيدْ الحمدْ والشكرْ»



١ - جئتني تميد بقامة عدّها الحور

للشاعر : عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص :

الغزلُ عاطفة سماوية محببة لا نظلُّ في قلوب العباد على هذا الكوكب الملآن بالشرور . ولم يجد عازر البشارة الشاعر ما يهديه إلى صديقه الغزلي الشاعر محمود الزعبي أفضلَ من الحديث عن الغزل والبيض الحسان ، يُفرح قلبه ، ويدخل السرور إلى نفسه ، فأنشده هذه القصيدة حيث يبدأ بالدعاء إلى الله العلي القدير خالق النور وفالق الإصباح مدبر الأكوان ومقعد الدنيا ، أن يسمع دعاءنا ويستجيب لنجوانا فمنه الأمل والرجاء ، وعليه الاتكال .

ينتقل بعد ذلك إلى موضوعه الغزلي مباشرة فيقول :
جاءتنا شابة عذراء كاملة الأوصاف تتخطر بقامتها الهيفاء وقدها الأملود وكأنها من الحور تفنن الخالق سبحانه وتعالى شهوراً بل سنين يبتدعها ويستكمل أوصافها على عينه حتى جاءت ممشوقة طيبة الرائحة كعود الند ، ضامرة الخصر، مهصورة الحشا ، صافية البشرة كالبلور رآها فانخلع قلبه، وذهب عقله ، ووقع صريع هواها ، فرثت له وأحزنها حاله فسألته .

- ماذا حل بك أيها الفتى ؟ . وهي عليمة بأنه ليس مكسوراً
- قال لها بإيجاز مخفياً ما به : مكسور !

- فأجابته بخبث الأنثى، وغريزة النمر الذي يعرف خوالج فريسته، وهي عليمة بأنه ليس مكسوراً ولكنه أسير فتنتها: سلامة خاطرك، يا أهيف القامة. فأنا سأكون الطبيب المداوي لجروحك، ولديَّ من العلاج ما لا تجده في المشافي، إنه بلسم مشهور يشفي الأرواح والأوصاب بجرعة واحدة فقط وموصوف وشائع بين المخاليق، ولن تجده عند غيري من الأطباء.

- فأجاب: خذني معك يا دكتور، عبداً مأموراً، فقلبي شُغِفَ برؤيتكم، وأُخِذَ على حين غرة بطلعتكم، حتى ولو بعتني بسوق النخاسة، فأنا ملك يدكَ وأنتِ وليُّ أمري. تبيعني كما تبيع خرافكَ مشكوراً ... ولكنه يضع شروطاً لهذه الملكية، وذلك البيع، فيقول: يمكنك أن تبيع جسدي بدراهم وبطور، أمّا القلب فعسير على المبيع ومستعص على الشاري، لا يرضى ببعد ، ولا صبر له على فراقكم ولو قطعته بضعاً، وهو لا يستبد لكم لا بالقصور المشيدة، ولا بالنوافذ المشرعة، ولا بالمساحات الواسعة الأطراف. ويقبل أن تتركني ناطوراً في بيتكم، أو جنائنياً يرعى رياض الورد ومساكب الزهور من التلف. يشم ريح الخزامى وعطر الأحواض، وأزرع فيها الحب والورد والمنثور، ويرويها بدم قلبه الراعف عشقاً وشوقاً عندئذٍ سيموت بين ظلال تلك الأدواح داخل أسوار الدار، أمنية يرجو لها أن تتحقق ليضمن أنه سيظل راعياً لصاحبة الثنايا المعذبة، كي تنثر على قبر شهيد هواها أكاليل الورد، وأضاميم الزهور، وتقف قبالتي وقرب قبري، ثالثه

لا يفرق الدهر ما بيننا أنا ، والمقبر ، وهي .

النص :

يارَبّ يارَحمن ياخالقَ النّورْ
فيكَ الرَّجا ياعَالماً كُلْ خَافي
ياظابطَ الدّنيا بعَدْلٍ ودَسْتورْ
تِسمَعْ دُعانا ياقَديمَ الالطافِ
جَتْني تِميدْ بقامةٍ عِدّ هَا الحوُرْ
عُذرِّيةً من كامْلاتَ الِاوصافِ
تكلَّف الرّحمنْ بسْنينْ وِشهورْ
وفَصّلْ لها ثوبًا من الحُسنْ ضَافي
القدّ عودَ الندّ والبطنْ مَهْصورُ
أمّا لَميعَ الخَـدّ بللّورْ صافي (١)
قالت : عَلامَكْ يافتى ، قُلت : مكْسورْ
قالت : سلامةْ خاطِرَكْ يالِسْنافي (٢)
أنالكم ياصاحبَ الجرُحْ دكتورْ
عندي عْلاجٍ ماحوتْهُ المشافي
هذا عِلاجٍ بَلْسمَ الروحْ مَشهورْ
والليا حَصَلْ جرُعَةْ مع الحظّ كافِ

ما صُوفْ ما بينَ المخاليق مَذكُورْ
ماهقوتي تِلقى طبيبًا خلافي (٣)
خُذني معَكْ ياصاحبي عَبْد مأمورْ
قلبي على شوفَكْ شفوقٍ وهافي (٤)
لو بِعِتّني بسوق الحَرَجْ حُرّ مَشكورْ
أنتَ الوليّ اللّي تبيعَ الخرافِ (٥)
يِمكنْ تبيعَ الجسمْ بِفلوس ومهُورْ
أمّا القلبُ عِشرًا مَسامَهْ ينافي
عَ البُعْد مايِرضى ولا عِندَهْ صبُورْ
عَ فْراقكُم لو بِصَّعَتْه الشَّلافي (٦)
ولا يريد من بَعدَكْ شَبابيكْ وقْصُورْ
ودِيارْ حَولَه واسعاتَ الأطراف
ودّي تخلّيني بهالبيتْ ناطورْ
وأحفظْ وروده لا يجيهنْ اتْلافِ
واشتمّ ريحان الخُزامى والعطُورْ
واحواضِهِنْ بيضهْ زرافٍ نظافِ
وأزْرَعْ احواضَ الحبّ وردًا ومَنثورْ
وأرْويه من دمّ القلوبِ الرّعافِ

وأموتُ بين ضَليِّل الدَّار والسُّور
ويضمّني راعي الثّنايا الرّهافِ
وينثر على قبري أكاليل وزهور
ويَنْصُبْ قبالي ثالثاتِ الأثافي (٧)

عازر غنيم البشارة

١- مهصور : ضامر ، نحيف .
٢- السنافي : الطويل الجميل .
٣- ماهقوتي : ما ظني .
٤- هافي : هالك .
٥- سوق الحرج : سوق تباع فيه الأشياء القديمة المستعملة .
٦- بضعته الشلافي : قطعته السكاكين .
٧- الأثافي : جمع اثفية ، وهي حجارة ثلاثة تركز فوقها القدر قبل الطهي .



٢- ياقلب سطِّر الحِبر ليك موجود

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

بعث الشاعر محمود الزعبي أبو منصور هذه القصيدة إلى صديقه الشاعر عازر غنيم البشارة، ردًا على قصيدة غزلية كان بعث بها إليه بعنوان «جتنا تميد». يقول:

سطّرْ أيها القلب تحاياك إلى صديقي، وانقلْ أشواق روحي لجميع الأصدقاء، فمادام في العمر متّسع وحبل الشعر يصل بين الشعراء ويبقي بينهم علاقات المحبة، وجميل من يجالس هؤلاء أن يقلّدهم من دُرَرٍ فنِّه ولآلئ معانيه التي ستخلّدُه على الدهر.

ثم يخاطب الشاعر صديقه باسمه فيقول له: ياعازر لقد أحييتَ القلب وفتحتَ أبوابه بوصفك لخدود حسناء كعنود الظباء، وأصبحتُ أرعى تلك المحبوبة وأزدادُ عِناية لصاحبة المبسم العذب والخصر النحيل التي فتح حبُّها جرحًا عميقًا في فؤادي، حرّمني طعم المنام. وأنا ياصديقي عازر الراصدُ للبيض الحسناوات دومًا، والناذرُ عمره للجميلات الموسومات بالزين والملاحة من بيض، وسمر، وحنطيات، حتى السود منهن، فقد علمتهنَّ ما الهوى وكم من مرة داعبت النهود الصغيرة! فإذا ما هبت الريح الباردة لفتني بحضنها الدافئ، فيتخلل حبها إلى أعماق الروح وأحس طيبه، وهذا أجمل ما في الدنيا ولذتها، فما قيمتها بدون ذلك؟

فالحب شريعة المخلصين لا الذئاب الغادرة ، والحب مصاحب للمرء منذ طفولته لا يسلم منه كبير وصغير ، حاكم أو محكوم ، ولا يشبع منه أحد .

وأنت يا عاذر خفيف الروح ، طيبك معروف ، والغزل من فمك له طعم كالشهد ، ولذا أحببت أنا ذات القامة الهيفاء والقد الأملود ، ومصقولة العارضين التي إذا ما سارت تخطرت كالظبية العيناء ، التي خُضْرَةُ عينيها تزيد عن سعة حدقتيها . وأقسم لك أني ما جافيتها يومًا لخوفي أن نفترق فجأة دون لقاء ، وسأظل أحاورك وأحدثك عن المزيونات صاحبات الجدائل الطويلة ، فشعري غزير ، وبحوري زاخرة ، ولساني طلق .

ثم يختم قصيدته بالدعاء لوفود البشر كلهم ، طالبًا لهم العفو والرحمة .

النص :

يا قَلْب سَطِّر والحِبْر لِيكْ مَوجُودْ
والرُوح مِشْتا قَهْ لَجَمع الرَّفاقَهْ
والعُمُرْ مَحدُود ولا لِيه مَرْدُودْ
والقَافْ للشُّعارْ يبني عَلاقَهْ
الياصار الرَّجِل ما يجالِس الربْعْ ويجود ؟
جَواهِرٍ مِنْ نَظْمْ فَنَّهْ لَيا قَهْ

عَساه يرقُد بين طيّاتَ اللحودْ

في دوّةٍ يصبح قصيم الساقه

عازم، احييت القَلْب والقلبْ مَسدود

بوصْفَكْ عنودٍ من لون خدّه كباقه

وصبحْتَ أنا أرعى عشيري على زود

راعي المَباسِمْ والخَواصِرْ إدقاقَه

فتّحتْ جرحًا بالمَحاليج وكْبُود

ما ذُقتْ طعمَ النومْ حتى الشراقه (١)

عازمْ أنا للبيظ عَ الدُّوم راصودْ

والعُمر للمزيون يزهّر اوراقَهْ

بيظنْ وحنْطياتْ وشُقرنْ معَ السودْ

عَلّمتْهن طيبَ الهوى والمَذاقَهْ

كمْ مرّةً داعَبتْ لصغار النهود

بأنامْلِنْ يَحْني عليه برشاقَهْ

الّيا هَبْ ريحَ الليلْ والجوّ مبْرودُ

تلفّني بلحظنْ وتكُوبْ اشفاقَهْ (٢)

هذاك حُبَّ البِنْت بالروح مَشهودْ

يَهيّ مابينَ الجوارحْ احْراقَـهْ

وِشْ لَذَّةِ الدنْيا مِنْ دونَ الِعْهودْ
الْيا صارْ ما هَبَّ الْهَوا بِي شْراقَهْ
الحبّْ لَحرارْ المناعيرْ مَوْرودْ
والذِّيب يابِي الصيدمِنْ دونْ عاقَهْ (٣)
الحبَّ مايِعْرِفْ صبيٍّ وَلا عُودْ
ولا ظِنْ رَجْلِ الحبْ عِنْدَهْ قَناعَهْ
الحبَّ بِقلبِ الطِّفل اليا صار مَوْلودْ
ولا يِسلِمْ مِنه حاكمٍ ورَجِلْ فاقه ؟ (٤)
عانَرْ خَفيفَ الروح بالطِّيب مَعْهودْ
والغزَلْ يَمْحَكْ كالشَّهِدْ بِي عناقه (٥)
عانَرْ أناحَبَّيت مَسْلوبَتَ العُودْ
مَصقولَةَ العارِضْ لَذيذِنْ اخْلاقَهْ
الْيا مَشَتْ عِدَّهْ غزالٍ بالِصّعُودْ
خَضارْ عينَهْ زايْدِنْ عَ الحداقَهْ
ولا يوم ياعانَرْ بادِيتَهْ اصْدودْ
عَذْبَ الملاغَهْ يومْ يِظْهَرْ اعْناقه (٦)
واللهْ :خوفي الدَّهرْ يا راعيَ الجود
بِي ساعةٍ ماعادْ واللهْ تِلاقَهْ

لَحاوَرِكْ عانَرْ بحلواتَ الِجعُودْ
بَحْرِ الشِعِرْ عِندي عَزيِّ بطَلاوَقَهْ
وصلاةْ رَبِّي للبشر كلَّها فُود
يالله تِعْفِي امْتَّكْ والخَلاوَقَهْ

محمود مفلح الزعبي

١- المعاليج : المعاليق ويقصد بها الأحشاء .
٢- شباق : مايربط به فـم العليقة .
٣- المناعير : الزعماء ، علية القوم .
٤ - فاقة : ضعيف .
٥ - عناقه : معتّقة .
٦ - الملاوغة : التحدث والمكالمة ، ، اعتاقة : المدلع



٣ - تحية إلى شعراء حوران

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

انعقدت ندوةٌ للنهوض بالشعر النبطي في شهر آذار من عام ١٩٩٥م في مضافة الشاعر المبدع محمود مفلح الزعبي «أبو منصور» باليادوده. وبعد أيَّام بعث أبو منصور هذه القصيدة إلى الأديب الأستاذ علي المصري يُحيِّي بها الشعراء الذين حضروا معه تلك الندوة وساهموا بإنجاحها، يقول: في مطلعها: ظلَّ القلبُ مشغولاً طوال ستينَ سنةً بحب المترفات من الوئام الجميلات، ومن أجل ذلك عاندني هذا القلبُ وعصاني في حُبهنَّ، لأنهُ اعتاد عليهنَّ، فما أكثرَ ما سهرنا الليالي الطوال والناسُ نيام! وما أكثر ما سطرت اسمها وأحطته بجميل المعاني في قصائدي! وكثيراً ما واتت الأيام الطيبة لاصطياد البيض الجميلات أينما كُنَّ بالسهول أو الوديان أو المغاني الخصيبة! وهذا يدلنا على أن الشاعر مغرمٌ بعشق البيض المليحات أينما كُنَّ، ولا تستطيعُ أيُّ امرأةٍ أن تُشبعَ سغبَه وتروي ظمأه. فلا ارتواءَ من الجمال مادام في هذا الكون شمسٌ تدور، وقمرٌ يتدلى شلالَ نور، ووميضٌ للعيون الحور. وهكذا هو محمود مسكونٌ بالجمال متعلق بحب البيض الملاح في كل مكان وفي أي وقت في المساء أو الصباح.

بعد هذه المقدمة الغزلية ينتقلُ لغرضه الأساسي وهو

شكى الشعراء الذين أمّوا دارته، والاعتذار إليهم، ومداعبتهم، وها هو يطلب عذره من أصحاب الأقلام الشعراء وأولهم الدكتور الذي شفاه بعلمه ويقصد به الأديب علي المصري راعي الجلسة. ثم يتجه بالخطاب إلى أبي محمد عبد الكريم الحمصي فيقول: لا تلهك لا تلهك الحسان الحزام فيختلبن لبك، وكن دنيًا في صيدهن، لأن الدنيا زوال والعمر فانٍ. ويخاطب أبا عدنان عازر البشارح يذكّره بأيام الصبا التي ولّت بكل ما فيها ولم يعدْ له يدٌ تردّ غائلة الزمان وجوره، ويحرك شعره بقلب محمود الهواجس والأحلام، كما يذكّره بعنود الظباء منهن التي لا مثيل لها، ولا يدري موطن جمالها الأخاذ، أهي من جميلات حوران، أم حسناوات الشام؟ ولقد تركتني يا عازر في بحر لجيّ من الأماني.

ثم ينتقل محمود بعد ذلك ليفتخر بنفسه وأنه مغازلٌ من الطراز الأول، فهو فارسٌ مقدام في ملاحقة البنيّات الجميلات، والنفس حيّة راغبة والقلب ما زال مواتيًا مطواعًا. هذا القلب الذي فُطر على حبّ البيض الجميلات اللواتي لا يقوَّمْنَ بمال إلا وجحت كفتهنّ، صاحبات المباسم العذبة، والثنايا المليحة الخارقة بريق كالشهد المصفّى، وحولهن شفاه يزينها الوشم الأزرق الجميل، فبدت ثغورهن متألقة كالدرر والجواهر الثمينة. وأما الأقراط فتطوّق العنق الأتلع وتختلط به كما اللوحة البارعة، حيث تضفي شلالات الشعر المعطر عليه وضاءة ووسامة، حتى إذا ما فكّت اللثام وبان من أعلى الصدر والعنق ما بان، ذوّبت كبدي بحرّ الجوى وسعير الحنان وذوبتني معه.

ثم يعود ليخاطبَ أصدقاءه الشعراء، ويصفهم بأنهم من أنسال الكرام، ويطلبُ من أحدهم أن يزيدَ بوصفه للجميلات؛ وأما أحمد قداح فهو سيلٌ عرمٌ للقوافي، ويُحذِّره ألا ينسى القصيد وألا يتوانى بوصف حلوات المحاجر، وجميلات الوشم، فحبُّ مثل هؤلاء البُنيَّات يكوي أحشاءه ويوجعُ ضميره. بخاصة إذا كُنَّ بيضَ نواعمَ ومرتعهنَّ الرياض وحقول الخزامى، ذوات الخدود كشقائق النعمان. ثم يُخاطبُ الشاعرَ هاجم عيان؛ فيشكو له حبَّ البيض المربربات الحسان ويقول له: إن هواهنَّ يُحفي الأقدام، ورغم ذلك فهذا الشقاءُ من أجلهن فهو الحياة، وينبعُ اللذة. ولكم يتمنى الشاعر أنَّ النساءَ الجميلات في الدنيا يُختصرْنَ بثغرٍ واحدٍ لقبَّلَهُ قُبلةً واحدة وارتاحَ وأراح، ولو كان في ذلك جناية يرتكبها قلبُه الذي يَحبُّ النساءَ جميعاً، لأن امرأةً واحدةً لا تُشبعُ سغبه، ويتوب بعد ذلك من إدمان العشق ويصير من القوام الصوّام، ويشفي غليله.

ويناشدُ الشعّارَ والناس أجمعين والمسلمين أنهم يؤمنُ مثلهم أنَّ العشقَ مُحرّمٌ لكن الجريرةَ تقعُ على قلبه فهو الذي رماه، وأوقعه في شِباك العشق، ومن أجل ذلك فهو يريدُ منهم فتوى تُحرِّرُهُ من ذلك لأنَّه حجَّ إلى بيت الله الحرام وتمسَّحَ بأركانه.. ولأنه يَخشى أنْ يداهمَهُ الهوى والهيامُ حين تقدَّمتْ به السنُّ وخَطَّ الشيبُ مفرقَيه وينسى عندئذ صلاةَ الفجر وأذان الصبح فيأثم.

ويخاطبُ أخيراً أصدقاءه المجتمعين فيقول لهم: إنكم بندوتكم هذه قد أحييْتُم الشعرَ على أرض حوران،

وأضأتم دروبه ، وأبنتم فنونه وسلطتم عليه الأنوار بعد أن خبا ونام ، فبارك الله بكم وكلل مسعاكم بالنجاح والصلاة والسلام على رسول الله عدد الطيور الحائمة في بيت الله الحرام .

« بسم الله الرحمن الرحيم

تحية عربية ، وأشواقاً ومحبة لتلك الوجوه الطيبه لشعراء حوران ، وأقدم هذه القصيدة مع خالص تحياتي للإخوان الأكارم مقرونة بالشكر والمحبة »

محمود مفلح الزعبي

النص :

سِتّين حِجَّة بحُبّ ترفاتَ لِيّام
والقلبْ عنْ بُعدا الغزَيِّلْ عَصَاني(١)

ياما سِهرنا الليل !! والخلق نوَّامْ
ويَامَا سطَّرتِ إسِمْها بالمَعاني !

وياما قنصْنَا البيض مَعْ طِيبَ لِايَّامْ
بِسْهول مَعْ وِديان خِصْبَ المعاني

أطلب أنا عُذري من صْحابَ لِقْلام
من أديبنا « الدكتور » عِلِي وشفاني

« محمَّد ! » لا يلهيك لَبَّاس الحِزام
خلّيك ذيبَ الصِّيدْ والعُمُر فاني(٢)

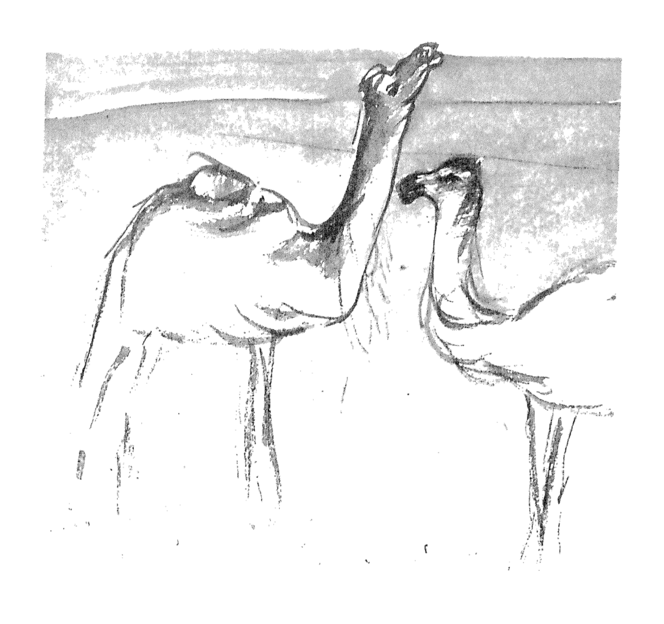
«عازَرْ» إيّامَ الصِّبا مالَها احْكامْ
وَلا عادْ لي يِّدِ عَجوُرَ الزِّماني
شِعْرَكْ دَعا قَلبي يْهُوجِسْ بَلِحْلامْ
تُذكُرْعَنودٍ مالَها وَصُفْ ثاني (٣)
مَدْري بِنتْ حُورانْ وَلّا مْنَ الشّامْ
دا عيتني عازَر ابْحَرا لا أماني
أني على طَرْدا البِنَيّاتْ مِقْدامْ
والنَّفِسْ حَيَّهْ، والقَلبْ ماجِفاني
قَلبي بْحُبّ اللّي على البيض تِنسام
راعي المباسِمْ ظَاوْيات الثّماني (٤)
ما بينِهِنْ شَهْدٍ مِن حُولَه اوْشام
جَواهْرِنْ مِن غاليات الثِّماني (٥)
والقِرْطْ حُولِ العُنِقْ كاخَطّ رَسّامْ
وِشْعورْ شَلالِنْ بعِطْرا لِقَنانِي
ألِيا بانْ ما بين المَدايِعْ والنّشامْ
أدوب أنا مِنْ حَرّ كَبْدي وحَناني
يا نُخبَةَ الشُّعارْ! يانَسْلَ لِكرامْ
ابراهيم زِيدَ بوَصِف حُلوَ الغَواني

أَحْمَدْ على القافات بِسيلِ الْيَاعَامْ
ايَّاكْ تِنسى يا لخوي، لا توالي
وَصّفْ لَخلوات المحاجرْ ولوْشَامْ
خُبَّ البَنَيَّه بالطّمايرْ كوَالي
البيض وِذْهِنْ مَرْتَع كُلَّهْ خزامْ
اللي حمارْ خْدوذْهِنْ ديدَحالي
هاجمْ حُبَّ البيض يخفي لمقْدامْ
بيهاالحياةْ ونَشوَة اليَا سَقالي
لَو النسّا بيتْغرْ واحدْ مِنْ عوامْ
لاقَبْلَهْ وارْتَاح لَوْ بَهْ جنالي
وَاتوب أنا مْنَ العشق وَاصيرْ صَوّامْ
وأشفي غليلي مَعْ جميع المثالي(٦)
وَانْشِدْ أنا لشْعار مَعْ كُلَّ لِسْلامْ
العشقْ مْحَرَّمْ والقلبْ هُو رَهالي
فَتوَهْ أريدَهْ مِنْكُمْ يا هلا اللاَّمْ
حَجِّيتْ بيتَ الله وزُرتْ المكالي
أخَافْ حين الشيب يزيدَ لِهيَامْ
وَنْسى صلاة الفجرْ وَيّا الوذالي

أنتمْ أحييتُوا الشعرَ من بعدِ ما نامْ
بحورانَ شاعَ النورُ والفنُّ باني
وصلاةَ ربّي عدْ طيرِ اليمامْ
على رسولَ اللهِ تِبهَكَّ المكاني

محمود مفلح الزعبي

١- ترفات الريام: الرقيقات المترفات من النساء أو الظباء.
٢- الخزام: حلية تعلق بأرنبة الأنف.
٣- العنود: الأنثى التي تقود قطيع الظباء خلفها.
٤- ظاويات الثماني: القواطع والثنايا من الأسنان البراقة المضيئة.
٥- الوشام: هنا بمعنى السيال، نقش باللون الأزرق على ظاهر الشفة السفلى.
٦- المثاني: ما ينثني من الأعضاء.



٤ - دعنا نزيد الحمد والشكر

للشاعر: عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص:

في أمسية رخيّة من أماسي الربيع، أولَمَ الشاعرُ محمود الزعبي أبو منصور لصديقه الأديب علي المصري، فحضرَ ومعه لفيفٌ من بطانته؛ شعراء وأدباءُ وكتّاب، وكانت أمسيةً من أجمل الأماسي التي لا تُنسى، وقد هزّت الشاعرَ عازر غنيم البشارة موهبةُ الشعر فأنشدَ هذه القصيدة يمدحُ فيها المُعزِّبَ الشاعرَ محمودًا، وصديقَه الأديب عليَّ المصري، فقال:

جرّدَ الشاعر من خياله شخصًا يطلبُ منه أن يتركه ليزيدَ الشكرَ والحمدَ لله مدبّرِ الأكوان. وأن يحيّيَ الهُمامَ الذي دعانا لمنزله الذي يرودُه خيرةُ الناس، إنّه منزلُ الشيخ محمود الزعبي فيمّمْنا شطرَ محمود صاحبِ المكرَم، مطلق اليدين للجود بقلوبٍ صافيه ورايات بيضاء دلالةَ المحبّة والوفاء.

ويطلقُ الشاعر قيمًا مدحيةً رفيعة على معزّبنا فهو طويلُ الباع في المكرمات، شفيعٌ لكلِّ الناس، معتادٌ على الشهامة والسيرةِ الطيبةِ ثمَّ يُخاطبُه بصفته «يا شيخ» ويخبرُه بأننا نزدادُ تعلّقاً بكَ يومًا بعد يوم، فقد عرفناكَ سليلاً لزعامةٍ الزعبية فأنت زعبيٌّ وابن زعبي، فعرفنا فيكَ الطيب والإخلاص وصنعناه كما صنعتَهُ، وقبلكَ عرفنا الكثيرين أمّا أنتم فحططْنا

الرجالَ في عزِّكم ومنبتِكم الطيِّب .

دعوتنا يا أبا منصورٍ فلبَّينا الدعوةَ يتقدَّمُنا صاحبُ المواقفِ والمهمَّاتِ الصعبةِ فنِعْمَ المرفيقُ الذي يدفعُنا إلى الوغى فنخوضُه معه ، إنه أبو عصام علي المصري الذي يُرشدُنا برأيه السديد ، فنطيعُه ، ولا نتحدَّاهُ أبدًا ، فهو الطبيبُ الذي يُداوي أوجاعَنا ويحنو علينا بقلبه الكبير .

ولولاهُ لضاعَ هذا اللونُ من الشعر النبطي لكنَّه قعَّدهُ وحفظَه لنا فرُحْنا نزدهي به ويزدهي بنا ، ووضعَ لنا أُسسًا تجعلُ القولَ سديدًا والمعنى قويًّا ، ووجَّهنا لمواضيع فوظَّفْنا شعرنا لخدمتها ، أمَّا إذا أخطأَ أحدُنا بالنحو والصرف فإنَّه يصلحُ عيوبَ قصائدنا ويضعُها في النصاب القويم .

ثم يتحدَّثُ الشاعر باسم الجميع قائلاً : نحنُ من القوم الذين يحفظون المبادئ ويُصرّون عليها ، وهذا رصيدٌ كريم ورثناه كابرًا عن كابر . ويختم قصيدتَه بالصلاة على النبيِّ العدناني الذي هو ما نطمح إليه ونسعدُ بذكرِهِ ، ويحمد الله ربَّ العالمين .

« تحيّة تهدى للشيخ الشاعر محمود الزعبي أبو منصور »

النصُّ :

دعْنا نْزيدَ الحمْدْ والشُكُرْ دَعْنا

لَلْخالقَ اللّي يسَّيرَ الكونْ بِرْضَاه

حَيِّ الهُمَامَ اللّي بِبيتَهْ جَمَعْنا
في مجلسٍ كلُّ الأجاوِيدْ تِنْصاهْ
لَشْيخْنا راياتْ بيضَهْ رَفَعْنَا
مَحْمود مَطْلُوقَه على الجُودْ يُمْنَاهْ
طويلْ باعٍ بالكَرامَهْ شَفِعْنَا
ضارٍ على الشُّومَاتْ يا طِيبْ مَثْناهْ
ياشِيخْ يَلّيِّ زادْ فيكُمْ وَلَعْنَا
سَليل زِعْبي ولَدْ زِعْبي عْرِفْنَاهْ
الطِّيبْ والاخلاصْ مِنْكُم رِضِعْنَا
وأنْتُمْ رِضِعْتُمْ قَبِلْنا ما رِضِعْنَاهْ
مَعْ غيرِكُمْ يامَا شَرِينَا وبِعْنَا!
عِزّ الفتى مَعْروفْ أصلُهْ ومَنْشَاهْ
قَبلْ أمس نَادانَا وحِنّا سْمِعْنَا
الشّيخْ أبو مَنصُورْ لا زادْ جِينَاهْ
قِيدْ وهْنَا راعي المِهمّاتْ مَعْنَا
نِعْمَ الرّفيقْ انْهُوشْ عَالمُوتْ وِإيّاهْ
أبو عِصامْ إليا بَدا الرّاعيْ طِعْنَا
الشّوْرْ بِيَّهْ والرّبُعْ ما تِعَدّاهْ

هَذَا الطَّبِيبَ اللّي يداوي وَجَعْنَا
قَلْبَهْ تحلاّنا وحَنَّا رِغِبْنَاهْ
لُولاَهْ ضَاعَ النَّبَطْ مِنّا وضِعْنَا
وبِتْنَا نَصَفّقّ بالأَيَادِي خَسِرْنَاهْ
لاَ لَمْعْ قُولَ النَّبَطْ حَنَّا لَمَعْنَا
والِيَا تْرَدَّى القولْ حِنّا تْبِعْنَاهْ
مِنْ فِعِلْ كَفَّه صارْ للقولْ مَعْنَى
وقُمْنَا نْرَكِّزْ عَا الغَزَلْ والمعَانَاهْ
قَصِيدْنَا لُو مَا خَفَضْنَا ورَفَعْنَا
مَصْرُوفْ مِن نَبْعِ المعَاني جَنِينَاهْ
واليُومْ لَحِفْظِ المبَادِي رَجَعْنَا
رَصِيدْ أَهَلْنَا عَنْ كِرَامٍ وِرِثْنَاهْ
وصَلُّوا على العَدْنَان غَايِةْ طَمَعْنَا
كِلْ السَّعَادَهْ فِيهْ وَالحَمْدْ لِلّهْ

مع تحية الشاعر عازر غنيم البشارة - درعا
١٠ - آذار - ١٩٩٦م

الفصل الرابع

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر عبد الكريم الحمصي

١- قصيدة الشاعر عبد الكريم الحمصي - إلى الشاعر محمود الزعبي:
« ألفٍ تحيةْ خصّ للشيخْ محمودْ »

٢- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر عبد الكريم الحمصي:
« جتّني رسالة معطّرهْ »

٣- رسالة الشاعر محمود الزعبي - إلى صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي، في النصف الثاني من شهر رمضان ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م - مرفقة بقصيدة بعنوان «ياعبد جاني منك قافن وموزون» رداً على قصيدة ضاعت فيما ضاع من تراث الشاعر.

٤- رد الشاعر عبد الكريم الحمصي - على قصيدة الشاعر محمود الزعبي:
« محمود ياشيخ الأجاويدْ »

٥- قصيدة الشاعر محمود الزعبي - إلى الشاعر عبد الكريم الحمصي:
« أشكي من ظُلْم الحبايبْ »

٦- رد الشاعر عبد الكريم الحمصي - على قصيدة الشاعر محمود الزعبي
« امشيتْ بين الشيخْ »

٧ - قصيدة الشاعر محمود الزعبي التي حلم بها - إلى الشاعر عبد الكريم الحمصي: «الدمع هَلّي قَرّحْ الجفنْ بدماه»

٨ - رد الشاعر عبد الكريم الحمصي - على قصيدة الشاعر محمود الزعبي: «يا لله يا الحب تعلم السرّ وخفّاه»

١ - ألف تحية خصَّ للشَّيخ محمود

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص :

نثبتُ فيما يلي نصَّ القصيدة التي بعثَ بها الشاعر النجيب عبدُ الكريم الحمصي، إلى الشاعر المرهف محمود الزعبي أبي منصور بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك للعام ١٤١٦هـ الموافق للعام ١٩٩٦م.

يبدأ الشاعرُ عبد الكريم قصيدته بإزجاء التحية للشيخ محمود الزعبي خاصةً، ويمدحُه بأنه سيِّدُ مَنْ قصَّدَ القصيد، وسيِّدُ الأسياد كلِّهم. وبأنَّه بحرُ الجود والطيب والحسن ويعجبُ الشاعر أشدَّ العجب من أولئك الذين يقولونَ: لم يبقَ جودٌ في هذه الأيام !!.

كيفَ وأبو منصور بحرٌ للجود؟ ويدعو له أن يزدادَ جوداً على جودٍ ليُخيِّبَ مقولةَ الخائفينَ، وأن يظلَّ قلبُه صَبياً مُختلِماً عشَّاقاً للغيدِ، صيَّاداً للحسان.

ويخصُّه بهذه القصيدة لأنَّهُ معقدُ الأمل، وموطنُ المرتجاء لكلِّ الشعر والشعراء، وليبقى سنداً ومُدافعاً عنهما.

ثم ينتقل ليتحدَّثَ عن الشعر، فيُعلي مكانتَهُ، ويجعلَهُ أشدَّ مضاءً من الأسلحة في مُعتركِ الحياة بمعانيه ومغازيه، فهو عِمادُ الأخلاق ومحرِّكُ الشيم، وأسُّ الشهامة، وملجأ المظلومين، ومهيضي الجناح، والشعرُ فرسٌ أصيلٌ، يمتطي صهوتَه شعراءُ فرسانٌ كالفهودِ يصولونَ به ويجولونَ حتى تُحقَنَ الدماءُ، ويوضعَ الحقُّ في نصابه. والشعرُ رسولٌ بين الخلائق بما يُبهجُ النفس

ويسرُّ الخاطرَ، يُغذّي الأرواحَ ويُطيِّبُ الحياة.. وأحلى الشعر ذاكَ الذي يصفُ البيضَ المليحات ويؤلّفُ للإشادةِ بجمالهنَّ، والهيام بهواهُنَّ بين الزهور والأوراد، حولَ الغُدران، وبين شدوِ الطيور، وعندلةِ الصوادح منها، ولا أظنُّ مخلوقًا يُخالفُنا الرأيَ في ذلك. فأنتَ يا أبا منصور مسكونٌ بالحبِّ منذورٌ للغرام، أنتَ معَهُما دائمًا على موعد، وعادتُكَ قنصُ الظباءِ السانحاتِ منهنَّ في الرياض والسهول، وعشرةُ أسرابهن الشارداتِ.. والشعرُ قصفٌ وبسطٌ ووصفٌ، مطرٌ وبرقٌ ورعدٌ له مواسِمُه وأيامُه حتى يزكوَ ويعطيَ أحسنَ الخلاقِ.

ثم ينتقلُ للغرض الرئيس من القصيدةِ وهو قيامُ شهرِ رمضان بين الصلاةِ والصوم والتراويح، ويربطُه الشاعرُ بموضوع الغزل، فهو نوعٌ من العِشق الإلهي على الطريقة الصوفية الذي يُغري بالركوع والسجود، حتى يتركَ ذلك أثرًا في جباهِ المتعبّدين من أثرِ السجود.

ثم يختمُ قصيدته بالاستغفار من الرحمن فيما لو تجاوزَ بأبياته السابقة حدودَ الحشمةِ، رغمَ أنَّ هذا مربوطٌ بذاك فكلاهُما عشقٌ وعبادةٌ، ثم يُصلّي على النبي الطاهر الجدود، راجيًا أن يكونَ شفيعًا للناس عند ما يُعرضون على النار.

« بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٦ هـ والموافق ١٩٩٦م أبعثُ بهذه القصيدة إلى الشيخ "أبو منصور" محمود مفلح الزعبي ».

النصّ :

ألف تحيّة خصّ للشّيخ محمود
سيد القصيد وسيدِ كلّ لِسياد
يا منبع للخير والطّيب والجود
مين الي يقول اليوم ماظلّش جواد
يا شيخ أبو منصور زود على زود
قلبك في عشّاق للعيد صيّاد
هذي قصيدة والأمل بيك معقود
حتّى تظلّ للشّعر سيف وسناد
الشّعر في معناه ثورة وبارود
والشّعر في مغزاه للموت ورّاد
وكلمة شهامة تظلّ للبيت عامود
يلجا لها المظلوم مجروح لفواد
وخيل تحمحم سود من فوقها فهود
وسهول ع مدّ النّظر خرج لطراد
والشّعر يصلح بين طارد ومطرود
ويحقن دم الصّفّين ويحقّق مراد
والشّعر رسل بين عابد ومعبود
للرّوح هوّ الزّاد ما أطيب الزّاد!

وِيَامَا قَصيدِهْ تْهِيمْ بِزْهُورْ وِوْرُودْ !

حُولَ الغَدِيرْ وِحُولْهَا الطَّيرْ غَرَّادْ

وَاخْلي قَصيدَ الّلي عَلى البِيضْ مَشْدُودْ

هْذَاكْ مَا بُوخْلَافْ مَا بِينْ لِعْبَادْ

وِانْتَ يَبُو مَنْصُورْ بَالحُبّْ مَوْعُودْ

عَ سُرْبِةَ الغُزْلَانْ بالرّوضْ مِعْتَادْ

الشِّعِرْ كُلّو مْطُورْ وِبْرُوقْ وِرْعُودْ

حَتّىَ يْصيرْ غِمَارْ وِحْصَادْ وِرْجَادْ

وِشَهْرْ كَرِيمْ هَلّْ لَلصُّومْ مَعْدُودْ

وِلَلتّرَاوِيحْ نْقُومْ وِنْشِدّْ لِشْدَادْ

الغَزَلْ يِغْوِي القَلْبْ بِرْكُوعْ وِسْجُودْ

وَآثَارْ لُونْ الخَدّْ مِنْ فُوقْ سَجّادْ

وَاسْتَغْفِرْ الرّحمنْ إنْ جُزْتَ الحْدُودْ

هَذَاكْ مِنْ هَذَاكْ دُوجَهْ وِمَاحَادْ

وَاخْتُمْ كَلَامي بِالنّبي زِينَ الجْدُودْ

يِشْفَعْ لَنَا مِنْ حَرْ نَارِهْ وَلَوْ قَادْ

عبد الكريم الحمصي

٢ - جَنْتني رِسالَةٌ مَعطَّرَه

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص :

هذه الدالية قصيدةٌ يردُّ بها الشاعر محمود الزعبي أبو منصور، على قصيدة بعثها إليه الشاعر عبد الكريم الحمصي، يقول :

ورَدَتني رسالة معطَّرةٌ بعودِ الندّ تحملُ فنوناً من الشعر وضروباً من القوافي العِذاب.. فتَّقتْ هذه القصيدةُ قريحةَ الشاعر محمود، وشرّعت بيانَ قلبه الحبيس ، فأحيتْ شبابَه وبعثتْ به النُّسْغَ وأعادتْ لقلبه الحياةَ، وأحْيَتْ ما تصرَّمَ من أيامه المنعَّمات، لأنَّ الشعرَ هو الحيُّ الباقي في هذه الدنيا، والغزلُ هو الشفاءُ لقلوب المحبّين، ومجدِّدُ الحياةَ فيها على كرّ الزمان وتعاقبِ السنين.

ويدعو الشاعرُ على أيَّام النكدِ وما تجرُّه على العبادِ من غُصَصٍ تُجرِّعُها قلوبَ المحبّين فتفرِّقُ، وتُجمِّعُ، ثم تَنسى ما صنعتْ بالناس، ويخاطبُ صديقَه الشاعرَ باسمه تودُّداً وتحبُّباً «عبد الكريم» قائلاً له : إنَّ الشعرَ نزيفُ المزيفِ، ورغمَ ذلك فهوَ لَذَّةُ العمرِ، وأحلى ما في الحياة، وهو غايةُ المراد وأقصى ما يتمناه الشعراء.

ويبدو أنَّ الشاعر محمودً يحسُّ دبيبَ سِنيِّ العمرِ زاحفةً على بيادرِ الزمن المتهاربِ، فيقول : لو أنَّ العمرَ بيده لحطَّمَ أسوارَ السنينَ وكسَرَ حدودَ الزمن وأعادَ أيَّامَ الحبِّ الزاهية ولذائذَها لا يحسبُ حساباً لمخلوقٍ، ولا يخاف

الغُزَّالَ والشامتين ، وتجودُ على محبوبه بحنانِ قلبه ، هذا المحبوبُ الذي يُضاهي أعوادَ الريحان الرخصةِ النابتة على ضِفافِ السيول، أو على أطراف الوديان رقّةً وجمالاً ، وهو يمشي الهوينا تيّاهاً بنضارته، متباهيًا بفقع نهودِهِ الصغيرةِ التي تبرعمُ على صدرٍ تغطّيه شلالاتٌ من شعرِها الأثيث الجَعْد، وغمائر جدائلها المتشكلة .

تُروِّعه صباحةُ وجهها ووضاءتُهُ ، فيستغيثُ بصديقه باسمه مرخّمًا مُتحِّبًا مِمَّا يراه !!. إذْ كيفَ يجتمعُ في وردِ خدودها الجمرُ والرواءُ معًا ؟. وهو الذي يرى بأمِّ عينِهِ اشتعالَ النارِ ووهجَ الجمرِ يتلامعان في خدّيها. أمّا إذا أقبلَتْ ازْدَهاكَ جمالُها ، وإنْ أقْفَتْ استباكَ قدُّها، أمّا إذا مشت فحنودُ ظباءٍ تتخطّى مُتفرِّدةً بمشيتها لا يُضاهيها غيرُها ولا يُشابهها أحد.

وإذا زارَها في أوّل الليل ومسّهُ البرد استقبلتْهُ بحضنها الدافئ وأنسَتْه الشرابَ والطعامَ وأغرقَتْه في فيضٍ من النُعْمَيَاتِ الشابّةِ التي تأسرُكَ بلطافتِها وطفولتِها ، وأجبرتْكَ أن تُعامِلَها وتُداريَها كطفلةٍ لا تحتملُ صدّاً ، ولا تقبلُ بُعداً ، ولا يُرضيها غيرُ الحبِّ لها والوفاءُ لعهدِها ، والدلالُ لطفولتِها، والصدق لمواعيدِها، فيأخذُ آنئذٍ بيدها، يجوسُ معَها الديارَ، ويَرْتادُ بها الرياضَ المؤنّقة يَسعدان بأيامِهما ، لهوًا ولعباً تحتَ ظلال أشجار الليمون والكبّاد وما يتساقط تحتها من زهراتٍ تُعطّرُ الآفاقَ ، لا تُروِّعُهم مقالةُ عدوٍ، أو وِشايةُ عاذلٍ وحسود، فهما يُمارسانِ حبَّهما تحتَ أشعّةِ الشمس وفي وضَحِ النّهار

بكلِّ براعةٍ وطهارةٍ كما العصافير. ولأنّهُ عُرِفَ بالأمانةِ والصدقِ فلا يستريبُ به أحدٌ، فما خانَ جارًا، ولا اهتضمَ حقاً لأحدٍ، يؤدِّي الحقوقَ لأصحابها، وإذا طولِبَ بحقٍ انقادَ له بكرمٍ وسماحةٍ.

ثم يصحو الشاعر المحمودُ محمودُ الزعبي بعدَ أنْ استجرَّهُ الحديثُ وسرقَهُ تساوُقُ الزمن، فإذا بكلِّ ما مرَّ أضغاثُ أحلامٍ كانت أيامَ الشبابِ حيثُ الفتوةُ والعزُّ والمرحُ والزَّهْوُ، فهل تعود؟. ليتَها تعودُ، لأنَّها مرَّتْ سريعةً كمرِّ السحاب.

ويتحسَّرُ الشاعرُ على أيّام الورْدِ على الينابيع مع أسراب الورّاداتِ الجميلاتِ وهنَّ يملأْنَ الفضاءَ بجمالهن، فقد ولّى العمرُ، وفاتتِ الأيّامُ ولم يبقَ منها أثرٌ إلاّ الذكرى.

ثم ينقدُ الشاعرُ المقصيدَ، ويقول: إنه ما مِن شعرٍ إلاّ ويجدُ ناقداً ينقدُه، ومطعناً عليه يطعَنهُ، والشعرُ ليس وقفاً على شاعرٍ واحد، بل هو قدرٌ يتقاسمُه الشعراء.

وكأنّي بمحمود وقدْ أحسَّ بتورُّطه في الحديثِ عن الحبِّ، عن تجاربه الحيّةِ في ميادين الغرام أيامَ كانت الدنيا لاتسعُهُ على سَعتها، وأفرغَ بين يدَيْنا وفاضَهُ، وأطلعَنا على أسرارِه، وأرادَ أن يُخبئَ عنّا، فدارى هَواه، فقال ما قال في الشعر، على اعتبارِ أنَّ الشعراءَ يتبعُهم الغاوون. ولا أظنُّ محموداً الفنانَ يُرضيه ذلكَ، ولكنَّها سانحَةٌ خطَرتْ بالبال فسجَّلَها.

ويختم قصيدتَه بالصلاة على رسول الله، على عدد

مايركعُ المكبار بالسنّ ، وما سار كلّ قطّاع أودية مشّاءٍ نجـــود .

« إلى الأخ الغالي الاستاذ عبد الكريم الحمصي هذا ماطلبتَ مني على نفس القاف وفّقكَ الله . »

النص :

جَتْني رسالهْ معَطّرَهْ بندّ وَالعودْ
بيها فْنون الشّعرْ وَالقَافْ وَالصّادْ
كِنْ فتّحتْ بِيبانْ قَلبيَ المسْدُودْ
وِحْيتْ شَبابي وعادْ للقَلْب لِعْيادْ
الخيرْ بالدنْيا والشّعرْ مَوجُودْ
وِالغزَلْ لَقْلوبَ المحبّينْ عَـوّادْ
اللهْ يخُونْ الدّهَرْ أيامَهْ انكُودْ
تْفرّقْ وتجمَعْ ثمْ يِذْهبْ وِيْنبَاد
عبدَ الكريم ، الشّعرْ بِالدّمْ مَعْمُودْ
هُوّ الحياهْ ولذّة العُمُرْ وِمْرادْ
لَو العُمرِ باليَدّ لا حَطْمْ اقْيودْ
وَرْجعْ أيّامَ الحبّ ولا خَافْ نقّادْ
حبّيب قَلبي لي حَنانَهْ لِيَ يجود
ريحانْ سِيلٍ نابْتنْ من على الوادْ

يتمشّي الهوينه خوّفه صُغرَيْنِهود
وشعورها علصدر تكسيها لجعاد
كحم كيف الماءْ والجمرْ عَ خدود ؟
بعيني نظرة النوّر يشعل بوقّادْ
اليا قبلت تزهي، ولفّت بالقدود
واليا مشت عنود ظبي على افرادْ
اليا وتيته بوّل الليل مبرود
اليا لفّني بالحضن أسبت بلا زادْ
مثل الطفل مايوم باديتها اصدودْ
حنا على عهد الهوى وطيب ميعادْ
مرابع حلوة وايامنا سعودْ
نلهو ونلعب حول زهرات كبّادْ
مايوم خفنا الضدّ والفعل مشهودْ
ولايوم خنّا الجار وتلحق ننقادْ
أيّام الشّباب، العزّ، والمرح، مايعودْ
مضين كما سحاب غيّم بلا اعدادْ
ويا ما وردنا على النبوعة مع الخودْ!
العمر ولّى وماله اليوم مسناد! (1)

الشِّعْرُ ما يخلو مِنْ كُلِّ مَنقودْ

والشِّعْرُ ما هو وَقُعْ كُلِّ نَشّاد

وصلاةْ رَبّي كُلْ ما يِرْكَعَ العُودْ

على رسول الله وما مَشَى نَجّاد (٢)

(١) - الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابه ما لم تصير نصفاً، وقيل الجارية الناعمة

(٢) - العود : الشيخ الكبير المُسِنّ .

٣- نص نثري

نُثبتُ هنا نصَّ الرسالة التي بعث بها الشاعر محمودُ مفلح الزعبي إلى صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي، بمناسبة هلال شهر رمضان قبل أن تتفجَّرَ ينابيعُ موهبته الشعرية بالقصيدة التي مطلعُها «يا عبد جاني» لأنها قطعة أدبية فيها من البثِّ والنجوى ما يُسلكُها في باب الأدب الإخواني الرفيع.

« أخي عبد الكريم الحمصي أبو محمد المعذرة إذا كانت فيها بعض الأخطاء اللغوية، فليس على المريض حرج

٩ رمضان ١٤١٦ هـ محمود مفلح الزعبي »

النص:

أخي العزيز الأديب: عبد الكريم الحمصي حفظك الله تعالى.

تحيةً عربيةً صادقةً ومحبةً غاليةً. لقد كانت مَنْوتي معرفتك من زمان الشباب لكي نتحاورَ بالأشعار النبطية لنعطيَ الغزلَ حقَّهُ.

ما كُلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ
تجري الرِّياحُ بما لا تَشتهي السفنُ

كما قال الشاعر العربي.

عزيزي: لقد نَبَا بِيَ المضجعُ وأيقظني الحنينُ وهاجمتني الذكرى يوم قرأتُ بِشعرِكَ.

لعبتْ بِيَ أمواجُ الأحلام وصراع في داخلي

أيقظني من سُباتي ، لقد هاجمني الشوقُ للأيَّام الماضية ، ظُلمٌ من الأيام أمْ قدرٌ مكتوبٌ على الإنسان أن يذوقَ مرارةَ الأيام ، وحلاوةَ الذكرى ، خمسةَ عشرَ عامًا وأنا مولعٌ بحبيبٍ غالٍ عذَّبني كثيرًا وسهَّرني كثيرًا ، وأبكاني كثيرًا .

بينَ خمائل الورود وعلى ضفاف الأنهار ...
تذكَّرتُ عدمَ المسؤولية في أيّام الشباب ، أحببْتُ القمرَ لأنَّه جميلٌ كحبيبتي ، وكم مرةٍ تمنيتُ غيابَهُ لأنها تُعوضُني عن نورهِ بين الخيام الجميلة ، وكانت أشعةُ النجوم تتلألأ كعقودٍ على نحورِ الغواني ، ياله من مَنظرٍ لا يغيب عن ذاكرتي !

تذكَّرتُ الكأسَ الممزوجَ بسرورِ الحسناوات ، تذكَّرت العطورَ بالقرَنْفُل ، والمحْلبِ الزبيدي مع ساكنات الخيام ، مع ذلك لا أنسى وأنا على ظهر فرسي أُصارعُ الذئابَ في عَتْماتِ ليالي الشتاء ، وأنا ذاهبٌ لمقابلةٍ بطريق طوله عشر كيلومترات تقريبًا .

وأَعودُ بعدَ المرَحِ والشوقِ والعتاب والغزل حتى طلوع الشمس ، أحبُّ الخيام ، أحبُّ الغزلَ من جميلات البداوة ، هناكَ الحياةُ ، هناكَ الخمرُ المذابُ بين

شفتين كالعقيقِ الأحمرِ بلا أصباغ ، غير حمار الطبيعة ، هُناكَ الذكاءُ حينَ تتفهّمُ شِعركَ ، وهناكَ الجوابُ ، وصدقُ الحبِّ ، هُناكَ لا حبَّ بالمالِ غيرِ قلوبٍ يعذّبُها العشقُ والغرامُ الشريفُ ، البعيدُ عن أجواء المدينة الزائفة .

أخي عبد الكريم لا أُطيل عليك بشرحي لأنَّ المرضَ يُعاودني .

وصلني شِعركَ الجميل ، ذلك القافُ المرتَّبُ فأثلجَ صدري ، لقد بكيتُ وأنا أشرحُ بِشعْرِكَ ، ومع ذلك تابرتُ على قِصَّةِ حياتي مختصرةً ، ولقد بكيتُ الكثيرَ ، وعَذَّبْتُ الكثيرَ من الغواني الطامعات بالحبِّ ، مع ذلك لم أَظْلِمْ ولم أُعَذِّبْ إنسانةً على غيرِ إرادتها . ولكنَّ الأيامَ لا تَنسى فقد بعث لي عنوداً من النساءِ جميلةَ المنظرِ والجسمِ ، عذبةً خفيفةَ الرّوحِ أحببْتُها حُبّاً صحيحاً من قلبٍ خالصٍ ، قابلْتُها ، عَشِقَتْني ، وعشقْتُها خمسةَ عشَرَ عاماً ، ولحدِّ الآنَ بيْنَنا مودةٌ وذكرى ، كان حبًا شريفًا بيننا ، وحصيلةٌ في بعض المقابلات أسرقُ منها بعض القُبَل على حين غَفْلَةٍ ، مع أنَّني أستطيعُ أنْ أحصلَ على ما أتمناه ، ولكنْ كنتُ أخافُ

قطعَ خيطِ معاويةَ .

بالقصيدةِ التي أبعثُها لكَ تشرحُ كاملُ عنها .

ياعبدجاني منك قافٍ وموزون

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص :

نشرح فيما يلي نص القصيدة التي يردُّ بها الشاعر محمودُ الزعبي على قصيدة صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي التي بعث بها إليه بمناسبة هلال شهر رمضان ١٤١٦هـ .

ياعبد : هذا ما يبدأ به الشاعر محمود قصيدته ، فاسم صديقه مُقدَّمٌ على كلِّ شيء ، ثمَّ يخبره بوصول قصيدته الغرّاء إليه موزونة مُنمَّقةً ، فيها بلسمٌ لقلوب المحبِّين يُستشفى به ، ثم يخاطبُ صديقه الأديبَ ربَّ القوافي والشعر الموزون ، وبأنَّه علمٌ في هذا الفنِّ مرفوع الذُّرى ، كيف لا وقد ذكَّرهُ بعشق المليحات وبثمارهنَّ الدانيات على الأغصان . وبشلالات شعرهنَّ المنساب نهراً على المتون .

ويشكو إليه طعنات الأجفان الناعسة التي ابتُلِيَ بها فتركْنَ قلبه مصاباً عليلاً . خمسة عشر عاماً وهو عالقٌ بشِباك مزيونةٍ تنشرُهُ على امتداد الليالي بأحاديثها الغزلية التي لاتُقاوَم ، وإذا التقيا سحَرَتْهُ بسهام عينيها ورفيف أجفانها ، أمَّـا إذا تباعدا فإنَّهُ يصرفُ على أسنانه ويعضُّ على النواجذ أسىً ولوعةً ، وإذا زارَ دارَها فإنَّ الفرحَ يُداهِمُه لأنَّهُ سَيلقاها هناكَ ، وحينما يغادرُهم يغزوه الحزنُ ويكتسحُهُ الأسى وكأنَّ سهمًا اخترق قلبَه فمزَّقه . وكثيراً ماجارَ بأحكامه على البيضاوات الحِسان وعندها تحزَنُ وتكثرُ شجونُه ، لأنَّهَا ستأتي في اليوم التالي تنتهبُ عقلَه وتسلُبُه لُبَّهُ . ولا فكاكَ له من هوى غزالةٍ تلوحُ

جدائلها على متنيها ، فتذبحه، ولا شفاءَ له من حبّها لا بالسّحر، وَلا بالرّقى والتّمائم. فلا القلبُ يَسْلوها ، ولا العقلُ يُخالفُها لأنّه سجينُ إرادتها، وهو كالطفل تلعبُ به كما تلعبُ بالدمية، يخضعُ لها حتى حواسُه الخمسُ تَخرُّ أمامَها طائعةً ، وحتى عذابُ قلبِه يُداويه حُبُّها. وهكذا أصبحَ مَسلوبَ الإرادة، مظلومًا تتلاعبُ به الأيّامُ الهوجُ ، وتُسَدُّ الأبوابُ بوجهه أينما اتّجه ، حتى باتَ كالمجنون ، وهذا ما يعترفُ به لصديقه عبد الكريم ، وكَمْ من راهبٍ جرْجَرَهُ الهوى فهَجَرَ صومعَتَه وخلعَ ثيابَ الرهبنَةِ وساحَ كالمجنون بين الوِهاد.

إذا كانَ الأمْرُ كذلكَ فإنّه مضطرٌّ أن يُسلِّمَ أمرَه لخالقِ الكونِ مُسَيِّرِ الأفلاكِ من ظلم ربّةِ الشّفاه الحمراوات كحبّاتِ العُنّاب. والعمرُ ياصديقي أصبحَ باهتًا لا لونَ له، ولم يبقَ له غيرُ الصبرِ على مرارته وفراقِ الأحبّةِ ومُهاجرتهم طوعًا ، فقد ولّتْ أيامُ الهوى والشباب يومَ كانا يلعبانِ على أطرافِ السيول بين شقائق النعمان ، وهذا ما تشهدُ به مرابعُ الجولان وهضابُه . وأكثرُ ما كانَ يَسحرُهُ ويستَبِه مدلّعُها ولبّاتُ عُنُقِها المغطّاة بجدائل شعرها الساحر، فتتلاعبُ بـه الأشواقُ وتُطوّحُ به سكَراتُ الحبِّ فيستسلمُ لها.

ثم يُنهي قصيدتَه فجأةً ، وكأنّه ضَبَطَ نفسَهُ وقد أسرفَ في حديثه عن الهوى والمليحات . فصلّى على النبي محمد كلّما صاح مؤذّنٌ وعدَدَ ما نبتَ في الأرض من أعشاب.

« أخي عبدالكريم :

النص :

ياعَبْدْجاني مِنْكْ قافْ ومَوزُونْ
بَلْسَمْ لَقلوبَ المحبِّنْ يِنْجَـابْ
أَنتَ أديبَ الْقافْ وَالشِّعِرْ وفْنُونْ
وِنْتَ عَلَمْ مَرْفُوعْ عَ رَاسْ مِرْقَابْ
فَطَّنْتَني ياخُوي بِثّمارَ لِغصُونْ
وشْعُورْهنْ شلاّلْ عَ المِتنْ يِنْسابْ
عبدَ الكريم أَشْكِيلَكْ مِنْ حُلْوَ الجفُونْ
هَلِّي بَلاَني وُدعَ القَلْبْ مِنْصابْ
خَمْسِتْ عَشَرْعَام مُولَّع بمَزْيونْ
هَرْجَ الغزَلْ بِيناتْنا دُومْ غلاّبْ
إِلْيا تْقَابَلْنا سَحَرْني بالعْيُونْ ...
وِلْيَا تْباعَدْنا أَصْرِكْ علَى النّابْ
أَفْرحْ اليا زُرتْ الدّار وهُمّ يِهَلُّونْ
واحزَنْ وَلي هِقْفِي وبالقَلبْ نَشّابْ
ياما ظَلمتْ البيضْ وكَثْرةَ لِشْجُونْ !
ظَالمْ وَتَاني اليومْ لَلعقْل نَهّابْ
غازالة يازَينْ هزّاتَ لمشُون !
تِذْبَحْ ولاَ يِنْفَعْ بَهاسِحِرْ وِحْجابْ

لا القَلبْ يِسْلاهَا وِ العقل مَسْجُونْ

وَانا كِما طِفل يِلْعَبْ فِيَ الطَّابْ

حَتَّى الحوّاسَ الخَمسّ فيها يْطيعُونْ

حتَّى عذاب القَلْبْ بِيحُبَّها طَابْ

واصبحْتَ مَسلوبَ الإرادهْ ومَغْبُونْ

وتِلْعَبْ فِيَ الأَيامْ وِتْسَكَّرِ بوابْ

ترَّ العِشْقْ كَرِيمْ يُوزعِي لِلجّنونْ

كَمْ راهب تَارِكْ لَدِيرَهْ والثياب

سلّمِتْ أمْرِي لخالِقَ النَّجم وَالكُونْ

من ابُو بْريطْم شِبه حبّاتَ عنابْ

والعُمُرْ ياكريم ماظَلْ بَهَ لُونْ

غيرَ الصّبرْ والمُرْ وفِراقْ لِحْبابْ

يَامَا لعِبْنَاعَ سُيول وِدَحْنونْ !

ومَرابعَ الجُولانْ تِشْهَدْ وَالهِضابْ

الْيا بَانْ مِدلَعَهْ وغَطّاهْ القُرونْ

تِلْعَبْ فِيَ اشْواقِ المحبَّهْ وتِنْسابْ

وصَلاةْ رَبِّي كُلْ مَاصَاحْ ماذُونْ

على مْحَمَدْ عَدْ مانبْتَتِ اعْشَابْ».

٤ - محمود يا شيخ الأجاويد

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

تصلُ قصيدة الشاعر محمود الزعبي التي عنوانها «ياعبدجاني منك قاف وموزون» فتستثيره معاني القصيدة وما تطفح به من حبٍّ وتقدير، فيردُّ عليه بقصيدة جوابية يبدأوها بنداء صديقه شيخ الأجاويد بلا منازع، وفرح الضيوف الخياب إذا ما دقوا على الباب. وهل هناك مدح أكثر من ذلك.

جاء لي منكَ ياشاعري قصيدةٌ موزونة مقفاة، يعطّرها عود الندِّ وطيب رائحة الهيل .. ويطلب له العون من الله تعالى ليساعدَه على ماكتبه عليه وقدَّره من ارتهانه لجمال المليحات ووقوعه في أسرهنّ.

ويطلب عبد الكريم من الشيخ أبي منصور أن يظلّ على هون وحذر من عشق الجميلات ووصفهن، فقد ذبح صحبه بهذا الحب المعظم لهن .. ويصفه بأنَّه مهيِّج العشاق، ومطلق حناجرهم بالغناء والحُداء في عالم العشق المنوّر بالربيع الأخضر والنعيم الذي يغرق فيه.

ثم يمزج الشاعر بطريقة رومانسية جمال الطبيعة بملامح شاعره محمود، فتحس الرقة والعذوبة تتقطر من فوهات الحروف فيقول:

إن الشمسَ إذا طلعت ، وشقائقَ النعمان اذا تفتحت فلتقِفَ بباب الشيخ محمود ، وترفضَ أن تغيب عنه ، وكذلك هي سهرة الفراشات والحساسين وجمام النبت والأعشاب تحطُّ هناك الرحال وتستريح .. ويوغل الشاعر الحمصي في مدحه إلى أفقٍ مابعده آفاق حين يضيف إلى مامرَّ من عناصر الطبيعة أن القمر يقف معها على باب الشاعر محمود الزعبي يرتِّلُ سورة القاف والنون حرزاً يحميه . وإكراماً يُزجيه ، كذلك تسرح النجوم على أعتابه ، وتسرح القلوب ولا تذوب من روعة ماتراه .

ثم يتحدَّث الشاعر عن الفن الشعري ، فيقول نحن نُشَّار القوافي والشعر الموزون نُبَذاً وإيحاءً ، والشعر لا يُلَمُّ بجراب ولا بكيس . فالشعر طيفٌ سارح ، وموهبته خارقة كالحب تستوطنُ القلب ، فإنْ أردنا أن نتوبَ عن نظم الشعر فإنَّ القلب يتأبى ولايتوب . والشاعر الحمصي كصديقه الشاعر الزعبي مطعونُ الكبد بالحبّ منذ خمسة عشر عاماً ، طعنةً نجلاءَ بيد الأحبه تخترقُ الأحشاء بقوس نشّاب ، وتصارع الأهوال هنا وهناك بسحر شفتين قادرتين أن تصرعا ذئاب ابن غانم « بطل تغريبة بني هلال » وذئاب الفلاة بسطوتها .

ويحمدُ الشاعر الحمصي ربه بأن شاعره الزعبي كان لادنياً في شعره ولا متهتكاً بل ظلَّ عالي المرتقى ، بعيد المنأى عن المعيبات .

ويعده الشاعر أن يظل حافظاً لسره وفتونه في مسارح الجمال ، لن يبوح به ، لأنه حب متميز يختلف

عن حب الآخرين وفنونهم .

ويختم قصيدته بالصلاة على النبي سيّد الكون ولن يخيب ظنه بهذا النبي أبداً .

رد على قصيدة الشاعر النبطي محمود مفلح الزعبي والتي بعث بها إليّ ومطلعها :

يا عبدْ جاني مِنكْ قافٍ وموزونْ
بَلسمْ لقلوبَ المحبينْ ينجابْ
أنتَ أديبَ القافْ والشعرْ وفنونْ
وأنتَ علم مرفوع عَ راس مرقابْ

النص :

مَحْمود شِيخ الأجاويدِ بِلْعونْ
ويا فرحةِ الحبابْ دقّوا على البابْ
جاني كتابٍ مِنكْ بالقافْ مَوزونْ
ومعطّرٍ بالنّد والهيلْ وِطيابْ
مرهونْ للزّيناتْ يا شيخ مَرهونْ
الله يعينكَ عَ القدَرْ ولكْتابْ

يا شيخ ابو منصور خلّك على هونْ

ذبحتْنا يا شيخ بيحُبّ لحبابْ

يا مْهيّج العشّاقْ وهُمّا يِغنونْ

ربيعْ أخضر مِن حوالَيكْ جذّابْ

الشّمس طلعت حين فتّح الدّحنون

وقْفَتْ بابِ الشّيخ ماتْريدْ لِغيابْ

سِرْب الفراشْ يِطيرْ ويطير حسّونْ

ويتمايل الزّهر زوْمْ وترتاحْ لِعشابْ

والقمرْ يِقْرا سُورة القافْ والنّونْ

والنّجم يسرحْ سرحْة القلبْ لاذابْ

وحِنّا نلمّ القاف والشّعرْ وفنونْ

والشّعرْ ماينلمْ بسْوالْ وجْرابْ

والشّعرْ مثل الحبْ بالقلبْ مَطمونْ

تَبْنا نقولَ القافْ والقلبْ ما تابْ

مِن خمس طعشرْ عام والكِبدْ مَطعونْ

طَعْنِ الأحبّه يدرق بقوسْ نشّابْ

وتصارع الظّلماتْ من هُونْ لاهُونْ

لجل لِبْريطمْ تصرع ذياب وذباب

والحمد لله بالعشق ماكنت دُونْ

ظلّيتْ عالي مرتقي راسْ مرقابْ

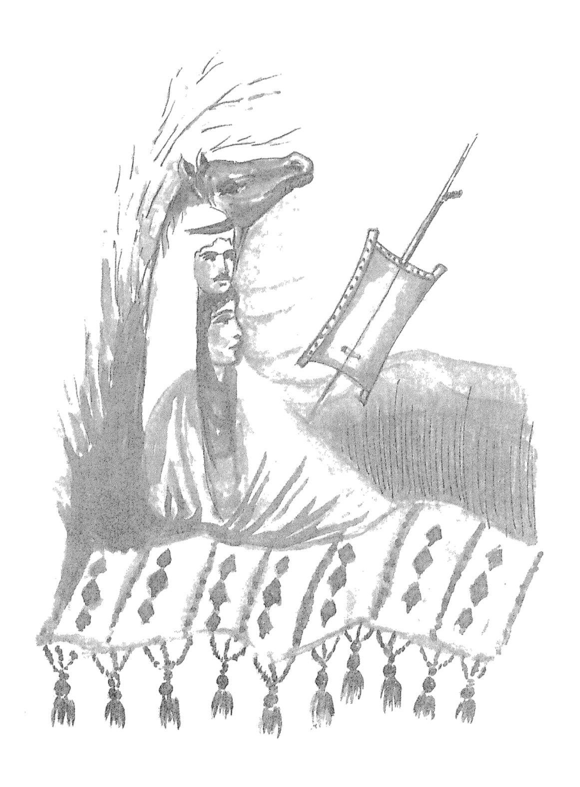
بالحفظْ سرّكْ يبو منصورْ والصّونْ

بيني وبين النّاس شوجابْ لاجابْ

واختمُ كلامي بالنّبي سيّد الكونْ

ماخاب ظنّي بالنّبي الزّين ماخابْ

عبدالكريم الحمصي



٥ - أشكو من ظلم الحبايب

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

يُرسل الشاعرُ محمود الزعبي قصيدته إلى صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي يشكو فيها على نميقةٍ كان قد أرسلها إليه يمتدحُ فنَّه الشعري ويُحلِّلُ بعضًا منه، فأطربتْ تلك النميقةُ محمودًا، فبعث إليه يقول:

أشكو إليكَ يا عبدَ الكريم ظلمَ مليحةٍ استبطنَ حبُّها أعماقَ القلب، فدلَّلها ورعاها بكلِّ الوسائل، دون أن يبوحَ لها بحبِّه الذي أخفاهُ بين أحشائه، وحاولَ أنْ يتداوى من حبِّ هذه البُنيَّة ذات الصدر المرمري العامر، بكلِّ الأدوية، والحُجُب، والتعاويذ، ولكنَّه عيَّا على الطبِّ والرُّقى. لأنَّ سهامَ هذا الحبِّ نفذتْ إلى عُمْق أعماقِ الشاعر فأصْمَتْهُ بجروح الجسدِ والضمير، من لفتاتِ عينيها وائتلاقِ الضوءِ في مُوقَيْها، فلا تلمني يا عبد الكريم إذا ما نحبْتُ وتساقطَتْ دموعي ساعةَ خلوتي بها بعيدًا عن أعيُنِ الشانئين، وارتشفتُ الرحيقَ من بين شفتيها وثناياها العِذاب، وإنَّها لَتسحَرُني بطيبِ حديثها وحلوِ منطقِها، وهذا ما جعلَني أندفعُ في عِشقها غيرَ هيَّابٍ لما قد يعترضُني من عَقبات، كيفَ لا وأنا الذي ارتهَنَ جسمَهُ وروحهُ لديها رغم إرجاء اللوم عليَّ من قِبل بعض الأصدقاء والأصحاب، لكنْ ماحيلتي إذا كنتُ جارحًا كطير الحرِّ الذي يصطادُ طريدتَه برِقَّةٍ

جُنْح ؟ وأنا ياصديقي غارقٌ بحبِّ مجاورتي حتى أذني ولا يُمكنني أن أخونَ حُبَّها يومًا ، بل أُفْتديها بما أملِكُ دون حساب ، فهي مُخبَّأةٌ في قلبي ومغلقٌ بِقُفلٍ ومفتاح ، فكم من سبية أنقذها فارس مغوار استبته بجمالها ، فعشقته تلك المطوقة ؟

والبعض الآخر من الرجال قُدَّتْ قلوبُهم من صخر. وعقولُهم من جلاميدَ صِلاب ، لا ذوقَ لديهم ولا إحساس.

ويختم قصيدته بالصلاة على النبي ماسارت الخلائق على الدروب .

هذا ماقدم به الشاعر قصيدته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخي الأديب والشاعر عبد الكريم الحمصي أبو محمد حفظكَ الله .

تحيةً عطرة ومحبة .

ما أجملَها من مخطوطة وصَلَتْني منكَ ، لقد أعادت أحلامي ، وأيقظتْ مشاعري ، وهيجتْ الدماء فيّ ، وتغلغلت في أعماق قلبي بنشوة الماضي وحلاوة الحاضر .

لقد أسعدني الحظُّ بمعرفتكَ وأعجبني قلمُكَ الغزيرُ بالمعرفة ودقائق الأمور . سأشكرُكَ جداً لِتقويمي وتحليل شعري فهذا كرمٌ منْكَ ودُمتَ سالماً .

وتلك هذه القصيدة » .

النص :

أشكي أنا كريم من ظُلْمَ لحباب
من حُبٍّ مهلوجن وعا لقلب معشوق
دَلَّلتها وراعيتها لحُسْنَ لسباب
وخفيت حُبَّه بين ضِلْعن ومعلوق
وعيّت أداوي الروح لي طِبٍّ وحجاب
مْن أبواصْديرن مْرمَرْ اللون مطبوق
حبّه جرحني بالضّمايِر بنشّاب
ياهول عيني يوم ايبدي لي الموق (١)
لا تْلومْني كريم والدّمع نحّاب
اليا اجْتمعنا بخلوة دون مخلوق
يا سلسبيلن بين لشفاف والناب
لسحر جليسة بهرجها وطيب منطوق
والله ماني عن عشقها بهيّاب
جسمي وروحي والعقل ليه ماسوق (٢)
ولو لامني بعض الرفاقة ولصحاب
الحرّ يرمي صيدته بجنح وسبوق (٣)
آني غريق بحبّ سكان لطناب
عاشيقهن مايوم بادِنّه بوق (٤)

لفديه بمالي من دون حساب
ذكره بقلبي جو قفل وصندوق
كم فارس فك السبايا بمطلاب
عاشر الجمال، وقدسوا لابس الطوق
بعض الرجال عقولهم صحن مصلاب
ومغلفات خاليات من الذوق
وصلاة ربي ع النبي بعد لسحاب
وما مشى مخلوق وتقبل على السوق

١ / ٣ / ١٩٩٦ - الشاعر: محمود مفلح الزعبي

١- الموق: موق العين أي طرفها الأنسي .
٢- ناسوك: محجوز .
٣- المسبوق: القوادم من الجناح .
٤- بادنا: بدأنه .

٦ - أمشيتُ بين الشيح

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

تصلُ قصيدة الشاعر محمود الزعبي من اليادودة تحملُ معها رائحة الشيح والأوراد إلى ديار الشاعر الجزل عبد الكريم الحمصي، والتي بعنوان:

أشكي أنا كَرَماً من ظلم الحباب   من حب معلوجين وعلى القلب محشوق

فيجيب عليها لتوِّه، ويرسل بردِّه إلى صديقه المرهف الأحاسيس، أبي منصور، فيقول: مشيتُ مُرتاباً بين الشيح والحيح، وصعدتُ إلى تلَّة عالية المرتقى، مشرفة على سهول حوران التي تُبهج القلوب وتسرُّ النفوس وتذكر الناس ببديع صنع الله خالق الأكوان. فحقول القمح ارتفعت وكأنها تؤدِّي طقوس العبادة بكل محراب في الطبيعة بين النفل وبنات البختلة المطبق، وإذا حقول الخمَّان مليئة بعرائش العنب، وحولها أشجار التين والزيتون كالطوق. والبساتين في تل شهاب تملؤكَ بالفرحة وتوصلكَ إلى اليادودة بلد الفنِّ والذوق حيث يلقاكَ فيها الشاعر الرقيق أبو منصور بأبوابه المشرَّعة فيروي ظمأكَ ويطفئ غلتك، فيزداد سرورك لكثرة ماتلقاه من ترحاب، وما يتركه من أثر جميل في نفسك.

وأما إنْ كنتَ مِمن يعشقون الشعر ويتعلقون بالحب فإنك تجد هناك قصائد الهوى تستقبلك في كل مكان وتخبرك

عن أحوال العشاق وما يعانون ، وترى كيف شابت رؤوسهم ، وظلّت قلوبهم شابةً تروي حكاية الحسناوات وهن يسرحن مع الإبل في الفضاء الرحيب .

ثم يتّجه الحمصي إلى صديقه محمود ويخاطبه قائلاً يا شيخ أبو منصور ، إعشقْ ، ولا تهب عاذلاً أو حسوداً وسابق جميع الناس في هذا الميدان كعادتك ولا تكن مسبوقاً ، فالحبُّ يا صديقي كالقدر مكتوبٌ في اللوح المحفوظ لكل مخلوق ، فاصبر على ما كتبه الله عليك ، فعهدنا بكم أمناء أوفياء ، فإنك إذا ما ابتعدتْ حمائل الأحبه عنك ، رحت تصرفُ ناباً أعلى ناب أسىً ولوعة . وإذا ما حُمِّلْتَ من مواعيد ووصايا تظلُّ وفياً لعهودها محققاً لوصاياها .

ثم ينتقل ليحدثه عن جرح الأحبة وما يسببه من سعادة القلوب حتى لو كان نَبلاً مَريشاً مادام سرهم محفوظاً ومُقفلاً عليه بصندوق داخل الصدر .

ثم يمدحُ صديقه الشاعر ويخاطبه بكنيته « أبو منصور » ويقول له : إنَّك كسَّاب ، وهَّاب ، كريم ، معطاء ، فاكسب يا هداك الله من كنوز الهوى ، وارتشف كؤوس الشوق مترعة حتى الثمالة . فكما للجامع محراب فللقلوب محاريب ، كلٌّ يُصلّي بطريقته ، ببيت الله حيناً وببيت الحب المروّق في أكثر الأحايين .

« إلى الشاعر النبطي محمود مفلح الزعبي رداً على جميلة ، فقد بعث إليَّ بقصيدةٍ منها ،

أَشكي أنا كريم من ظُلم الحبابْ
مِن حبّ مَملوح دعَ القلب مَحشوقْ
دَ للّتها ورعيتْها بحسْن لِسبابْ
وخْفيتْ حبّهْ بين ضلع و مَعلوقْ »

الرّد - النص :

إمشيتْ بينَ الشيحْ والريحْ مِرتابْ
وطْلِعتْ زُمْلهْ نايفهْ مِرتقي فوقْ
ونوّ سَهِلْ حوران بيخبتو غابْ
سُبحان رَبّي مُبدعٍ كل مَخلوقْ
القَمُح فَزّ وقامْ بيكُلْ مِحرابْ
بين البخْتْله والنّفلْ صارْ مَطبوقْ
مَعْ دورةَ الحمّانْ مَشدودهْ لِصْابْ
والتّين والزّيتون مِن حولهِنْ طوقْ
يا فرحةِ البُستانْ بيتَلْ لِشْهابْ
تِلْفي علىٰ يادودهْ الفَنّ والذوقْ
يلقاكَ أبو مَنصورْ ومشرّعْ بْوابْ
يِلقاكْ مِثل الحيّ لاكُنتَ مَحروقْ

إنْ ماكُنتْ مَسرور تزدادْ بِترحابْ
وِيزدادْ قَلْبَكْ فرحْ مَع فرحةِ الموقْ
وِنْ كُنْتَ هَاوي شِعِرْ بالحبّْ تِنْصابْ
وتِلقى القصايِدْ بين عاشِقْ ومَعشوقْ
وتْشوفْ شيبَ الراس والقَلْبْ ماشابْ
ويراقبَ الزّينات تِسرح مع النُوقْ
ياشيخَ أبو منصور إعشَقْ وَلا تهابْ
واسبُقْ جميع الناسْ ولتكُونْ مَسبوقْ
الحبّْ مِثل القدَر مَكتوبْ بكتابْ
وِاصبرْ عَلى المكتوب ماِمنكُمْ بوقْ
بُعدِ الأحبّهْ صُورتْ يِتصرفْ على النّابْ
وِن ماحَمَلْتَ حَال بظلّْ مَحقوقْ
جَرْحِ الأحِبّهْ لِيس لَوكَانْ نَشّابْ
وِالسرْ ظَلّوْ سِرّْ مِقْفَل بصَندوقْ
وانتَ يَبو مَنصور كسّابْ وهّابْ
إكسَبْ هَداكَ الله من شَفْةَ الشّوقْ
الجامعْ إلو محرابْ ولْلقَلْب محرابْ
نصَلي بيتَ الله وبيّت لعروقْ

٧ - الدمع هَملي قرّح الجفنْ بدماه

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

استيقظ الشاعر محمود الزعبي أبو منصور ولسانُه يردِّدُ قصيدة يُوجّهها لصديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي، يقول فيها:

يشكو الشاعر دمعَه الذي قرّح الجفنَ وأدماه حتى نشفتْ مجاريه في العين وأصبحَ ماؤها أحمر، وأحرقت ذكرى المنازل كبدَ الشاعر وتشعَّبت بين ضلوعه وحنايا صدره، داعيًا ربَّه أن يرعى تلك المنازل.

ثم يخاطب صديقَه مُرحِّمًا، شاكيًا نارَ العشق التي لا تخضعُ لطاعةٍ وتتمردُ عليه، وهموم صدره التي لم يطّلعْ عليها أحدٌ ولم يقرأها بشرٌ، من ضَيْم مليحةٍ صغيرة النهدين بيضاء كالزبدة، حلوة الحديث والجلسة دافئة الحضن، تلك التي إنْ حركت شفتيها العذبتين لمعتْ مقالعُ الدرِّ في فمها وأبرقت ثناياها، ولها جدائل طويلة يا صديقي تغطّي ظهرها.

ويردِّدُ اسمَ صديقه بكثرة، وما ذلك إلا لضيقِ صدره ونفثاتٍ يُنفِّسُ بها عمّا في داخله، وها هو يقول: ما أكثرَ ما ناديتُ باسمها يا صديقي، وضممت على صدري أزهارَ جنانها اليانعة! وأنا إذا ما نويْتُ الصيدَ فلا أُخطئُ مرمايَ خاصة إذا كان الجوُّ مُلائمًا والسماءُ صافيةً. أمَّا اليوم فقد أصبح صيدي لها

صعبًا لأنَّ حُرَّاسها دومًا في مراقبتها.

ويتحسَّرُ الشاعر على أيام الشباب ويتمنى أن تعود عندئذٍ سيصيدُها كما طير الحرّ يصطادُ فريستَه، تلك التي تركتْهُ عليلاً في هواها. ومع ذلك تجدني صابرًا، ولكنَّ الصبرَ زادَ معاناتي، عذاب من يعرف ما يريد ولا يحصل على مُناه، ولقد بحثتُ يا صديقي بين كل المخاليق فما وجدت أحداً نال ما بيدِه. ثم يختم قصيدتَه كالعادة بالدعاء إلى الله أن يغفرَ خطايا الناس ويشفيهم كما شفى يعقوبَ من عَمَاه.

« أخي الأديب عبد الكريم الحمصي حفظه الله »

النص:

« سلام وأشواق وتحية وبعد. أنت السبب بتشجيعي لقول الشعر وذكرتني بالماضي فمعذرة أخي:

مع الفجر.. استفقت على بعض الشعر يُرِدِّدُه لساني فهاك ما قلت »:

الدمعْ هَلِّي قرَّحْ الجفنْ بِدْ ماه
نِشْفَتْ مجاري العين وِخْمَرَّ مَاهَا
وِتشعَّبتْ بِضلوعْ كَبْدي وْمحْناه
ذِكْرَ المنازِلْ يُومْ رَبِّي رَعَاهَا
« كريم » نارَ العِشقْ مالَهْ مْناجَاه
همُومَ الصِدِرْ ياخُويْ ما حدْ قَرَاها

مِنْ أَبُو نَهُودٍ إِصْغَارٍ بِيضٍ مَقَشَّاه

يَا حُلُوَ جِلسَاتَهْ وِدَاقِي حَشَاهَا

بِينِ البَرِيطِمْ لَعَجْ دُرِّنْ ثَنَايَاهْ

وِقِرُونَهَا كَرِيمْ كَاسِي قَفَاهَا

بَاللِّيل يَامَاصِحِتْ كَرِيمْ بِسَمَاهْ !

وِضَمِّيتْ عَضْدِيرِي أَزْهَارٍ جَنَاهَا

اليانَوِيتَ الصِّيد مَاخْطِيتْ مِرْمَاهْ

لِي سَاعَةٍ والجَوُّ صَافِي سَمَاهَا

مَا رِيدْ صِيدِي اليَوْمْ صُعبًا إِنْ جِينَاهْ

حُوَّاصِهَا عَ الدُّومْ يِرعَى حِمَاهَا

لَوِ الشَّبَاب يْعُود كَالحُرّْ صِدْنَاه

هَلِّي دَعَانِي كَالعَلِيل بْهَوَاهَا

أَصبِرْ أَنَا وِالصَّبُرْ زَادَ المعَانَاه

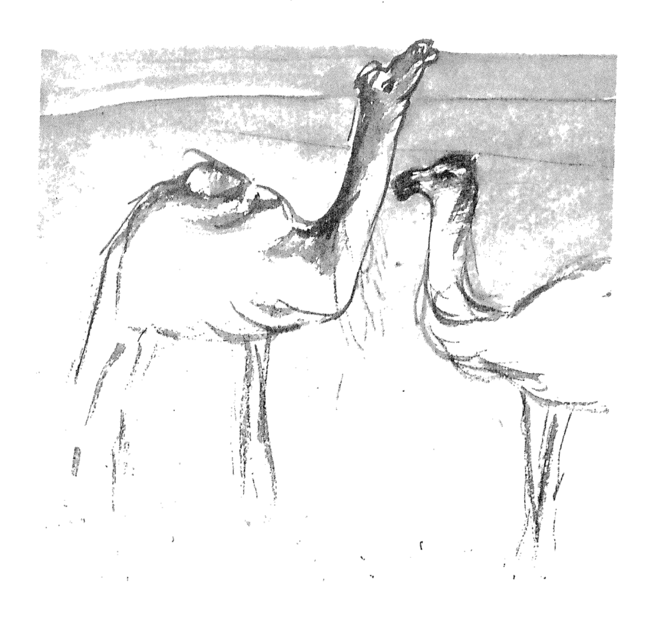
عَ ذَابْ عِينًا مَاحَصَّلَهْ مْنَاهَا

دَوَّرِتْ أَنَا كَرِيم كُلَّ الخَلَا قَاهْ

مَاظِنّْ وَاحِدْ حَاجْتَهْ قَدْ قَضَاهَا

يَا اللهْ يَارَحمَان تِغْفِرْ خَطَايَاهْ

يَعقُوبِ أَشفيتَه يومْ صَابَهْ عَمَاهَا



٨ - يالله يللي تعلم السّر وخفاه

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

تمثل قصيدة الشاعر محمود الزعبي التي بعنوان: «الدمع هللي قرّح الجفنْ بِدْماه» فيجيب على قصيدة صديقه الشاعر، فيقول:

يخاطبُ الشاعرُ ربَّ العباد عالم السرّ وما أخفى، الذي يسمعُ دبيبَ النَّملِ على الصفاة الصلدة، يشكو له ظلمَ الأيام من علّةٍ تلبستْ روحه لم يشكُ مثلها أحدٌ. ويقول له: يا رب طالَ صَبري، وطالتْ معاناتي، فاشفقْ عليَّ واكشفْ زلّتي، وأزحْ الضُّرَّ عنّي، وأنْ تجعلَ صداقتي مع أجمل الناس، وأعز الأخـــوة...

ثم يتوجَّهُ بالحديث إلى صديقه أبي منصور قائلاً:

يا شيخ، وهي صفةٌ يطلقُها الناسُ على عليةِ القوم وزعمائهم، يُخاطبه: بأنكَ عزٌّ لمن تُلاقيه، ويا مُنيةَ الظمآن يومَ اللقاء. فقد منَحكَ اللهُ بالإضافة لما سبق، الحبَّ والشعرَ والضأنَ لتقدمَها فوقَ المناسفِ للأضياف عند الولائم، وأنتَ كالطير «الحرّ» ويا طيبَ مرقاكَ في الأعالي. وإنْ اصطدْتَ، فحمامة بريّة بجمالها ورقّتها حماها الله. فكلٌّ يصيدُ على شكله، فالحسن يصيدُ الحسناوات، والشينُ على شكله يصطاد، والبومه تكون من نصيبه.

ويشارك الشاعر صديقه محمود أساه على ما مرّ من شباب، ويطلب منه ألاّ يأسى فهو ما زال شاب القلب رائق الروح غضّ الإهاب. ويقول له قولاً رفيع الشأن كرفعته، وينتخي إكراماً لعيني أبي منصور التي تعتلي أبراج السماء. ويتابع قائلاً: بيني وبينك يا أبا منصور حبٌ متبادل وقصائد متتابعة تزخرج بالغلاوة الوفيرة. ويختم قصيدته بشكر الله وحمده ويشكره لأنه أهداه قصيدة ليهديها لمن يستحقها لأخيه محمود. يقول:

النص:

يا الله يالّي تعلم السّر وخفاه
وتسمع دبيبٍ فوق صخرةٍ صفاها
أشكي لك الأيّام يا عالي الجاه
لي علّةٍ بالرّوح ماحدْ حكاها
يا ربّ صبري طال وطالت معاناه
يا كاشف الزّلات تكشف غطاها
تجعل لنا من النّاس عزّ الصّداقاه
عزّ الأخوّه يوم ربّي عطاها
يا شيخ أبو منصور عزّ لملاقاه
يا منية العطشان يومٍ لقاها

اللّهْ اعْطَاكَ الحبَّ والشِعرْ وشْيَاهْ

فوقَ المنَاسِفْ يِسْلَمْ لِيَّ رَعَـاهَا

أَنتَ الطَّيرِ الحُرَّ ياطِيبْ مَرْقَاه

صِدِتْ حَمَامَةْ برَّ رَبِّي حَـمَاهَا

البومْ لَلشَّينِينْ وِلِّيعَ شِكْلاَهْ

دَوَّرْ عَليها رْجُوم سوٍّ لْقَاهَا

ياشيخ ابُو مَنْصُور لاتْقُول لَوَّاه

أَنتَ شَبَابَ القَلْب ولَلرُّوحْ مَـاهَا

مَا مْعَاشَرَ الزِّينِينْ أَهْلَ المَحَـبَّاهْ

لا تْحَاشَرَ الشِّينِينْ أَهْلَ البَـلاهَه

عبدَ الكريم يْقُول: قُولٍ مْعَلَّاهْ

لَعْيُونْ أبو مَنْصُورْ عَالِي سَمَاهَا

بِيني وبِينَكْ حُبْ وِاشْعَارْ مُهَدَاهْ

مثِل المَطَرْ وِالرِّيح غَلَّتْ شْـتَاهَا

وَاخْتِمْ كَلامِي شُكُرْ وَالحَمْد لِلّه

يَلِّي هَدانِي لِلقَصِيدِهْ وْهَـدَاهَا

شعر: عبد الكريم الحمصي

الفصل الخامس

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر أحمد عبد الرحمن قدّاح

١- من وحي قصيدة الشاعر محمود الزعبي « إلى شعراء حوران »

« سِتِّين حِجَّه نحبّْ ترفاتَ لِوّيامْ »

يكتب الشاعر أحمد عبد الرحمن قداح القصيدة التاليـة :

« ألفِ الهلا مَحْمودْ وألفِ التَّحيةْ »

٢- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر أحمد عبد الرحمن قداح السابقة : « بانــْ الشـــيبْ »

٣- قصيدة الشاعر أحمد عبد الرحمن قدّاح - إلى الشاعر محمود الزعبي على أثر أمسية شعرية أقيمت في منزل الأخير تكريماً لشعراء حوران « يا عَلي طاب الهَرجْ »

٤- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر أحمد عبد الرحمن قداح السابقة : « ما نِمِتْ ليلـــي »

٥- قصيدة الشاعر أحمد عبد الرحمن قداح - إلى الشاعر محمود الزعبي على أثر قصيدته السابقة :

« أَرْسُمْ فنونَكْ فوق تِلْعاتَ الخيامْ »



١- ألفُ أهلاً محمود وألفُ التحيّة

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

من وحي قصيدة الشاعر المكبي محمود مفلح الزعبي «أبو منصور» كتبَ الشاعر المبدع أحمد عبد الرّحمن قدّاح أبو عرب هذه القصيدة يُخاطب قصيدَتَه على سبيل التجريد، وكأنه يخاطب صاحبها، ويرحِّبُ به، ويبثُّه نجواه، ويوصيه أن يهتمَّ بجثمانه إذا ما أفناه العِشْقُ، وأن لا يدفنَه إلا بصدر محبوبته التي كانت وراء كل ما زيَّنَه من أشعار وما أنشَدَهُ من قوافٍ في حبِّها.

وتستمرُّ النجوى، ويستطيلُ الحوارُ بين الشاعرين وكأنَّهما يُتابعان مسيرةَ حياةٍ مُشتركةٍ ألهمتْهما الحبَّ والشعر فاعْتَنَقا، ويحزَنُ أبو عربٍ لشعور صديقهِ بدبيب الشَّيب في رأسه، ويطلبُ منه ألاَّ يشتكي ما دام قلبُه حيًا، ورياضُ الحبِّ فيه مُزهرةً.

ثم يختمُ قصيدتَه بالدعاء بطول العمر لصديقه، وأن يظلَّ شمسًا عالية لا تغرب عن الحياة، وفارسًا للسيف والقلم، في زمن ولَّتْ فيه الفروسيةُ والرجال. هكذا يستوي بنظرة سفر الحياة، وتصبح جديرة أن تعاش، يقول:

النص :

أَلفِ الهَلا مَحمودْ وأَلفَ التحيّهْ

وَأَلفين مع أَلفين اِنْهِلّنْ بالبِشارْ

وأَلفِ الصباح الخيرْ مِنّي هَدِيّهْ

مَن خاصْ صافي القَلب يِزْهِنْ بآذارْ

وأَلفِ السّلامهْ للقُلوب السّجيّهْ

اللّي لَهُم زِهِبتْ طَويلين العمارْ

العُذرْ ياهلَ العُذرْ ليّهْ وَصِيّهْ

كَفّنّْ اعظامي بعِطِر حلواتَ الزهارْ

إنْ جاكَ الخَبَرْ ياشيخْ اشفَقْ عَليّهْ

مَحمودْ ياذعارَ العِدا سيفْ بتّارْ

خلّي قَبري ابصدْر حِلْوَ الثّنِيّهْ

اللّي لَها بالقَلْب دواوين وِشعارْ

وِكْتُبْ على قَبري رُوحي شَقيّهْ

إنْ كانَ القَبرْ ماكانْ عَ خُطَمْ الثّمارْ

أَسْقي عِظامي مَنَ انْهودٍ طَرِيّهْ

وَلْعَبْ على السَّرجُوفْ وداعَبْ اوْتارْ (١١)

شَمْسِ الضّحى ياشيخْ ماهِي خَفِيّهْ

وشمسِ العَصارِي مْقدّره بِيد جَبّارْ

مابينْ شمسْ وشمسْ لَحْظَهْ هَنِيّهْ
والوالْمَهْ نِقْطِفْ ثَمَرْ مالاحْ يا ذْعارْ
العُمُرْ عِنْدَ اللّي بيد وحَصِيّهْ
الواحْدَ اللّي لَلْمخاليقْ قَــهّارْ
العُمُرْ ما يِنْقاسْ صُبْح وعَشِيّهْ
ولا أنِي على عَدّ المِبغْضينْ سَيّارْ
الحبّ آيهْ امْنَزَّلِهْ لِلْبَرِيّـــهْ
ومِنْ دُونِهِنْ مافي جَنَّهْ ولا نَارْ
طَرْدَ الهوى لِينا مِنَ اللّهْ هَدِيّهْ
ومِنْ دونْ عِشْقِ التِّرِفْ لاتِحسبْ اعْمارْ
يا مَا قَطَفْنَهْ مِنْ زهُورٍ نَدِيّه !
وَيا ما اسْقِيْتَه الوَرْدِ مِنْ عَذْبَ لِمطارْ !
ويا مَا فَيّقْنَه أقْلوبٍ جَفِيّهْ !
ويا مَا اشْتاقَ الشوقْ لَكُلْ مِسْيارْ !
ويا مَا اشْرَبْنَه مِنْ شَفايِفْ طَرِيّهْ !
خَمْرِ الهوى ماجَبَّهْ كُلْ خَمّارْ (٢)
ويا مَا لَمْلَمتِ النّهِدْ في أدَيّــهْ !
في خامْسي قَدَّرْتِهِنْ بِزْرِ قنّارْ

اتْحِنْ لَصَدْرِي حَنِينَ الوَفِيَّهْ

مِرْباعْها روحي وقَلْبي لَها دارْ

أَقَلِّبِ الداحَاتِ بِشَمْسٍ أُوفِيَّهْ

وَجني اثمارٍ صابْها الشوقْ بِحْصارْ (٣)

مَحمودْ يا مِشفايْ الشَّيبْ عَنِيَّهْ

سودَ اللّيالي مَحَنِيَّهْ بِحَنَّةِ اقْمارْ

لاتِشْتكي مِن الشيبْ وأَنتَ سَمِيَّهْ

ورياضْ قلبَكْ زاهِيَهْ بِزْهرِ البكارْ (٤)

حِنّا لاشِبْنَهْ خَذِينَهْ صَبِيَّهْ

وهِنْ اليا شَابِنْ غَدِنْ موضَعْ آثارْ

يا نَبع أعطه مِن وريدَه صَفِيَّهْ

أنْتَه الفَتَهْ مادام للدِينَهْ أنْهارْ

لِيكَ الحُزُجْ وَالسيفْ وَالمَعْنَقِيَّهْ

وَالقَلَمْ وَالقِرطاسْ وِغلالِ البِذارْ

ياشَمْس ما غابَتْ عَ النّاسْ حَيِّهْ

وكُلّ الكَواكِبْ عِقْبْ نُورِكْ تَرى اصْغارْ

إِسْلَمْ وَسَلِّمْ وِالتحِيَّهْ ابْتَحِيَّهْ

ولَه الموْنُونْ ماهو عِنْدَنا أَسْوارْ (٥)

وصَلاةُ رَبِّي عَ نَبِيِّ البَرِيَّهْ
يِشْفَعْ لَنا في يومْ تِنْفَضَّ الأسرارْ

أحمد عبد الرّحمن قدّاح

١- المسرجوف : الخصر الضامر .
٢- ماجنّة : ماله ، ماعصره .
٣- الداحات : الواحات ، جمع واحة .
٤- وانت سميه : كناية عن انتساب الشاعر محمود إلى الشيبانية وهي قريبة من الشيب .
٥- الموْنوَنْ : المتردد .



٢ - بان الشيب

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

هذه القصيدة يردُّ بها الشاعر محمود الزعبي أبو منصور على قصيدة بعثها إليه الشاعر أبو عرب أحمد عبدالرحمن قداح على أثر الندوة التي انعقدت في منزل الشاعر محمود الزعبي بالبادودة للنهوض بالشعر النبطي.

يبدؤها الشاعر محمود بخطاب صديقه الشاعر أبي عرب، يشكو إليه هموم الشيب الذي غزا مفرقيه. ثم يستدرك وقع هذه الشكوى. وكأنها زلَّةٌ من زلات اللسان عاجلته فعثر بها لسانه، لذا يتبعها مباشرة بقوله «والنفس حية»، وكأني بالشاعر محمود قد توازن واستعاد زمام القول، فيتنفس الصعداء ويتابع قوله: «إذا كان الشيب مصيبةً فنحن صبَّارون على المصائب وحكم الأقدار إذا كان لابدَّ من الصبر.»

ولكن الشاعر محمود، على ما يبدو، يحسُّ في عقله الباطن دبيبَ الزمن يسري في أوصاله، وينتابه إحساس بأنه مشرف على خريف العمر، فالشمس والظلال يتعاورانه، كناية عن الصحة والمرض، فيندبُ أيام الشباب، وينعاها بشكل مرير لأنه عاشها نديةً طافحة باللذات تزيِّنها أقمار العشرين عامًا..

وما دام الحديث عن العشرين إذن فَلْنَتَزَلَّقْ معها، فيذكُرنا محمودُ كيف كان يلهو مع العذارى بين الرياض والبساتين وغدران

المياه، يكرعونَ السرور من خوابي المنوّة والفتون والشباب.

ويصف لنا بذوقه الرفيع محاسنَ معشوقاته، أو المحاسن التي يحبها في هذه المعشوقات: بياض، وألَق، وعيون خضر خفة الظل، رقيقات كأنهن من البلور، شفافات الجسوم، متأنِّقات الملبس، زاهيات الزينة، غاليات العطور، ناهدات الصدور، متأودات القامات، يتثنين كالخيزران، شعورهن طويلة تنساب كليلٍ طويل كليل الشاعر الطويل.

ولا ينسى محمودٌ وسط هذا الوصف الرائع للجميلات أصدقاءه الشعراء، فقد عرض هذه الصفات ليطربهم ويبهجهم، ثم خصص لهم ما يقارب خمسةَ الأبيات يحييهم بها ويمتدحهم ويشيدُ بسعيهم واجتماعهم لأنهم بذلك يحيون تراث الوطن ويحافظون عليه.

ويحيي أخيراً صديقه الشاعر أحمد قداح ويدعو له، ويستغفر، فيقول:

النص:

أبو عَربٌ بانَ الشَّيب والنَّفسُ حَيَّهْ

ويا مَا صَبَرْنا عَ المصايبْ وَالقْدارْ!

وِصْبَحِتْ أَخِيْ مابينْ شَمْسٍ وفَيَّهْ

شَمسَ الخريفْ تْلُفْنِي بريحْ لْعِصَارْ

اسنينَ الشَّبابْ كِلْها أيّام نَدِيَّهْ

ايّا صَارْ العُمُرْ عِشْرين فَتَّحْ لَهْ ثْمارْ

أحْمَدْ عِندي لَلْعَذارَهْ شَهِيَّهْ
لَيا شُفِتْ عَسْلوجِنْ مِنَ البيضْ مُخْتَارْ (١)
نَلْهو ونَلْعَبْ بين عُذْران مَيِّهْ
مِن حولِنا ريامٍ كَشَلْحَاتَ المِهار (٢)
ولِي بِينْهِنْ يالَخُو بنتٍ رَضِيَّهْ
وعْيونْ خُضْرٍ نَرْجِسَ الرُّوضْ بِنْهار
إنْ وَصَّفِتْها ما مِثِلْ حُسْنَهْ ابْنَيَّهْ
الجِسِمْ رُوحاني وخَالي مِنَ اسْرارْ
لِبْسَتْ اوشَاحَ الحُسُنْ ومِشْيَتْ عَلَيَّهْ
ولاَ خَافَتِ الحُسَّادْ في ساحَةَ الدارْ
رَبِيَّهْ لِعطاف ورَاهْيَهْ للثَّنْيَّه
وتْختال بِصْبَاهَا والخَدّْ دِينارْ
إلْها دُونَ البيضْ نَظْرَهْ سَجِيَّهْ
نَعُومَةَ الخَمْرَهْ بكاسات خَمّارْ
ياعُودْ رَيْحانٍ اغْصانَهْ طَرِيَّهْ
اسْلاكْ نُورٍ دَاخِلَ الجِسِمْ تِنْدارْ
رَاعِيتْها بالحُبّْ وكَانَتْ وَفِيَّهْ
ورَبَّيتْها ما بِينْ نِجْمات لِسحارْ

يا مَا لَفَنِّتْها بِحِظْني وَدَيِّهْ
وَلا اِنْفَكِّنا عَنْ بَعِضْنا سيفْ بتّارْ
تِظْمِّني وِتْقولْ عِشْنَهْ سَوِيَّهْ
وِحِنَّه على عَهْدِ الهوى طُول لِعمارْ
سَلامْ للشّعارْ مِنِّي وتَحِيِّهْ
أحْيِيتوا تْراثْ البلد ونِعْمْ لِخْبارْ
هَذا الشِّعِرْ عُنوان ليكُم هَدِيّهْ
يِتْوارْثوا مِنْ بَعْدَنا اجيالْ لِشْعارْ
إحْمَدْ لَكْ باعِ طويلهْ وحَمِيَّهْ
مَخزونْ فِكْرَكْ للأدب نَبِعْ فَوّارْ
إحْمَدْ افْطَنْ لو وَتَنْثِي المِنِيَّهْ
بابَ العَفو مَفْتوحْ والرَّبّْ غَفّارْ
مِنْ بَعِدْ ها صَلّوا عَ هادي البرِيَّه
ما زَقْزَقَتْ بالجَوّْ طيوراً على طارْ (٣)

١- عسلوجْ : طويلة نحيفة.
٢- المشلحة : القطيع.
٣- طار : الجبل

٣- يا علي طابَ الهرجْ

للشاعر: أحمد عبد الرحمن قدّاح

إضاءة على النص:

هذه القصيدة أُرسلت إلى الشيخ محمود مفلح الزعبي أبو منصور، على أثر جلسة مع شعراء حوران الأفاضل وعلى رأسهم الأستاذ المبدع علي المصري أبو عصام بتاريخ ٥/٤/١٩٩٥م في مضافة أبي منصور بالياودة.

هكذا قدّم الشاعر لقصيدته، ونزولاً عند رغبته سجّلنا له تقديمه، وبدأ قصيدته فقال:

يُخاطب الشاعرُ صديقه علي المصري في مطلع القصيدة قائلاً له: طابَ الهَرجُ يا عليُّ، ولم يبق شيءٌ مخبّأً، وطارت القوافي في سماءِ الفن فزيّنت سهول حوران ودروبها فلبست بذلك حُللاً قشيبةً وسارت في مواكب الفرح، وتجمّعت نجومُ السماء عند الغروب تُرحّبُ برجال العلم والأدب والمكانة الرفيعة، والتقتْ طُيوب الأحاديث الشبيهة بأطياب الفردوس، لأنّ مقاصدَ هذه الكوكبة من الأدباء طيبُ الأحدوثة، وأمانةُ العلم وتأديةُ رسالته في ضيافة ريحانة الفردوس، ومُمثّل المجد أبي منصور الذي يرفعُ رايتنا، ويرحّبُ بالضيوف في كل حين لأنه شيخُ الزعبية، معروفٌ بطيبه وكرمه الذي عزا البلاد، وعرفَهُ القاصي والداني كرائحة العنبر التي لا تخفى على أحد، فمجلسُه عامرٌ دائمًا بعلية القوم، وقهوتُه جاهزةٌ لا تنزل عن

المنار ، طويل الباع باسمُ جذّاب : إنَّه صقرُ حوران ، مرهوبُ الجانب ، يهبُّ لنجدة الملهوف، وينتخي بصوتٍ واضح ، وعينُ مشرفة من علٍ على أرض البادودة يحمي ذِمارَها ، ويذبُّ عن خِصاله الحميدة وأعراقه الأصيلة .

ويستمرُّ الشاعر أبو عرب بتعداد مناقب محمود فيُشبّهه بأشبال الفهود ، وأنه أصلُ المجد وشريانُ الكرامة ، ودرعُ الحروب وحامي القيم والمعالي ، والبطلُ المدافع يوم الحوائج وسيّدُ الناس ، والحكمُ الفصلُ بينهم ، ويظلُّ الشاعر يُقلّبُ أسباب القول في مدائح صديقه الشاعر حتى نهاية القصيدة .

النص :

يا علي طاب الهرجْ ما ظَلّْ محجوبْ
كُلّْ القوافي حلّقتْ في سمانَهْ
وتْزيّنتْ حوران في كلّ الدروبْ
ولبْسَتْ اثياب الفَرَحْ والعِزّْ جَانَهْ
اتجمّعتْ ابدور السّما عِنْدا لعزوبْ
ارْجال العِلم والجاهْ وعُليَ المكانَهْ
وتلاحَم المزدوسْ وعُطورِ الطيوبْ
وشراعْهُم طيبِ الثّنا والأمانَهْ
وريحانةَ المزدوسْ محمود مَندوبْ
بلْعونْ أبو منصورْ رايةْ لِوانَهْ

اِتْهلّي بَالضّيفان وَالكُلّْ مَرغوبْ

بيضَ البيارقْ عَاليه لِلشَّبانَهْ (١)

زِغْبي يا هَلَ الكَارْ شيبانْ يارْعوبْ

مَحمودْ أبو مَنصورْ بطَيبَهْ رِوانَهْ

صِينيّهْ عَزَى لِبلادْ واحْتَلّْ الجْنوبْ

يا رَيحْةَ العَنْبَرْ وَالديدَحانَهْ

لَهْ مَجلساً عالِيٍ ما تِنْطَحوا الشُوبْ

فِيَّهْ وِمَيِّهْ وِالقَهاوِي سَقانَهْ

عَذْبٍ جَزِلْ جَذّابْ مَوهوبْ

باعَهْ طَويلٍ وَالمَا لا عَشانَهْ (٢)

هذا صَقْرْ حُورانْ بالطيِّبْ مَرْهوبْ

يومَ النَّخاوي ما يكَلِّفْ حَدانَه

عِينَهْ على المَنْظارْ وِعْيونَهْ اتْجوبْ

أَرْضِ اليَدْ ودَهْ مِزيَّنَهْ لا تْقَانَهْ

أَصِيل جذْرَهْ حَامْلاً كلّْ مَرغوبْ

مَنْصورْ يا شِبْلَ الفَهَدْ لا يِتْوانَهْ

حِنَّا لكُمْ يا شَيخْ صَمّامَ القلوبْ

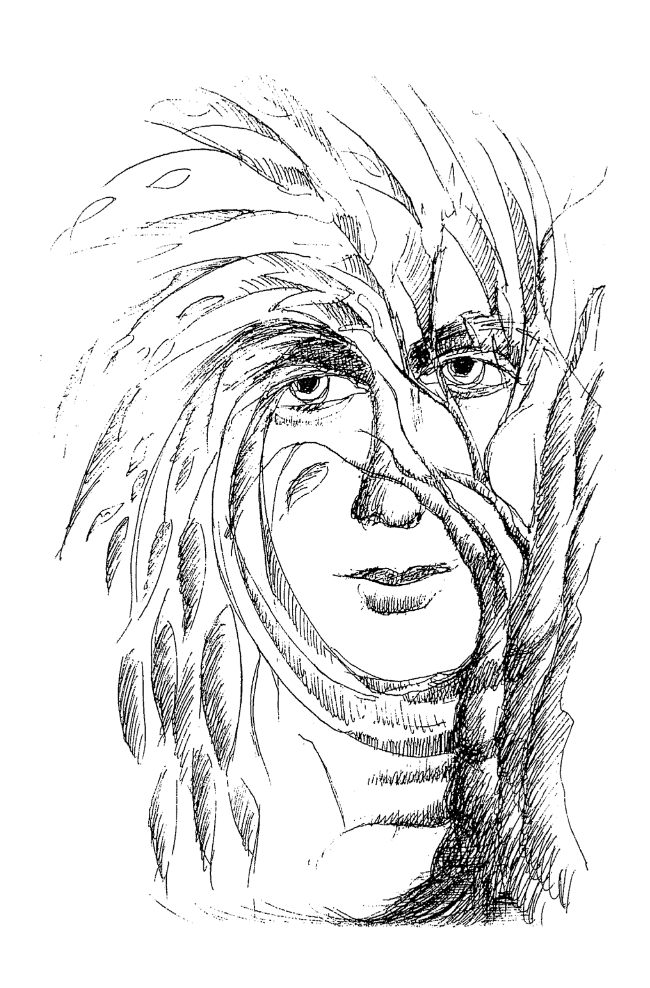
وِانْتو لَنا الشِريانْ وَاصِلْ دِمانَهْ

إنْتَ الجَذْرْ والصّاغْ وذْروعَ الحروبْ
إنْتُ المَعالي وَالمعالي هَوانَهْ
إنْتُ سيادَ النّاسْ في حُسْنَ السْلوبْ
مَنصورْ دِرْعَ الحقّْ عَالي مَكانَهْ
لا فزْعَتِ الشّيخانْ وَالسيفْ مَنْدوبْ
يُومَ الحَسايِبْ عِنْدعينَكْ قَوانَهْ
جينَهْ انْلَبّي الشّيخْ مِنْ دونْ مَكْتوبْ
جينَه على حَرْه ايكدّهْ حْدانَهْ
مِنْ طَيباتِ القولْ والقافْ مَسكوبْ
الشّيخْ أبو مَنصورْ أروىْ ظَمانَهْ
يا رُكْنْ عِزّْ، ابلادْنا وكُلّ الشّعوبْ
رَبيع دايِمْ مِنْبَتَهْ مِن ترَانَهْ
أنْتَ الخَصيبْ اوفرْحَتِكَ فَضّ الكروبْ
يُمْناكْ مُدّه ماوِصِلْكُمْ شَنانَهْ
إنْ عجْزَ القَلَمْ حَصَدَ السيفْ مَرْبوبْ
صَحْنَ المَسَرّهْ في زَهابَهْ حَزانَهْ (٣)
يا مِكْرِمَ الضّيفانْ عدّاكَ العُيوبْ
أنتَ الجَوادْ وجودْ كَفّكْ كَفانَهْ

يا عَلي طَابَ الهَرَجْ وإنْ تُبتْ ماتُوبْ (٤)
ما دام أبو مَنصورْ قَاصِدْ لُقانَهْ
لَظَلّْ أَقولَ الشِعرْ لو شَقُّو الجيوبْ
ولَوْ ناحَتِ الغَبْرَةْ والبينْ جانَهْ (٥)
سَلِّمْ عَلى اللِّي كانْ لَلكُلّْ مَحبُوبْ
مَحْمودْ أَبو مَنصُورْ جدَّدْ قُوانَهْ

أحمد عبد الرحمن قدّاح

١- الشبانة : فخذ من الزعبية ينتمي إليه الشاعر محمود الزعبي الممدح .
٢- والملا : من أولم يولم وليمة .
٣- مربوب : مجلو ، المسده : الممدوح .
٤- علي : هو علي المصري نجي الشاعر وصديقه .
٥- الغبره : هي البلية .



٤ - ما نِمتُ ليلي

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

ما نمتُ ليلي قصيدةٌ شفَّافةُ الألفاظ رقيقةُ المعاني بعث بها الشاعر المبدعُ محمود مفلح الزعبي أبو منصور إلى الشاعر الموهوب أحمد عبدالرَّحمن قداح أبي عرب يردُّ فيها على قصيدة كان قد بعثَ بها الأخيرُ إليه. ويشكو له الشاعر أبو منصور السهدَ والسهرَ وما أناخَ على صدره من هواجس وأشواق، ويتحسَّرُ على ذهاب أيام الشباب التي ولَّت محمودةً، ولكنْ ما حيلتُه وقدْ داهمَه خريفُ العمر سوى أنْ يُسلِّيَ نفسَه بتبادل المحبَّة والصداقة مع أقرانه من الشعراء، ويُسرِّي عن خاطره ما يتلقَّاه من قصائدهم ومحبتهم وتقديرهم له، وها هو يردُّ على قصيدة أبي عرب، فيقول:

« الأخ العزيز أحمد القدّاح أبو عرب المحترم.

تحيةً عطرة، ومحبة صادقة وأشواقاً، أرسل لك هذه المقطوعة الشعرية وهي تُعرب عمَّا في خاطري »

النص:

ما نِمتُ لِيلي والهواجِسُ وَتَنْثَني
وتشعَّبَتْ ما بينَ صدْري والضُّلوعْ (١)

وَصارعَ الجنبين ساعةْ غَزِنّي

شمسَ الشّبَاب وذِكرَهاحين لِطْلوعْ

ودعيتني يَحْمَدْ بشِـعرِكْ وفَنّي

كاليتْ مَجروحٍنْ من العُمُر مَوْجوع

وِجْبَرتْني عَالشِّعرِ مِنَّكْ ومِنّي

وِتْلَجِتّ قَلْبي بطيبْ شِعرِكْ ومَطْلوع

أهوِّمْ عَ الصَّيدات بعَزْمِنْ وفنّ

وَيْنحيني عَنْهِنْ شرعْ مْحَمّدْ ويَاسوع

حَاوَلْتَ أني العَانَاتْ بي صُعْوُسنِّي

سُمرٍ وبيظنٍ مع طويلنٍ ومَرْبُوعْ

وهَاوِيتْهِنْ بالحبّْ وهِنَّه هوِّني

وغازَلْتهِنّ بَالشعر بي كُلّ مَنْفوع

رَاوَدِتْ شلْعاتَ المها ورا وَدني

على اجْنَاب الروض وسيلَ اليَنابيع

من شَهِدْ سِلْسَال الثّمَّاني سَقِنّي

وغْفيتْ مابينَ لِصدَيّنْ ومَدْلُوع (٤)

رَبيع عُمْرِي صَاحْبي ماحْرَمِنّي

ولا يُومْ أني عَنْ طَرِدْهِنْ كُنْتْ مَمْنوع

الصّا فْناتِ اللِّي بْيَدِّي الأُعِنَّهْ

نِرْكَبْ عَليهِنّْ حينْ رُوعاتَ الجموع (٣)

ويِشْهَدْ لنا الماضي بِعهُودٍنْ مْ ظَنِّي

يُوْحِنْ دَعينا ضابطْ الجيش مَصْرُوع (٤)

يامَا حَمِينا كلّْ عايِنْ سَـأَلْنِي !

بِبْيوتٍ مَرفوعَهْ على جَانْ مَشْروع

يابو عَرَبْ الكُلّْ بشِعْرَكْ يْغَنِّي

والشِعْرْ عِنْدِي يالَخُو دوم مَسْموعْ

يامَرْحَبْ بِدْيَارْنا لا وِتِـنِّي ,

اخبارْكُمْ وحْضورْكم جَمْعَ الربوع

وهَذه عَزِيمَهْ مابَها كُلّْ لَـتِّي

نِلْعَبْ على اوْتَارِ الرَّبابَهْ بالنْجُوع (٥)

وَاللّهْ لوِ العُمرْ بِيه التَّمَنِّي

لَحاسِب حَوِّي وكُلّْ حُلْوَه وقَرْطُوع (٦)

لَوِ الشَّبابْ يابُو عَرَبْ يَعاوِدِنِّي

لَحاوْرَكْ بالشِّعِرْ مِنْ دونْ مَقْطُوع

جَانِي الخَرِيفْ الظالِمْ مارَحَمْنِي

وخلَّهْ الخنافِسْ تِرْتَعِي بكُلّْ مَرْدُوع (٧)

وَدَّعْتَهِنْ بالحبْ وهِنَّ ودَّعِنِّي
وَصْبَحْ ادموعَ العينْ عَ الخدّْ منْقوعْ

منْ الْحاظِهِنْ واللهْ كِنْ أوْ دَعِنِّي
طَرِيحْ وقَلْبي فاقدَ الصيدْ مَفْجُوعْ

الأيَّام بعدَ البيظْ مايِنْ حَمِنِي
والعمُرْ بعدَ البيظْ وَنَّاتْ مَلْدُوعْ

البيظْ نِصفَ المجْتمَعْ لا تْعَذِّبْنِي
قَتيلْهِن شَهيدْ بِالرُّوحْ مَزْرُوعْ

١٤ / ١٢ / ١٩٩٥ محمود مفلح الزعبي

١- وتتني : جاءتني ، وتني ، جئتني .
٢- الثماني : القواطع والثنايا من الأسنان .
٣- الصافنات : الخيل الأصيلة المسومة .
٤- يشير إلى قتل أخو الشاعر أحمد للضابط الفرنسي معاون المستشار كوري بدرعا حين اعتقل بعضاً من آل الزعبي بالمادودة .
٥- مابهلني : ثابتة قولاً واحداً . النجوع ج نجع ما يستراح فيه .
٦- قطوع : الصبية الغرة المراهقة .
٧- المردوع : الموشوم ، من الوشم ويكون على الخدود ورأس الأنف

٥ - أرسم فنونك فوق تلعات الخيام

للشاعر: أحمد عبدالرحمن قدّاح

إضاءة على النص:

يتلقى الشاعر المبدع أحمد قداح قصيدةً من الشاعر محمود مفلح الزعبي، فيمعن النظر فيها، فتنال إعجابه كلّما ازداد تأمله لها، ويجد فيها فناً رفيعاً من فنون الشعر الذي يُعبّر عن شاعريّةٍ ناضجةٍ، وسليقةٍ سليمةٍ، وطبعٍ صافٍ، وأسلوبٍ متمكّنٍ.. ومن وحي قصيدة أبي منصور يُبدعُ أبوعرب هذه القصيدةَ ويُرسلُها إلى البادودة حيث منازل محمود، يقول:

إنّني أسجّلُ في قصيدتي هذه جانباً من سيرتكَ العطرة، وأُلوّنُ قلبي وعواطفي بألوانكَ، وأرسمُ لفنونك لوحةً تعلو فوق تلعات الخيام، مزيّنةً بحلو معانيك التي تفتحُ أمامنا آفاق المحبّة والإلهام والشعر.

ونحنُ معاشرَ الشعراءِ تتحرّرُ عقدةُ ألسنتنا بمجرد أن نَنْعَمَ بقراءةِ شعرِكَ، لذلك شرّعْ لنا بواباتِ قوافيكَ ننهلُ منها ونعتلُّ.

ويستطردُ الشاعر أبوعرب في تَعدادِ شمائل صديقه الشاعر محمود ومدائحه واقفاً وقفةً طويلةً عند مرابع عشْقِهِ المترفةِ، فهو يعتبرُ هذا الحبَّ، نقطةَ تفوّقٍ في سيرةِ صديقه، ومناهجِ صياغةِ شعرِهِ الناعم، وهو يُغبطُه على هذا الحبِّ، لأنّهُ أعظمُ ما في هذه الحياة، ومَنْ لا يحبُّ ولا يموتُ عشقاً فليس من البشر

ثم يتحدث بعد ذلك عن مرارات الحبِّ ولوعاتِ المحبين، ولذعات نيران الأشواق التي يكتوي بها العُشّاق.. ويقرر الشاعر أن يتفرغ للسكنى في بيت الشعر ليصبح غنّامًا في سهول حوران الفيح لينظم الأشعار والأغنيات ويعطر بها الآفاق - وهذا ماصنعهُ حقاً -.

ويختم قصيدته بإذاعة سرِّ اشتراكهما في العشق وإنغامهما فيه. قائلاً: إذا كانَ قلبُكَ يامحمودُ قد اكتوى بحبِّ البيض المليحات الرعابيب، فإني اكتويتُ بمياسم الحبِّ نفسهِ التي اكتويتَ بها، واحترقتُ بنيران الشوق التي احترقتَ بها قبلي. يقول:

النص:

مَعذورْ وهَذي سيرتَكْ بخطَّ لقلامْ
مِنْ لون قلبك صار لينا الْموالي
أرسُمْ افنونَكْ فوق تلعات الخيامْ
وطْلِقْ رعاكَ الله حُلو المعاني
وافتحْ لَنا بابَ المحبّهْ وَلِلْهامْ
خَلِّي ارياح الشعر تنثرْ بَيانَي
شرِّعْ لَنا بالحُبِّ تعاليمَ السلامْ
مَحمود خرِّرْ عُقدتي في المَساني

وازرعْ اورودَكْ فوقَ حلواتَ الحزامْ

وابني لنا محمود حلوَ المباني

ياما فدينا الحبَّ في كِثْرِ المنعامْ!

الخزَّ والديباجْ فدْ وَدْ اطْواني (١)

اسكرْ حشاشاتِ القلبْ وحكمْ اعدامْ

مَنْ لا يذوقْ الحبَّ ماهُو انْساني

ومَنْ لا يعيش الحبَّ لا تحسبْ أيامْ

عمرَ الهوى ياصاحْ هُو عمرْ ثاني

ياما مَشينَهْ ادروبْ حافينَ القدامْ!

ويا مَا حسَبْنا العمرْ حسابِ الثّواني!

وياما سهرْنا الليلْ والخلقْ نيّامْ!

ويامَا جرّني جسرَا لسَّواني! (٢)

نِشفتْ اسيولْ الحلقْ من صَرْخَةْ اغلامْ

واني أتقلبْ بينْ جمْرَ الأواني

وهيّ تشبَّ النارْ في صدرِ الحزامْ

ورمادْ قلبي في وهيجِ الحناني

أضُمَّ أني السروفْ وتلمّسْ حزامْ

مِن نارِ جمْرَ الحبْ خليّ سَقاني (٣)

أَشْرَبْ لَذيذ الكاسْ وَجَدِّد حلامْ
يومن شقي الروح بروحو شقالي
عَ زَعَبْ فطم النّهدْ غسيتَ الفطام
راحْ وضحكلي الزين بعذب التمالي
أَسقي ظَمَعةْ روحي مِن شهوة اوْحامْ
بين الصدر والعنقْ ننسى الوْهالي
وَاعْصُر بشفتي شِفْتَه حِلْوَ الوشام
وداعبَ السرجوفْ بِحِلْوَ الغنالي
وَنسى اشهور الحجّ وايّامَ الصيامْ
وَطْلِق سِجننّا في هيبُو لَقالي
وانثُر على الدنيه حِلواتَ لِنْغامْ
وانا شْدَ العشّاقْ تِسمَع الحالي
وَابْني ابيوتَ الشّعُر واصيرْ غنّامْ
وَرْوي سَهلْ حوران شِعرْ وغنالي
أَني عَشير البيض ترفاتَ الويامْ
قَلبي عن حبّ الصبايهْ عَصالي
اللّي يلومْ القلبْ يِبْلاه بِسّقامْ
يِصيحْ غريبَ الدار مالُو اوَطالي

الحُبّْ مَكانو الروحْ ما يعِصْموا لْجامْ
وجُوّهْ القلْب مَزروعْ ما لُوا رْسالي
جُوّهْ فُؤادي لُهْ عَناوينْ وارْقامْ
أرْياضْ قَلبي عِشقْ كُلْها اِلْوالي
أناشْدَ الشُعّارْ وَقُولْ ياكْرامْ
رَلِيِّ بهَوى الزِّيناتْ هُوّى بَلاوِي
مَحمودْ حُبَّ البيضْ مايِجلُبْ اخْصامْ
اللِّي كوى قَلْبَكْ ابْنارْكو الِي

أحمد عبدالرّحمن قداح

١- الطوالي: نسبة إلى الطول وتساوي ...١كم
٢- السوالي: المثابرة على العمل مع الصبر.
٣- السرجوف: الخصم المتحيل « وقدمرت معنا ».

الفصل السادس

الشاعر محمود الزعبي - والشاعر عوض أبو عيد

١- قصيدة الشاعر عوض أبو عيد - إلى الشاعر محمود الزعبي :
« جَرَحْتِي الشاعِر بكلمتِكْ ياهِنْد »

٢- رد الشاعر محمود الزعبي - على قصيدة الشاعر عوض أبي عيد : « تِشْتكي من قولةْ الزيونْ ليكُم يَعَمِّي »



١ - جَرَحْتِني الشاعرَ بكلمتِكِ هِنْد

للشاعر: عوض أبي عيد

إضاءة على النص:

هذه قصيدةُ الشاعر عوض أبي عيد، يرسلُ بها لصديقه وصفيِّه الشاعر محمود مفلح الزعبي، يشكو له فيها من تلك البُنَيَّةِ التي اسمها «هِنْدُ» التي طعنتْهُ طعنةً نجلاءَ، وكسَرَتْ بخاطِرِهِ، عندما قالتْ له: اشرب الكاس عَمِّي.

عَمِّي! سَمِعها ولم يُصدقْ سمعَه!.

- هل طَعَنَ بالسنِّ وكبر على حين غِرَّةَ، دون أن يكونَ له عِلْم؟

- هل غزا الشيبُ فَوْدَيْهِ فظهرَتْ علاماتُ الهَرَم عليه؟

- هل رسمَ الدهرُ على مُحيَّاه آياتٍ بيناتٍ من الشيخوخةِ دون أن يدري؟

لقد نبَّهَهُ هذا وذاكَ إلى واقِعَةٍ ما كانتْ بالحسْبان، زلْزَلَت كيانَهُ وأيقظَتْهُ ربَّما لأوَّلِ مرَّةٍ على حقيقةٍ مُرَّةٍ، وهي أنَّه صار عَمًّا.

فَلِمَنْ يشكو؟

وبِمَنْ يستغيث؟

لم يجِدْ صدرًا دافئًا قادرًا على أن يحتضِنَهُ، ويرقَّ له، ويحنوَ عليه، سوى صديقِهِ الشاعرِ الحساس محمودِ الزعبي أبي منصور، فكتبَ إليه يقول:

يتوجَّهُ بالخطاب إلى هندٍ تلك الصبيةِ التي جرحتْهُ في

عُمْق أعماقه حين قالتْ له: اشرب الكأس عَمّي !!
لحظتها شعر أنه أُصيبَ بعيارٍ ناريٍّ أصابه في الصميم فنسف أحشاءه، وفجّر شرايين دمه.. فيُجابهها قائلاً:
كمْ من فتاةٍ خَمْرَةٍ مثلك استقتْ من مناهلي فرويتْ ظمأها الذي كادَ أن يفتكَ بها لكثرة ما ظمئتْ وأحرقها العطش؟
وكم من فتاةٍ لعوبٍ مثلها، فكّتْ أزرارَ ثيابها، عن ثمارٍ دانيةٍ، فطوّقها بذراعيه، وراح يرتشفُ الشهدَ من فمها المُطيّب؟
وكم توسّدَ زَندين عَبلاوين، وداعبَ نهدين كاعبين، وقبّلَ وجنتين وَضيئتين، وملأ رئته وخياشيمهُ بروائحهما المسكرة؟
فَمِنْ جاسمٍ، إلى ذرعات، إلى الحبيب، إلى بُرْد، ردَّ قصائده إلى أحضان العذارى الدافئات.
فهو إذاً ليس كما قالتْ، فيتحدّث عن نفسه ويقول: نحن أشبالُ أسودٍ مازلنا مُرداً، نجوسُ الدروب خلال الظلام الدامس، لا يأبهون الصعاب، ويقتحمون المهالك.
لذلك سينالُ من ثمار مبسمها البرود، ويجني منه ماشاءَ من رُضاب، إذا أعانه المولى على ذلك، وسيتمّ بعد كل هذا.
وسأستغيثُ بكَ يا صديقي محمود لتعينني حتى لو كنتَ بالسندِ في مجاهل الهند، وسأبوقُ باستغاثتي لكلِّ النشامى ممّن هُم على شاكلتِكَ. لأنكم تبيتون على استعدادٍ دائماً لتلبيةِ لهفةِ المُستغيث فيفرحُ بسندِكُم وشدِّ أزرِكُم له وقت المُلمات.

عندئذٍ سيشرح لهم قضيته، ويصف ظلامته، بالنظم والنثر، عمّا أوقعته به تلك الصبيّة عندما قالت له: «اشرب الكأس عمّي».

ثم يتوجّه بعد ذلك بالخطاب إلى هندٍ قائلاً لها:
حينها يا هندُ سيكونون هُمُ الحكام ما بيني وبينكِ، وتتجلى معرّةَ ما جنيتيه عليَّ، وما أوقعتيه من ظلم وجور لي، ..
وسيكون من حقي أن أطلبَ بفمي ما أشاء استيفاءً لحقّي عليك.
وتمّتْ هذه القصةُ الرائعة بالصلاة على الطّاهر الأمين محمد صلى الله عليه وسلم.

النص:

جَرحْتِي الشاعِر بِكلمتِكْ هِندْ
مِن يوم قُلتِي أشرب الكأس عَمِّي
عِدّي صُويب ارصَاصْ مَضروبْ بالزِنْد
ومن مَضربَهْ فارتْ شَرايينْ دَمّي
كَم خَفرةٍ مِثلك على مِنهلي تَرِدْ
وأرَوي ظَماها بعِدْ كِثْرَ التظمّي
وكم واحدة مِثلك فَكّيتْلَهْ بُنْدْ
وطوّقتها بِذراع وفَمّهْ عَفمّي
وارقُدْ على الزِنْدين وَداعَبَ النَّهِدْ
وأقبّلَ الوجناتْ لِيهِنْ وَأشمّي

وِمِنْ جاسِم لَذرعات لَحبيبْ لا بُرِدْ
بحضن وافي لِلعذاره نِظمّي
واحْنا اشْبال اسُود لِسّاعْنا مُردْ
نمشي دروبَ اللّيل ونَحْني لَهَمّي
وانْ عانَني المولى على مِبسمك نُردْ
واَنال مِنّك غايْتي واسْتَجِمّي
ولَفرِّعَكْ محمودْ لو كُنتْ بالسنَدْ
وبرقيْتي لَكلّ النَّشاما تِضمّي
باتوا عَ الطّوعات فَرد بعدْ فَردْ
أفرَحْ بلُقياهُم وَقْتِ المُلِمّي
واشرَحْ لَهُم قَضِيْتي بنظم مع عَدّ
عن البنْتِ القالَتْ اشرَبْ الكاسْ عَمّي
وهُمّا الحَكَم ما بينَنا عادْيا هِندْ
واحتمّلي والحقْ مَا طَلَبْ فَمّي
تَمّتْ وصلّوا على طاهِرِ اليَدْ
محمّدِ المبعوثْ باسْمَه نسَمّي

عوض أبو عيد

٢ - تِشتَكِي من قولةِ المزيون ليكم يَعمِّي

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

يردُّ الشاعر محمود الزعبي على قصيدة صديقه وصفيِّهِ الشاعر عوض أبي عيد، التي يشتكي فيها ممَّا قالتْه له صبيَّةٌ حسناء «ياعمِّي». فيخاطبُه باسمه قائلاً: ياعوض! وهذا الاستهلالُ يدلُّ على إزالة الكلفة بين الشاعرين وما يربطهما من علاقة حميمة.. هل تشكو لي من تلكَ الصبية المزيونة «هنود» لأنَّها خاطبتكَ بقولها لكَ: ياعمِّي؟! فمِن حقِّها ذلك، لأنَّها ترغبُ في دخيلةِ نفسها بشابٍ «من الخنافس» مثلِها ليِّن العودِ طريِّ الشاربين، ولاهمَّ لها بعد ذلك إن امتُدحتْ أو ذُمت، فدعكَ منها فلا فائدةَ ترجى، لأنه كلما دغدغتْها رياحُ الفتوَّة والشباب نادت بأعلى صوتها: «يمِّي» أي ياأمِّي، لصغرِها الذي يبدو على نهدها الذي مازالَ يتغذى من جسمها، الذي لاتدانيه الخمرةُ المعتَّقة، وصدرها يضمُّه ويحافظُ عليه.

ثم ينتقل بعد أنْ جرجرهُ جمالُها، وذوَّبه فقعُ نهديها وما يبعثانه فيه من خَدَرٍ وسُكْرٍ ليقول: إنِّي أستاذ مخضرَمٌ في شعرِ العشق والأحلامِ الواعدة، فياليتَها تجلسُ على ساعديّ لألقِّنَها أبجديَّةَ الهوى، ولأسقيتُها عندئذٍ شهدَ الغرامِ والحبِّ دون خوفٍ أو وجل، ولجعلتُها تنسى قولها لصديقي: «ياعمِّي»

ثم يحدِّثنا الشاعرُ محمودُ عن بعض مغامراته في

عوالم العِشْقِ للصبايا الجميلات، ويستعيدُ بعضاً من تلك المغامرات فيستحضر أبكارها وزخارفها، حيةً تنبضُ بالحياة فيقول: ما أكثرَ النهودَ الصغيرةَ التي داعبتُها في صدور الفتيات اللواتي لم يتجاوزنَ الخامسةَ عشْرَةَ من أعمارهن! وكمْ علَّمتهن الضمَّ والشم بذوقٍ وفن؟

وكم من جميلة بيضاء جاءت تسعى إليَّ بملء إرادتها كالمهرة الأصيلة تأتي إليكَ بلا لِجامٍ، لأعلِّمها فنون العشق والغرام؟.

ويتابع قائلاً: فإنِّي أخمر ويُتَعتعني السكْرُ إذا ما تَهَجَّتْ أناملي أبجديةَ الجمال في قدِّها الأهيف، وكم من مرةٍ في سبيل ذلك أرخصتُ دمي، وخضت إليها المهالك، لأصبح أنا وقلبي ملكاً لها كصندوق مُحكَم الإغلاق، مفتاحُه بيدِ تلك البُنيَّة التي تُخاطبني في نهاية الأمر «يا عمِّي».

آه من تلك العيون الخضر التي تُضيء وجهها فتنعكسُ أضواؤها على الخدود الجميلة المورَّدة من جهة، وتُطلق ومضَها كسهام يُصْمينَ قلبي ويعطِّلْنَ كلَّ مقاومة قد أُبديها!.

وآه من شلالات الليل المنسابة على متنيها، ومن أغمار الجدائل التي تغفو على صدرها الصبيحِ كضمَّة الريحان!.

ثم يُحدِّثنا عن السعادة التي كان يغرقُ فيها عندما يُساهر الليالي الطوال حتى لا يبقى له نجمةٌ، فتغفو هي عند انبلاج الفجر تَعَباً على زنده، فأنحني عليها بدعوة ماكرة من وميض ثناياها العذاب، وبسمها الجميل الجذاب دون أن يعكِّر هذا الوميض

وذاك السكونَ شيءٌ فأشتارُ الرحيقَ المختومَ من فمِها المطيَّب ، ويظلُّ طعمه الحلو عالقًا بفمي ، هكذا فُطِرت . فالحبُّ يسكنني منذ مَهْدِ طفولتي ، وأغتذي وأعيشُ على المواسم الواعدة في جَنّات المبسم الوضّاح .

وبعد كل ذلك يخاطب صديقه وصِنْوَه عَوَضًا قائلًا له : ياعوضُ إنَّ مَن يعشقُ الحسانَ مِن الصبايا سيلقى كثيرًا من الحسّاد ، فهذه هي حياةُ المحبين ، وهذه هي أشرعةُ زوارقهم في بحار العِشقِ . وكلُّ دروب المحبين ستمرُّ بي ، فإذا أردتني أن أظلَّ رفيقكَ ، فكُنْ مِثلي ، صوتُ الربابة يشجيني ، وربُّ العباد يكلؤني ، ويختم قصيدته بالصلاةِ على النبيِّ عدد حبات الرمل ، وعدّ خفقات أجنحة الطيور المتهاربة في الفضاء الرحيب .

النص :

يا عَوضْ تِشْكيلي من البِنِتْ هُنُودْ !
من قولتِ المزيونْ ليكم يَعمّي ؟
البِنْت تبَي خُنُفس لِيِّن العودْ
ولا همَّها مدحِنْ وَتاه ٍ وذمّي
خَلّه بجهلهْ مابْها عاذْ مِن فودْ
اليا دَغدغَه ريحَ الصبا تْصيحْ يِمّي

اليَا صارْ ما قَطْفَه تَغذّى بعَنْقودْ
ولاخَمر مَعجونَه وصدَرِهْ يِزْمّي
أنا أستاذْ مخضْرَمَ الشعر هَوعودْ
يا ريتْها بالدَّرسْ تجلِسْ عَ كُمّي
تَسقيه شِهد الحبّ مِن دون مَنقودْ
وبِنسيه أنَا مِنْ قُولْتُ لِيكْ عَمّي
ياما بَناتْ الخمس عَشَر لاعَبتْ لِنهودْ!
وعلّمتْهن عَ الظّمْ شَمّاً وفَمّي
كَمْ عانةٍ من البيض جَتّني بلاقُودْ
مِثْل المهَارةْ اليَا صَهْلِنْ بلُجْمي
أحَمّرْ اليا مِنّي تلمَّستْ لقدودْ
وكم مرّةٍ ارخَصْتْ للموتْ دَمّي
وصْبحتْ أنا وقلبي مقفَّلْ ومسدُودْ
يفتحْ بيد البنْت والخَبرْ عَمّي
وعيون خُضرٍ مشَهّلاتَ الخْدودْ
الجَوْر بالعينين يِرمِنْ بسَهمي
يكسي متونه ظلمةَ الليل بجْعودْ
يا لينْ ريحانٍ على الصِدِر زَمّي

أسهرْ أنا وَيَّاه ولا عادْ لي نومْ

ليا مَا يفجّ الصُبُحْ تِغفى عَ زِندي

وَميضْ بَرقٍ مِبسمَهْ مابَهْ سهومْ

رَحيقْ مَختوم بْحلاوَّهْ تشُمِّي

الحبّ في قلبي من الصُّغر مَعمودْ

منِ المبسم الوضَّاحْ غَذَّيت جِسمي

ترى عَشيق البِنْتْ ياعوَضْ مَحْسودْ

اشراع الهوى مَنْصوبْ والدرْب يحَمِّي

وانْ كان تَبِيني رَفيقٍ ومَوْجُودْ

صُوتِ الربابَهْ وخالقَ الكونْ هَمِّي

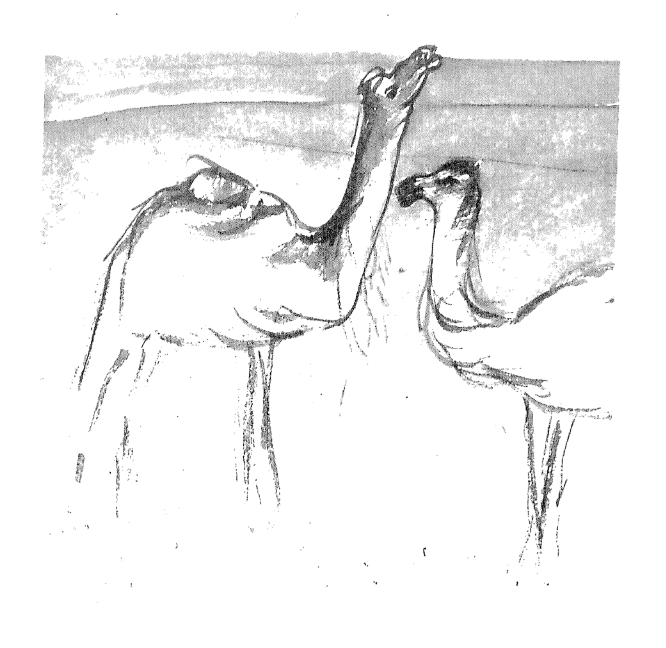
صَلاةْ رَبِّي عَدّ رملٍ بَلا عْدودْ

على النبي وما فزّ طيرٍ وزمِّي

محمود مفلح الزعبي

الباب الثاني

دارة الشاعر يوسف الصياصنة أبي خالد الشعرية



الفصل الأول

الشاعر يوسف عويد الصياصنة - والشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح

١- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح «يابو عرب هرجك مليح بتواصيف»

٢- ردّ الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح - على قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة السابقة: «ياعلي يا مِشْفاي»

٣- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح «يابو عرب همّيت والقلب مجروح»

٤- ردّ الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح - على قصيدة الشاعر يوسف عويد الصياصنة السابقة: «طير النوعي ياعلي»

٥- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح «يأحْمد ترا لي حرف في بحر معناكْ»

٦- ردّ الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح - على قصيدة الشاعر يوسف عويد الصياصنة السابقة: «يا راكبٍ من فوق صعبات لدراكْ»

٧- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح: «نبل المعاني»

٨ - ردّ الشاعر أحمد عبد الرّحمن قداح - على قصيدة الشاعر يوسف عويد الصياصنة السابقة :

« يا وَنّتي بقصة الضَّماير »

١ - يابوعَرَبْ هَرجَكْ مَليح بتَواصِيف

للشاعر: يوسف عويد الصياصنة

إضاءة على النص :

في غفلة من القدر يلتقي الشاعر يوسف عويد الصياصنة بالشاعر المبدع أحمد عبد الرحمن قداح «أبو عرب» في صالة اتحاد الكتاب العرب بدرعا، بمناسبة محاضرة كان يلقيها الأستاذ الأديب علي المصري عن ديوان «جمة الريحان» للشاعر قداح وتبدأ القصة بينهما والتي لن تنتهي مادام هناك أرض تدور، وشمس تحور، وقمر يذر على الكون جدائل من نور، وعرائس حبلى بعناقيد بللور.

يلتقيان مرة أخرى بمكتب صديقهما المشترك علي المصري الذي يصبح سعيداً بهما، يعجب كل منهما بالآخر ويحضران الندوة التي انعقدت في مضافة محمود الزعبي للنهوض بقصيدة الشعر النبطي، ويحرضهما ذلك على الاشتباك بالقوافي والأشعار، لتتطور القصيدة النبطية على يديهما مع أياد كثيرة ساهمت في هذا الموضوع.

يكتب أبو خالد قصيدته الأولى لصديقه، قصيدته الأولى التي مطلعها «يابوعرب هرجك مليح بتواصيف» يتحدث فيها أول مايتحدث عن الغزل وريق البنات العذب الذي يخالطه الهيل بطعمه اللذيذ ورائحته الطيبه، ويقول له في البيت الثاني: سأغنيك ياصديقي للوطن والديرة والسيف والمليحات الكاملات

الأوصاف ، وكأنه بذلك يحدد منهجه في القصيدة ، ويقيد نفسه بهذا البرنامج ، يقول :

نهود هن الصغيرة النابعة كفقع الكماء ضيف على تلك الصدور العامر ، وكأنه يريد أن يقول بأن ذلك لن يطول وستتحول بعد حين إلى أثداء ، فتمتع بهن الآن. هاتيك الجميلات البيضاوات المشربة بصفرة كبيض القطا أو كلون العاج .

ثم يرحب بذكرهن ، نهدان ضيفان دافئان رماهما السعد على صدر دافئ فغدا متجاورين ، وذلك لنهود أحدهما وانبساط الآخر وملاسته ، فهما متجاوران . هذان النهدان المكوران على أحسن تقويم كمقتين من الدر ، قد أيقظن في الصدر ما كان غافياً بلواعج الحب والإحساس بالجمال .

ذكره ذلك أيضاً بالفرسان النشاما الذين يمتطون صهوات الخيل أيام كان هناك فرسان ونشاما ، يلفون على حوران أمّ الضيفان وريحانة الوراد على أهل درعا «صبيان جابر» الذين يولمون للضيوف ويصبون السمن العربي صافياً على مناسف طعامهم .

ويعدد الشاعر الصياصنة ممادح أهله في حوران ودرعا الذين ما استكانوا لمستعمر أو دخيل غاشم ، فيهاجمون «المضخر» الثكنة الفرنسية ويطردون «جليان» المستشار الفرنسي آنذاك .

ثم يشكو له حال اليوم الكالح ، الذي لا يرضي عدواً ولا يسر صديقاً ، فيبقى البال مكسوفاً ، والوساوس تنخر داخل

المفس ، والسعد غاف ، وأكثر مايحزن الشاعر أنه لم تعد هناك نخوات ، و لا معروف ، فالأرض ضاعت والعرض انثلم ، وبعدهما لا شيء يستحق الذكر.

انظر ياصديقي إلى الرجال كيف تم خصاؤهم وشمَّنوا ووضعوا نياشين الهزائم والخيبة على صدورهم ، ويتصدرون الولائم والمناسبات ، ويتسللون إلى بيوت الحرم ومقاصيرهن . ويدعو عليهم أن يعمي الله أبصارهم كما أعمى بصائرهم . ويختم قصيدته وهو ينعي النخوات التي ماتت ، وما آلت إليه حالنا أمام الريح السافية

النص:

يا ابو عرب هرجك مليح بتواصيف
. ريق البنات مخالطه هيل صافي
غنيت للديره ، وغنيت للسيف
وغنيت للي كاملات الوصافي
فقع المكما الزينات بصدورهن ضيف
وبيض القطا يلفي عليهن زرافي
يامرحبا بالضيف ضيف على ضيف
دافي رماة السعد بجوار دافي

فقْعينْ دُرّْ مكوَّراتٍ على الكيفْ
عَ مواجْهِنْ فاقَ الَّذي كانْ غافي
ذَكَّرتْني بأيّامْ كانتْ على الكيفْ
يومْ النَّشاما يحْتَلوهِنْ خفا في
وْيلفوْ على حورانْ رِيحانةَ الصِّيفْ
صِبيانْ جابِرْ يَدْلحوْ السَّمِنْ صافي
وْيِمْشو على «جليانْ» في ضَحْوَةَ الصِّيفْ
وْيحَرِّرو المضخر وكُلّ المنيا في
وَاليومْ يا شُوقَ الفضي البالْ مَكْسُوفْ
جُوَّ النَّفِسْ وَسْواسْ وَالسَّعِدْ غافي
ماظَلّ في نَخْواتْ ماظَلّ معروفْ
بَعْدِ الأرْضْ والعَرْضْ ماشَيّْ صافي
تْشوفَ الزُّلِمْ تِشْبَهْ مَهاجينْ مَعْلوفْ
تلبسْ نياشين الغوى وَالصّدا في
تِقْحَمْ عَ صَدْرَ البيتْ وَالبيتْ مَضْيوفْ
وتْفوتْ جَوّاتَ الحَرَمْ مَا تْخافي
وَانْشوفْ ما نِبْغي وَنْشوفْ وَنْشوفْ
رِبيتَ العمى للعينْ رِبيِّهْ كَفافي

كَانَتْ لَنا نَخْواتْ ، بِنْحافْ وِنْخُوفْ
واليومْ صِرْنَا رِيشْ بِايْدِ السَّوافي

يوسف عويد الصياصنة



٢ - يا علي يا مشفايْ

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

يرد الشاعر أحمد قداح أبو عرب على أولى قصائد صديقه الشاعر يوسف الصياصنة أبي خالد بعد عدة أيام بقصيدة على الوزن والقافية نفسيهما، يبدأها باسم صديقهما المشترك «علي» متخذاً منه جسراً ينفذ منه إلى بحار القول، فيشكو إليه لأن شكواه إليه شفاءٌ له. وبلسماً لجراحه، ويعرب له عما يحس به من كآبة ووحدة، ومايهيجه سواد الليل من أشجان. ويا حلاوة فنجان القهوة العربية فوقها الهيل، أي البهار - الذي يزيدها طيباً - وتصبها للوافدين في مجالس الصيف يأتونك فرادى ومراديف وهم ينشدون الأغاني «الهجيني» وكل منهم يغني على ليلاه، ويزجي التحية عليك وعلى الحاضرين ويلج إلى موضوع الغزل دون أن تحس له جفوة، ليتحدث عن خمرة الهوى، وغنج الجميلات في أحاديثهن الحلوة، حيث يتمنى لو تتاح له الفرصة لينهل من شفاههن عذب الرضاب.

ويستمر في خطابه لصديقه علي المصري، واصفاً أناقة عذبات الريق، وأردان ثيابهن المطرزة يلوحن قلبه حينما يلحن بتلك الأردان، أو يتخطرن بشفافيل ثيابهن المرقمة المزينة بألوان التطاريز، ويتمنى مشهداً على منواه صديقه علي أن المنهلة الواحدة من تغورهن تبرئ الأسقام وتشفي من العلل..

لقد كن حبيبات له فيما سلف من غابرات الأيام، واليوم بعد أن تقدمت به السن صرن يكتفين بالقاء النظرة العابرة.

ينتقل بعد ذلك مباشرة ليخاطب صديقه الشاعر يوسف الصياصنة فيناديه باسمه طالباً منه ألا يجرد عليه أسباب العَوَل فلفتةً منك أبا خالد تكفي لنفهم كل شيء.. فنحن ياصاحبي لكم كما القراب للسيف، وأنتم كالركن نطوف حوله. وهذا مدح مستطرف لا أظن هناك أجود وأعظم منه مدحًا، وهذا من المعاني التي قلما يقع على مثلها الشعراء.

ويتابع مدحه فيخص «عيال جابر» وهي نخوة أهل درعا، بالكرم والشجاعة، وهم غوث العذارى ودرعهن في السنين العجاف، ووجده على أولئك الذين من عاداتهم أن يحمسوا القهوة مع الهيل لضيوفهم، كما وجد الناقة المرضع إذا ما ابتعدت في الفلوات، وهذا دليل قاطع على كرمهم في مضافاتهم المشرعة والمتكآت المنمقة في منازلهم تأهل وتسهل للضيفان.

ثم يفخر الشاعر بأهله وذويه وهي ظاهرة تستحق الوقوف عندها في شعر أبي عرب لأن ضمير الجماعة هو الغالب في نتاجه، يقول: نحن أهل المكرمات لا نرهب أحدًا عند اللزوم ولا تأخذنا في الحق لومة لائم، تشهد لنا بذلك الساحات حينما يتقدم شجعاننا ساحات الوغى حفاة فوق اللهب والنار إن كانوا مشاة وعلى ظهور الخيل إن كانوا فرسانًا متناسين كل ما بيننا من شحناء عند الوغى، ويرهب سيوفنا الثقلان، وتروي عطش أرض حوران بدما أعدائنا. فحوران

دار العز والجود والأضياف، سمام العدى والطامعين.

ثم يعود بعد ذلك ليمدح صديقه يوسف، فيرسم شطره ذلولاً معلماً ليحط عند أبي خالد رجل السيف والقلم والرأي والمشورة حيث الصدر الرحب والخلق الواسع والخبرة الطويلة والعلاج الناجع لكل ما يجعل النفس هانئة مطمئنة، ويختم قصيدته بمجموعة من المدائح التي تدل على السداد وحسن الرأي والمشورة، ويلقي عليه السلام ويتمنى له العافية على الدوام.

النص:

يا عَلي يا مِشفاي ْ ماهي على الكيف ْ
رُمْدَ الليالي هيّجِنْ لي أضْنافي
يا مَا حَلا الفُنجان في مَقْعَدَ الصيف ْ!
مِنْ دَلَّةٍ فوقْها الهيلْ وافي
وحِسّ الهجيني والشّنَا مَهْ مَراديف ْ
كُلٍ على نَجْواه ايقُولَ العَوافي
وخَمْرَ الهَوى، وغَنْجةْ حُلْوه السواليف ْ
وطَرقوعْ من شِفَّةْ عذبَ الشّفافي
ولوحت ارديْن، حلوات الزعانيف
طَرقُوعْهن يا علي لَلشّوق شافي

مِنْ الأَوَّلْ كانِنْ لِينَهْ مَوالِيفْ

والْيوم عِنْدَ الشِّيبْ مالاخْ كافي

يوسُفْ لا تْجَرِّدْ عَلِينَهْ التِّصانِيفْ

تِكْفَهْ يابوخالِد ماكانْ ضافي

حِنَّهْ لِكُمْ ياصْوِيحْبي مِرْقَدَ السِّيفْ

وأَنْتوا لْنَا بِلْعُونْ رُكْنَ الطَّوافي

اعيالْ جابِرْ اِمْقَدْمِينَ الْمَعالِيفْ

دِرْعَ العَذارَهْ في اسنِينَ لِاعْجافي

وَجْدي عَلَى اللِّي يحمسُو البِنّْ لِلْكَيفْ

وَجْدَ الخلوجْ اللِّي بِهَواها الفيافي

الدّارْ لِينَهْ وَالْمُرُوحْ وَالْمشارِيفْ

وَالْمِبْرِكَهْ تْهَلِّي في كُلّْ لافي

حِنَّهْ هَلاَ الذُّوداتْ مانِرْهِبَ الحيفْ

عِنْدَ اللِّزُومْ الكُلّْ مِنَّا أَسْنافي

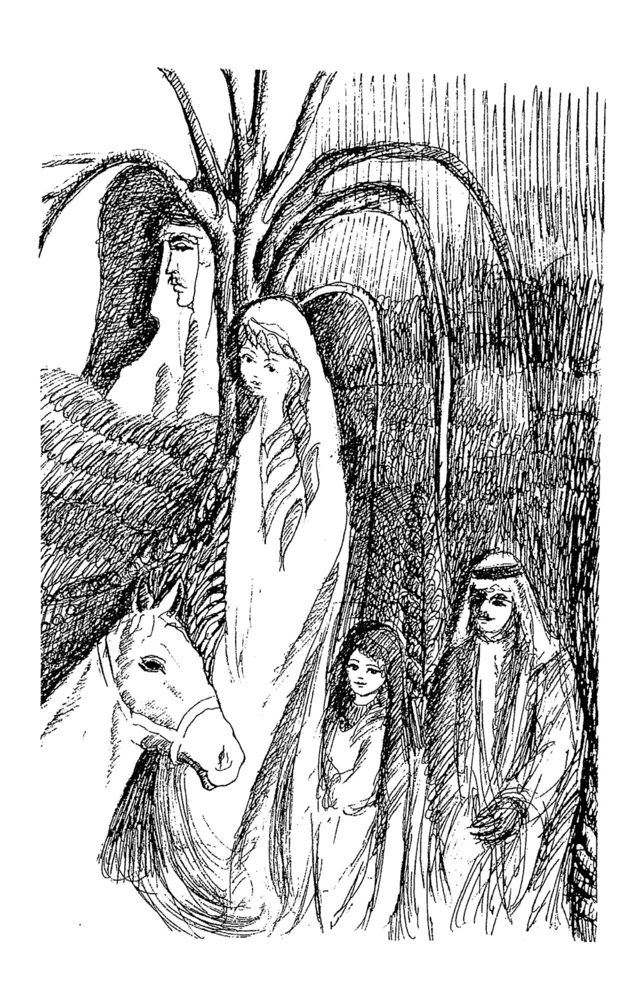
تِدْري بِنا الساحاتْ حِينَ التِّكالِيفْ

دَحّامْتَهْ يِمْشي على النّارْ حافي

وإنْ دارْ فِينا الدُّوْرْ حِنَّا هَلا الرِّيفْ

وإنْ دَعْذَعْ الخَيْلْ يِنْسى التَّجافي

تِرْهِبْ حَنينْ اسيوفْنا مِنْتَشْي الْطيفْ
وِنِرْوي عَطَشْ حُوران بَدَّمْ الرِّعافي
حوران دار الجودْ والعِزّ والضّيفْ
ما هَبَّ ريح لجوّها، ايضَلْ سافي
مِنْ بَعِدْ دا شَدِّيت حُلْوَ الزّفاريفْ
يِمْشي على الطُرقّان ماهو بْجافي
يَمّ أبوخالِدْ حامِلَ القَلَمْ وَالسّيفْ
مَرْشودْ ياهَلَ العِلِمْ وَالجاِئل دافي
الهَمّ ماهُو بِهَمّ بَعْضَ النّتاتيفْ
والشّكّ ما يِخْفي ادْروبَ الْتّصافي
وَالطّبّ ما يِخْفي اوْجاعَ الخَفاريفْ
وَالعِلِمْ مايِقْعِدْ مَنْ كان غافي
العيبْ ماهُو في رشيدَ التّصاريفْ
العيبْ في نَفْسٍ هَواها الكَفافي
أطرَحْ وَقَسّمْ وقدر لينهْ المصاريفْ
وحِنّهْ على الهَفْوات والعَدّ صافي
القولْ مايِكْفي وحِنّه مغاريفْ
السلامْ لِلّه وليكَ مِنّي العوافي



٣ - يابُوعَرَبْ هَمّيتْ وِالقَلْبْ مَجْرُوحْ

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

إضاءة على النص:

يشكو الشاعرُ يوسف الصياصنة لصديقه الشاعر أحمد قداح ما يعتلجُ في قلبه من لواعج الشوق، وجراحاته العميقة في قرارة قلبهِ وتجاويفه، رغمَ أنه لا يُظهر شيئاً تبقى علَّتُه مختفيةً، ورغم هذا وذاك فقد شَحَذَ هِمَّته وكتب إليه، فماذا قــال: ؟:

يقول إنَّ وجْدَهُ متعلِّقٌ بذلك المحبوب الذي يوازي النفس ويعدِلُ الروح، طيِّبُ الأرومة خؤولة وعمومة على الأشهاد غيرُ مجهول، رمحُ أصيل من المُرّان، لا من خشب الشوح، يتثنّى بقامته وقدِّه الأملود كالخيزرانة التي اصطفيت لتكونَ خيرَ هدية.

إنَّها من النسوة تعادِلُ الروح، بذوائبها الشُّقْرِ، إذا ما عرضَ الهوى غلَتْ فلا يقوى الأغنياءُ من التُّجَّار على شرائها، أما إذا أحبَّت فإنها تُقدِّمُ نفسَها رخيصةً هديةً على مذبح الحبِّ.

إنَّها من الملاح اللواتي إذا نظرَ إليهنَّ مخلوقٌ عليه أنْ يكتبَ وصيَّته لأنَّه سيقعُ صريعَ ألحاظهنَّ الفاتنةِ، عندها سيلقى المنيةَ سعيداً بقتلهنَّ له.

وإذا ما كُنْتَ في ريبٍ ممَّا أقولُ إسأل علياً،، وعلي هذا هو علي المصري» صديق الشاعرين. إسألْه فهو يُنبئكَ عن

جراحاتِ القلوبِ المترَّحةِ من هوى الجميلات ! فيا لَهْفَ قلبه على اللواتي تغزلُ عيونُهنَّ شِباكَ الهوى والفتون ! ولهفةَ قلبه على الشاماتِ التي تُزيِّنُ ذواتِ الجسم الذي لوَّحتْه شمسُ العصاري فأنضجتْ ثمارَه خاصةً حلمات النهود المسجدية ! ويا لهفَ قلبه على المرتديات أفياءَ الأدواح ، واللواتي مقيلهنَّ بين العين وجفنها ! ويأسف أشدَّ الأسف على أحاديث الهوى التي استحالتْ إلى أناتٍ وظنون ، حتى أنَّها ضاعتْ في ضَباب الماضي وغدت حكاياتٍ قديمةً توقَّفتْ عن الفعل والانفعال . فلم يعُدْ هناك لهفةٌ ولا شُبوب للعواطف ، ولا زوبعة للفوح والعبَقِ إذا ما مرَّتْ عليك ظَبيةٌ في العشيَّات .. ويستمرُّ بالحديث عن الحسناوات وبقايا لقاءاتهنَّ من زغَبٍ وصواحٍ ونهودٍ متمرِّدات ، إلى أن يصلَ إلى صديقه أبي عرب حامي المنيعات يدفعُ قوافيه شافيةً ، تُبرئُ الجراحات والأسقام ، وتطلقُ إسارَ القوافي من عِقالها . وأبو عرب كتلةٌ من الوفاءِ ، والصباباتِ ، وناياً مبحوحاً ترقصُ على أنغامه كلُّ أصيلةٍ مُعتَّقةٍ ، تملأُ العين ، وتُفعم القلبَ والروح بملاحتها ، ولكنَّها ابتعدت اليوم ، هذه هي سنةُ الزمن يا أبا عرب ، فهو ثوب لا تلبثُ صَبيةٌ أنْ تمزِّقَه وتذروه في مهبِّ الريح ، فأصبحتْ قصورُ الأحلام قاعاً صفصفاً ، وافتضح الهوى ، وعلا العويل .

وينتقل الشاعر في الأبيات الثلاثة الأخيرة يندبُ بعالي الصوت عليَّةَ القوم الذين ماعادوا يستحون بالدنيَّة ، وغرقوا في نعيم الشام بأحضان الحِسان ، وتركوا الباب مفتوحاً ، فسقطت الذئاب على الجموع ، ولم يبق للناس غير الشكوى لأهل المعالي ،

يبوحون لهم بأوصابهم وبلاويهم ، لأنَّ الأشعار والقوافي ستظلُّ سيوفنا بأيدٍ قويةٍ .

النص :

يابو عرَبْ همَّيتْ والقلبْ مجروحْ
جَرحٍ غميق ، وعِلّتي مختفيّهْ
وَجْدِي على اللّي موازين النَّفس والرّوح
لاهو رديّ الحالْ ولاهو هفيّهْ
ولاهو رمحْ مجْلوب ، ولاهو خشب شُوحْ
الخيزران اللّي تِتثنَّى نبهديّه
نِسْوق الهوى ، شقر الذَّوايب ، كما الرّوحْ
تِغْلا على التُّجار ، وترخصْ هديّهْ
من شافهِنْ يكتبْ وَصِيَّه ولا ينوحْ
بِلْحاظهِنْ يلقى السّعَدْ والمنيَّهْ
واسْأَلْ « علي » ينْبيكْ ، من قلبْ مقْروحْ
لهْفي على اللّي عيونهِنْ مغزليّهْ
لهفي على الوجْناتْ ، والجسمْ ملفوحْ
بْشمس العصاري ، والفطامْ مِسْتويّهْ

لهفي على اللي اثنيا بهن فية الدوح

وهقياهن بين الجفن والسخيه

صار الهرج ونات ، بيض بلا موح

صارت سوالف ماضيه ومنتهيه

ماعاد في هفات ، ماعاد في فوح

من عانين مرت عليك بعشيه

هرج ودرج ، وضفاف ، وشفاف ، وشفوح

وتالي العطر غفلان بالنقد ليه

ماحرمو المخلوق ، من فوق ، مسموح

تمشي مسك فواح ، وتصبح نقيه

فقع النهد ، والزين ، والحسن ، مسطوح

وتقنع قناعة «قيس» و«العامريه»

ياما حلا بكرج القهوة على سطوح

مشرف ، يورى الزول ، من مية ميه !

وكل الموافيق ينشدوا الدر بطلوح

شعر موزن ، والمعاني سويه

وأبوعرب - عز المنيعات - مشروح

يكون القوافي وافيه ومشتفيه

يبري الجرح لو كان من حول مفتوح
وبطلق سجين القاف، لو كان عيّه
كلّه وفا، وصبوات، مزمار مبحوح
يناجي بعيطه، مهيرتين معنقيه
كانت ملاة العين، والقلب، والروح
واليوم ما ادري، وين صارت قصيّه
هذا الزمن يابوعرب ثوب مشقوح
شقّت القبّه للديار صبيّه
وجاحت وناحت، سرّها اليوم مفضوح
وقصر العذارى، صار تالي حنيّه
وصاحت بعالي الصوت وتواكب النوح
وتندب شيوخ ما استحوا بالدنيّه
وناموا بحرير الشام، والباب مفتوح
اليا ما سطا ذيب الغنم بالشليّه
لهل المعاني، نشتكي، بسرّنا البوح
ترى القوافي سيوف بايد قويّه

يوسف عويّد الصياصنة



٤ - طيرُ النَّوى يا علي

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

تردُ على الشاعر أحمد قداح قصيدةُ الشاعر يوسف الصياصنة التي عنوانها «يا بوعرب همّيت والقلب مجروح» وهي مُحمَّلة بأثقال المعاني، فتستثير الشاعر المرهف، فيصرخُ من عمق أعماق قلبه الجريح: طير النوى يا علي .. متخذاً من اسم صديقهما المشترك «علي المصري» مفتاحاً يلجُ به إلى خاطر القصيد بعد أن يشكو له وجْدَهُ واغترابه وغربته، فحتى المنايا قد تأبّت عليه وعاندته. يتألّمُ لذاك الذي قيَّده قلبُه الوجيع فلا هو مسجون، ولا تالف، ومع ذلك فهو مسجون وهفيَّة.

ويستمر بالشكوى كعادة الشعراء المعمودين، نار الجوى وحرقة الحب ولواعج الأشواق ويصفُ المليحات اللواتي غزلْنَ على شفال ثيابهن كلَّ قصائد الحب، فترِدْنَ وغزونَ بسهامِهنَّ كلَّ حدائق دانية كانت أو قصيّة.

يشفي، ويجرح، وينضد كلمات قصائده درراً، فتأتيه المعاني طيّعةً ليّنةً، إنه أبو خالد الذي يُعطّر الأحاديثَ بوضوح معانيه التي تتغلغل إلى دخائل النفوس، فكما هو فارس للقلم فهو فارسٌ للسيف، فهو طلاّع أودية، دحّامٌ على ظهور الأصائل، يشدُّ الأزر، ويحمي الظهر يوم يحتاج المرء لسند أخيه، فهو بوق للطيب والجود والعطايا السخيّة، يحمي الذمار، ويُغيثُ

الربع ، فأبو خالد يا أيُّها الشعراء مفتَّحةٌ أبوابه للمُعتفين والمُعسرين.

ويخاطب صديقه قائلاً له : نحن جنودٌ عندك ، نغضبُ لك ونقدم أرواحنا بين يديك ، ودماءنا ديَّة . وأنا لستُ بحال المتخاذلين النائحين . ولا بحال الناعين ، فالحقُّ بَيِّنٌ ، والباطل بَيِّنٌ ، والحلال والحرام ليسا بخافيين على أحد . فنحن قوم إذا شاهدنا الجيلات نسوحُ بهواهن فنغدوا على الأعداء أبطالاً مساعيراً . ونهبُّ إذا ما دعانا الداعي قادةً للميادين ننصرُه بالسيف والرشاش كما ننصره بقوافينا التي تدوي في الآفاق .

وإذا كان يوسفُ شاكياً من بعض الجروح وهو من هو ، فيا لهفي على من كان ضحيةً مثلي .. ويكنى الشاعر أبو عرب ويرمز فيخاطب وحوش الفلاة «يا ذيب» للشجاعة والعزم وهو يعني صديقه الشاعر ويطلب منه ألا يشتكي من حب المليحات ، ولا تبكى من هواهن ، فنَوَحُ الهوى يحرق الأجفان ويقرّحها .

فيا حاملة الفنجان في أريكة الدوح ، ويا مدندنة بأحلى صوت وأجمل ثغر ، فإنك كالطير الذي يُناغي سويداء القلوب بوضوح ، يا ذات العيون الساحرة والشفاه العذبة الندية ، ويا من ترفلين بالثياب الرقيقة الشفافة المعطَّرة بأجمل ما حوته القوارير من عطور ، فاحذري سطوة الشمس يا ذات الأرداف المرتوية ، فمن خمرة العشاق أغزل أوشحتي ، ومن هواهم أروي حرارات الهوى ، فمن هذا وذاك تهتزُّ الأغصان ويفوح العطر ، وما تبقى يوضع في المزهرية ، ويتابع الشاعر سيل صوره الذي يتدفق في وصف الجيلات وتعداد مفاتنهنَّ وثمارهنَّ الناضجة وصدورهن العامرة وريقتهن العذبة كشهد البساتين .

وبعد كلِّ ما قال وما قيل فهو لن يشكو من الأحبَّة أو حسّاده على ألواح نعشه، فوجد يقدّمها هدية للجميلات، لأنَّ من كان مثل الشاعر يوسف شاكياً، فماذا يقول من كان مثلي ضحية، فيالهفَ نفسي على الأيام الغاربة! ولهفي على الغائب الحاضر الذي له كل ما في قلبي من تحيات!

النص:

طيرَ النوى يا علي خَبَّرْ الروحْ
الدارْ قَفْرَه والمناوي عَصِيّهْ
وَجْدي على اللّي امْقَيَّد القلبْ مَطروحْ
لا هُو حَبيس اسْجُونْ ولا هُو نَفِيَّهْ
خَلُّوه رَبْعوا شاكي الجُرحْ مَكْبوحْ
في سَهلةٍ يَرْوِي اللّظَاهْ من ضَمِيِّهْ
يغْزِلْ على شُغّال حُلواتَ الطْلُوحْ
بِسْهامْهِنْ غَزِّنْ جَنايِنْ قَصِيِّهْ
يِشْفي وِيجْرَح وِينضِدَ الدرَّ مَمْلوحْ
كُلَّ المعَاني لِيهْ صارَتْ وَفِيِّهْ
أبو خالِدْ، مْعَطّرِ الهَرَجْ بِوضُوحْ
سَبْرِ المعالي للنّفوسِ النَقِيّهْ

طَلَّاعْ دَحّامْ الطَّويلاتْ مَفْتوحْ
المِرْكِهْ والخُرُجْ والمِعْنِقيِّهْ
زْمَامْ لِزَامَ الوَّهْيَاتْ مَنْفوحْ
يوم الخَوِيّ ايْسِدّْ غِيبِهّْ خَوِيِّهْ
البِيرانْ اللّي لَهُو الطّيِّبْ مَنْضُوحْ
لَلْجُودْ ولَلْجُّوداتْ نَفْسُهْ سَخِيِّهْ
هَزّاعْ جَزّاعْ الطَّلاطِيلْ مَشْبُوحْ
فِي رَبْعَةٍ بِرْجَالْها مِحْتِمِيِّهْ
هَذا أبو خَالِدْ يَاهَلاَ الكارْ مَفْتُوحْ
بَابِهْ عَلى مِشْرافْ عِشْرَهْ رَقِيِّهْ
يوسُفْ تَرانَهْ لِيثْ عُطُودْ وجْنُوحْ
وحِنَّهْ لَكُمْ يَاصْويحْبِي دوم دِيِّهْ
مَانِي بْحَالْ اللّي على الذّلّ بِينُوحْ
ومَانِي بحَالِ اسْعُومْهُمْ والنَّعِيِّهْ
مَاحَرَّمُوهْ الخَلِقْ مِنَ الرَّبْ مَسْمُوحْ
وَلاَ التّهاوي بالنَّوايَهْ حَفِيِّهْ
حِنَّا لْيَا شُفْنَهْ الغَنادِيرْ مِنْسُوحْ
ولْيا طَلَبْنا الضِّدْ كِلْنَهْ حَمِيِّهْ

وِلْيا دَعَانَهْ دَاعْجِيَ الحَقّْ مِنْرُوحْ
بِرُوسْ الفَيَالِقْ نَاصْرِينَ القَطِيَّهْ
السَّيفْ وَالرَّشَّاشْ لَلصِّدّْ مَشْرُوحْ
ونَظْمَ القَوَافِي مَاضِي فِي دَوِيَّهْ
إنْ كَانْ يوسُفْ شَاكِياً بَعْضَ الجُروحْ
لَهْفِي عَلَى مَنْ كَانْ مِثْلِي ضَحِيَّهْ
يَا ذِيبْ لا تِشْكِي الغَنَادِيرْ لاَتْجُوحْ
جُوحَ الهَوَى يَاذِيبْ، عِلَّهْ خَفِيَّهْ
يَا مَا حَلاَ الفِنْجَانْ فِي عَاصْيَ الدُّوحْ!
ودنٍّ لوصاف أوحلو الثَّنِيَّهْ
وطيراً ينَاغِي مَكْمَنَ القَلْبْ بِوْضُوحْ
العِينْ تِسْحَرْ والشَّفَايِفْ طَرِيَّهْ
وثُوبَ القَوَارِمْ بالقَوَارِيرْ مَقْرُوحْ
الشَّمِسْ صَفْرَهْ والمَرَادِيفْ غَوِيَّهْ
أجْدِلْ مِنْ خَمْرَ العَشَاشِيقْ مَصْلُوحْ
وَاسْقِي مَرَارَاتِ الهَوَى فِي شَهِيَّهْ
الجَدِلْ وِالجدَّالْ وِغْصِينْهَا يْفُوحْ
تَالِي المِطِرْ مَنْقُوعْ بِالمَشْرَبِيَّهْ

وغَنْجَتْ عَنُودَ ابرجت كل السفوح
مَاهِي على عاداتَنَهْ مِسْتَحِيَّهْ
وخِدْرَ النَّهْدْ مَنْقوع في خَمْرَ السفوح
بيضَ الحَوْنْدَهْ مَحْ خَدٌّ الصَبِيَّهْ
أليا نْشَدَّتْ هيَّجِتْ مِرْقَدَ البُوحْ
حَانَ القِطَافْ اثْمارْها مِسْتَوِيَّه
ولْيا تِلَمَّسْتَ البَيادِرْ غَدَتْ مُوحْ
تِكْوِي ابْنَارَ الشُوقْ نفسًا شَقِيَّهْ
أَرْوِي ظَمَا رُوحِي من صَدِرْ مَنْحُوحْ
قَبَّنْ اثْمارُو والفطم مَرْمَرِيَّهْ
مَا لِيْ شَاكِي لَوْ سَنَّدُونِي عَلى اللَّوحْ
عُمْرِي ورُوحِي لَلْحَبايِبْ هَدِيَّهْ
إنْ كانْ يوسُفْ شاكِي بَعْضَ الجُرُوحْ
لَهْفِي على مَنْ كانْ مِثْلِي ضَحِيَّهْ ؟
لَهْفِي على الأَيامْ فِي سِيرْها انْزوحْ !
ولَهْفي على مَنْ لُو بقَلْبِي تَحِيَّهْ !

أحمد عبد الرحمن قداح

٥- يا أحمدُ تراني حرفٌ من بحرِ معناك

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

إضاءة على النص:

«يا أحمدُ تراني حرفٌ من بحرِ معناكْ»، مطلعُ قصيدةٍ، ونفثةُ تَمَلٍ أسكرتْهُ خمرةُ الأبجديَّةِ المعتَّقة في قصيدةٍ قسيمِ الروح والشعر «أبو عرب أحمد قداح» المعنونَةِ بـ«طير الدوري»، وكأنَّ الشاعرَ أباخالدٍ يوسف الصياصنة ظلَّ مأخوذاً بخمرةِ القصيدةِ التي حلَّقتْ به فوقَ أجواءِ الفضاء على أجنحةِ كلماتها ومعانيها المتدفِّقة بالحبِّ والإعجاب المتبادل بينهما، فقد انهدمتْ كلُّ الحواجز، وزالتْ جميعُ البراقع، وأسرى الشاعرُ في رحلةٍ عسجديةِ الرؤى من رحلاتِ اللغةِ الجميلةِ التي تَشِفُّ وترِقُّ وتَدِقُّ حتى تختلطَ برائحةِ الشمس وأشعةِ الأرض، فتشمُّ الأصواتَ، وتسمعُ نسائمَ العطور، حتى يستحيلَ الإنسانُ كوناً، والأكوانُ إنساناً، ويختلطُ الوجودُ كلُّه ليشكِّلَ جوقةً موسيقيةً هادرةً في بيادرِ الأبجديةِ وغلالِ معانيها المتدفقة من شفاه الحروف.

أبو خالد يعشقُ فنَّ أبي عرب، وأبو عرب يعشَقُ فنَّ أبي خالد، وَضِعْتُ أنا بَيْنَ العِشْقين، فالذي يؤرِّقُ أباخالد هو أنْ يموتَ بعيداً عن قريةِ الشاعرِ أبي عرب «الحراك» فينفصلَ عن صديقه ويبتعد، وهو الذي يتعبَّدُ في محراب قصائدِ أبي عرب، ويحفظُها دونَ كلِّ الخلائق، ويعتبرُه ربَّ القوافي، وسهامَ العدا، وحلمَ العذارى، والمثلَ الأعلى «للرجاجيل»، والدم الذي يسري في.

عروقه.

ثم يعرِّجُ أبو خالد في وصفِ سهولِ حورانَ، وذهبِ حوران، وعطرِ حوران، وظباءِ حوران، والكحلِ الصادحِ في عيونِ الغرانيق الفاتنات من بنات حوران، فكلا الشاعرين معجونٌ بعشقِ تُرابِ حوران، وهي ظاهرةٌ تلفتُ النظرَ في شعرِ الشاعرين نلمسُها في كلِّ أشعارِهما وقلّما تخلو قصيدةٌ منها.

ويخلعُ الشاعرُ الصياصنةُ على صديقه الشاعر أبي عرب من القيمِ المدحيةِ ما يتجاوزُ ما تعارفَ عليه الناس، ويرسلُ إليه نهيقتهُ وقد جعلَ خواتيمها بمواسم الغزالِ، ووعودِهِ المطولة، وشِباكِهِ المنصوبة، وأعرافه المتداولة، ويذكِّره بغابات الشِّعر التي مَنْ دخلَها ضلَّ وتاهَ وأضاعَ الرشادَ، ثم يُقسم بربٍّ من أجرى الهوى وجعله سنّةً بين الناس، أن لا يوجد غير الهوى ما يطفئُ التحاريق.

« من الشاعر يوسف عويّد الصياصنة إلى أحمد عبد الرحمن قدلح أبو عرب »

النصُّ:

يا احْمَدْ، تَوالي حرفْ من نحرْ مَعنانْ

يا موجْ، يا حامِلْ سفينِ المعاشيقْ

قُل لِّي! أميتْ الموتْ؟! اتَسْكُنْ بالحراكْ

واحفَظْ قصيدَكْ دونْ كلِّ المخاليقْ

واشْهَدْ ابقولَكْ، من تحتِ ميةْ مِدْماكْ

قدّامْ ربِّ الكونْ، لا ينشْفَت الرِّيقْ

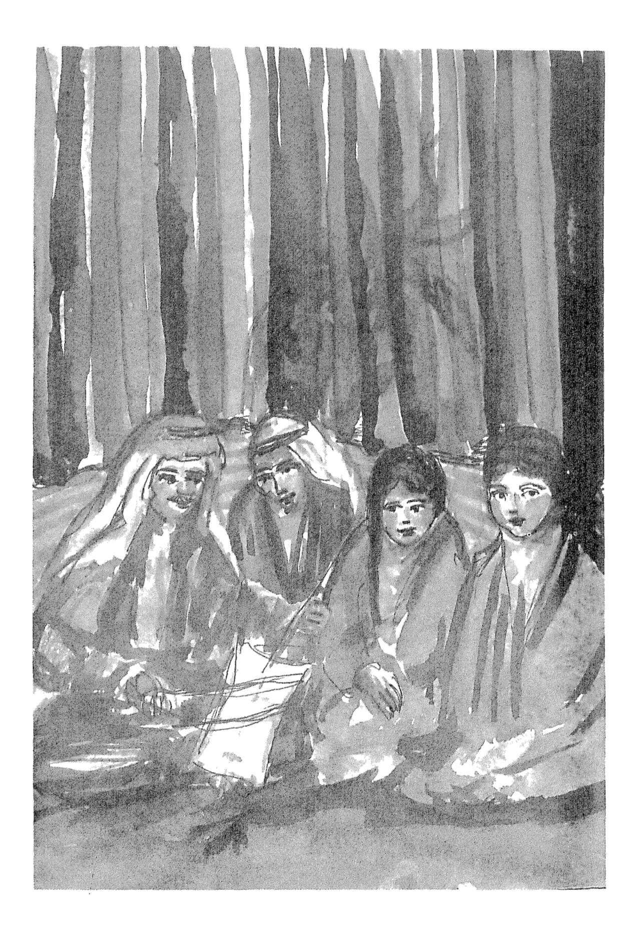
تَرىٰ يغفرلي ، بسرّ صادقْ نواياكْ
أنتَ الّذي سوّاكْ لاْفكّهْ المضيقْ
إنتَ المعنّى ، والشّوفْ فوقْ مرقاكْ
حُلم العذارىٰ ، وداخلنْ بالمحاليقْ
يابوعرب ، كل الرّجاجيل فِدْواكْ
عصر الملاويحْ مات لولاكْ مايْفيقْ
تجزي بسحرْ مسبوكْ ، قلّتْ عطاياكْ
حرفكْ ، وجع ، وشفاه ، للعزّ مطليقْ
بصيد المعاني بانْ ، بالكرمْ ما اسخاكْ
تحبّ العذارىٰ ، شوق كلّ الغرانيقْ
يا الصّاحب اللّي أسعفتني مطاياكْ
يومَ الرّفايقْ ، داخلتهم تعاليقْ
إنْتَ بو ريدي دومْ لو مُتّ ما سلاكْ
ادعي لي ، هداكْ الله ، بيوم التّشاريقْ
حتىٰ علي ، عنْ بُعد ، بالودّ حيّاكْ
بَاجْمَلْ وصايفْ ، باحْسنْ النّاس بتليقْ (١)
ترىٰ البَلدْ محتاجْ لحنكْ ، ومغناكْ
ومحتاجْ رجلٍ ، رجفةَ الخوفْ مايْطيقْ

حنّا تَرانا نحبّ لْبلادْ نُسّـالْ
عُقْبَ الوطن كلّ الوسيعاتْ بتْضيقْ
الجنّهْ عَكتفْ السّيل، مع نفَسْ تُنبالْ
وضحكةْ عنودْ، من الهوى، وخمرةَ الرّيقْ
يا ما حَلا الزّمْزوم، لو مِلتْ بلقالْ!
والرّيح عونهْ، اتخلّقَ الموجْ تخْـليقْ
اتغنّي مع الرّعيان، تِضحكْ ثَنايالْ
وَعْدَ البيادرْ، للعشاشيقْ عَشّيقْ
وعود الصّبايا، صاغْها اليوم سَبّالْ
قمح السّنابل، والذّهبْ، والمحاليقْ (٢)
هذا ذَهبْ حورانْ، وِاعيالْ تِكْفالْ
لو لزّتْ العونات فكّوا المشانيقْ
هذا سهلْ حوران كل لونْ فتّالْ
مرجةْ صَبايا، زاهيات البشانيقْ
غيمةْ عطرْ فوّاحْ، ذبّاحْ، شبّالْ
تدخلْ صماصيم الحشا والتّفاهيقْ
تِغزلْ وَعِدْ معْطولْ، والصّيد بِشْبالْ
وتكسرْ قوانين الهوى والمغاليقْ

مَن فاتَ جُوّاتَ المشَّعُرْ، عافْ دنياكْ
واحرَمْ ابْصيدا، وحَجّ بالوجهْ تِشْريقْ (٣)
والحْياتْ مِنْ أجرىْ الهوىْ، وخَلِقْ سوّاكْ
غيرْالهوىْ، ما فيش يِطْفي المحاريقْ

يوسف عويد الصياصنة

١- علي : هنا هو علي المصري صديق الشاعرين والقاسم المشترك بينهما .
٢- المحاليق : الجزء الذي يحمل السنبلة .
٣- صيدا : بلد ناهضة شرقي درعا تمتاز بجمال صباياها .



٦ـ يا راكبَنْ من فوقِ صَعْباتَ لِدراكْ

للشاعر: أحـمد القداح

إضاءة على النص:

تصلُ قصيدةُ الشاعر أبي خالد «يا حمَدْ توالي حرفي من نحو محالك». إلى صديقه الشاعر أبي عرب، فيحتضنها ويجوبُ بها السهولَ والوديانَ والهضابَ يُشهِدُها على شِعْرِ صديقه، فَنِّ صديقه، وحُبِّهِ وتقديرِهِ له، وهو الذي ما وجَدَ مثلَ هذا التقدير من أهله وذويه، ويطربُ، ويُنشدُها للقاصي والداني مِمَّنْ حوله ليعلموا مكانته، وليعرفوا له قيمتَه الرفيعةَ وقدرَهُ السامق عند الشعراء وأهلِ العلم الذين يعرفونَ له قدرَهُ.

ثم يُعدِّدُ الشاعرُ كثيراً من القيم المدحية التي يخلعُها على صديقه الشاعر يوسفَ، فهو الملفى للواردين إلى دارها، فالدار وسيعةٌ عالية مشرفةٌ، يلقاكَ بالبسمة، ويُصابحُكَ بالقهوة العربية. ويخاطبُه باسمه مباشرةً على أنَّه ذِكْرٌ له وسَنَدٌ عندَ الشدائد والمصاعب، أمّا إذا طَلَبْتَنا فنأتيكَ زاحفينَ مُغيرينَ على أصائلَ يجُزْنَ الحزونَ والصعاب.

ثم ينتقلُ ليمتدحَ حصافةَ صديقه الشاعر، وطيبَ مراميه، وأنه سيظلُّ قائدَ القصيدِ وربَّ القوافي لا يتجاوزه هو ولا غيره لأنه سيِّدُ أهلِ القلم، وإمامُ الأبجدية، فالقوافي تتدفقُ من بحره، والمعاني تَغْفو على أعتابه وتصحُو على مائه حيثُ الريُّ والحياة، فالناس تشهدُ له بذلك.

ويبلغُ الشاعرُ أبو عرب ذُروةَ القصيدةِ في بيته التالي

الثالث عشر حينَ يقرنُ نفسَهُ بصديقه حينَ يلتقيان نُسّاكاً في معبدِ حبٍّ هذا الوطن ، فلا قبله حب ، ولا بعدَه حبٌّ ، ويدونه لا يبقى موطناً للصقور تُحلِّقُ به . وينثني ليحدثنا بعد ذلك عن سهل حوران ، وينابيع حوران التي تروي ظمأً ألعطاش ... ويتحدثُ بعدَ ذلك عن النجْدةِ عنْدَ أهلِ حورانَ يومَ تغصُّ الحناجرُ وتجفُّ الحلوق . وأنَّ حورانَ أمُّ الكرمِ والجود ودارٌ للضيافةِ عندما يَعِمُّ المحْلُ ، وأهلُها أهلُ الهوى والعِشق في أوقات القضيَّة والسلام .

ويعودُ الشاعر ليُثْني على صديقهِ يوسفَ ويمدحَهُ مرةً أخرى وثانيةً وثالثةً ، فهو مشهورٌ ومعروفٌ والدُنيا مُزهرةٌ له وصيتُه طَبَّقَ الآفاقَ في المغاربِ والمشارق . فهو كالشمس والناس يتفيَّؤونَ ظِلَّه بطيِّبِ الذكرِ وحُسنِ الأحدوثه ، يلقاكَ برِيِّقِ القولِ وعذْبِ الكلام ، فيسرُّ الضيفَ ويُطربُ القادمين ، وقد وفَّقَكَ اللهُ لتكونَ سيِّدَ القلم والسيفِ ، يخضعُ لكَ الرجالُ ، ويلتفُّ حولَ مَغناكَ أهلُ الهوى ، حينما يُطوِّحُ بهم جَمالُ الغرانيق . ويستطردُ في وصفِ المليحاتِ شفاههن وجدائلهن وثغورهن ، و قدودهن وعطورهن .

ثم يستنجدُ بصديقه عَلِي حين يجنُّ الهوى على نوافذه ، ويُطلق يدَهُ في مجاني الشوقِ ومحالِيه ، وإذا ما اتَّهمهُ الناس بتُهمةِ العشقِ والهوى فإنَّه يحمَدُ اللهَ على هذه التهمة ويبيعُ عمرَهُ له ويصدُقُ فيه ، ثم يدعو له بالسلامة ولقلبه بالشفاء ، وأن يظلَّ نسراً تُحلِّقُ في شاهقات سَمَائهم ، فهو الشمس والظل وهم انتقوه واختاروه ليظلَّ عطراً يُعطِّرُ دنياهم .

« من الشاعر أحمد عبدالرحمن قداح « أبوعرب » إلى الشاعر يوسف عويّد الصياصنة « أبوخالد » رداً على قصيدته السابقة « يابوعرب » .

النص :

يا راكباً مِنْ فُوق صَعْبات الِدْراكْ
مَالوا قيود ولاحَوَتْهُ الْمَخاليقْ
أسْرَعْ من لَمْعَ البصَرْ عِدَّه جَاكْ
عَليه من اخْروجَ الوَفَهْ وَالمواثيقْ
عَجِّلْ على دَرعا ، يُوسْف مِلْفاكْ
دارُه وَسيعهْ ، وعَاليهْ بِالمشاهيقْ
سَلِّمْ عَلى اللِّي تِنطَحُو عندْ مَلقاكْ
ياعِزّمَنْ صِبْوا المَهاوي عَلى الرِّيقْ
يُوسُفْ تَرانا لِلصَّعايِبْ ذَخَرْنا كْ
لَيوحْ فيه الرُّشُدْ عُوزَه وصَناديقْ
عَهْداً علينا ، ومُدْ لَلْعَهِدْ يُمْناكْ
والشاهدَ اللهْ ، والنَّبي ، وَالْمَخاليقْ
لو تِشْتهي جِنّهْ عَلى الزّحفْ جِيناكْ
مِنْ فُوقْ ضُمْر من الثّنايا صَعافيقْ

ازْويتْني يا صوبحْي ابْطيبْ مَرْماكْ
إنتَ الحَصيف اللّي لكَ المدّْ بيْليقْ
عَهْداً عليَّهْ بالحَرفْ ما تْخَطّاكْ
لا ثارْ موجَكْ كُنتْ للبحرْ مَطْليقْ
إنتَ الطّلاحي والقلمْ والسَّعِدْ جاكْ
وَالأبْجَدِيَّةْ من احْورَكْ مَوارِيقْ
كُلّْ القَوافي وارِداتٍ على ماكْ
الفجرْ فيها، وكلّْ ما نامَتْ اتفيقْ
نحوْ الخبايا يومْ بانَتْ خبايالكْ
زاداً وزُوّادَه وزُهْبَهْ لكْ اتْليقْ
حِنّهْ سَوى في حُبّ البلادْ نْسّاكْ
وعُقّبَ الوطَنْ ما يْظلّْ للصّقرْ تحليقْ
هَذا سهلْ حُوران في كلّْ مدْماكْ
شَلالْ يروي بالفدا ناشفِ الرّيقْ
حِنّهْ ابيومْ الكونْ نمشي عَ لْشواكْ
ويومْ الفضيّهْ تْرا نا عَشا شيقْ
حُوران دارَ الضيفْ ما صابْها انْهاكْ
خيرهْ وكَثرهْ ومنْ سَخاها دَوافيقْ

إنْ كانَ الفِدَهْ مَشْروعْ مِنَ الموتْ لَفْداكْ

بالحالْ والحِلَّهْ ودَمَّ المعاليقْ

يابُوخالِدْ أَزْهَرَتْ لِيكْ دِنْيالكْ

وبانَتْ اقمارَكْ بالغَرُبْ والمَشاريقْ

لا صارْ رَتَّبْ جَلَلكْ في مَزايَاكْ

بطِيبَ الثِّنَهْ من دُونْ مِيزَهْ وتِفْرِيقْ

إنتَ الشَّمسْ وَالظِّلّْ وحِنّا انْتِفيَّاكْ

ميدانْ عاصِي مانَهِزَّهْ الصَّواعيقْ

تَراهْ اتْطَيِّبْ القَوْلْ قِدِرْ وِنداكْ

عَذْبَ الثَّنَهْ في غايَةَ الحِبْ تِوْثِيقْ

تِطْرَبْ لَكَ القِيعانْ وِصْحونَ الفلاكْ

وَالسِّيفْ والقِرْطاسْ مَعْ كِلّْ توفيقْ

وصُقُرَ الشَّوارِبْ تِنْخَي عِنْدْ مَغْناكْ

وَأهلَ الهوىٰ لا دَغْدَغِنْ الفَرانِيقْ

وسُحُرَ الشَّفايِفْ مْصَهَّياتٍ بِالشّْباكْ

صِيدَ الهوىٰ وسْلالْ حُلْوَ البَشانِيقْ

وغِزْلَ الجدايِلْ امْعَرْبِشاتٍ بِالسَّلالِهْ

عَ دَفّْ مَرهوفَ الحنايا علىٰ الرِّيقْ

وتْغرَ الصنوفَ اللّي لِهيبو اجدالْ
مَغْموس في هْيَانْ عِطرَ المسَاحيقْ
أقْطِفْ من زَهْرِ البساتينْ ماجَاكْ
وكْسِر اقيودًا ، عَليته مَغاليقْ
بعودٍ نَدِيٍّ الضمُّ لَلقلبْ سَفّاكْ
وقَعِّدْ اقلوبٍ صابْها الهمّ والضّيقْ
ياعَلي وإنْ جَنَّ الهوى وجَانَ الدّراكْ
مالي اتْحَالْ أقيود سُرْبتْ بَنادِيقْ
إنْ نُضِتْ ناضَ الحبّ بطْراف الحراكْ
بقْلوبهم تَتْرُكْ ارياحي شَراديقْ
وإنْ جَرّموني بالهوى عِذّاني ذاكْ
من باعْ عُمرو لِلْهوى دونْ تِصديقْ
إسْلَمْ وسلِّمْ دومْ بِالْقلبْ طِرْياكْ
بانْ وفي عَالي المشاهيقْ تحليقْ
انتَ الشمسْ والظلّْ وحِنّا انْتِفياكْ
بطيب النّيّهْ مِن دونْ ميزَه وتفريقْ

٢٢/٣/١٩٩٥ – أحمد عبد الرّحمن قداح – أبو عرب

٧ ـ نُبْلِ المعاني

للشاعر: يوسف عويد الصياصنة

إضاءة على النص:

هيجت قصيدة أبي عرب السابقة، التي بعنوان «يا راكبن من فوق صعبات لدرك» خاطر الشاعر أبي خالد يوسف عويد الصياصنة، فاستل قلماً كالرمح الرديني، وغطه في مداد موهبته الشعرية، وراح يجول به على صفحات الطروس، يبتدع مطولته يجيب بها صديقه الشاعر الذي يسكنه ويتحرك في خاطره وقد جعل عنوانها «نبل المعاني» يمتدح في مطلعها أريحية صديقه الشاعر أبي عرب وفيض قريحته، ونحو قصيده الذي يهمي عليه مدحاً مترفاً وصفات مبتدعة جديدة، ويحرك به كوامن الأشجان تجاه أمة أضاعت قيمها وضلت سبيلها، ويوظف القصيدة ليحملها همومه القومية، وحسه العربي الأصيل، وإيمانه بقدرة الأمة العربية على النهوض وصد الأعداء الداخليين أولاً، والخارجيين الذين يساومون على شرف الأمة.

ويعدد المصائب التي حلت بها والكوارث التي انتابتها، لا يفرق بين مشرقها ومغربها شمالها وجنوبها ويهاجم الحكام الذين يكرسون الفرقة والتجزئة ليحافظوا على كرسي الحكم، وينعمون بخيرات الأمة وشعوبهم جائعة تنكش دود الأرض، ويحاول أن يربط بين الواقع المزري المهين، وبين الماضي الزاهي.. بين فرسان الأمس وصعاليك اليوم، بين القادة الفاتحين والسادة الغر الميامين، ...

ابن نصير ، وأبا القاسم ، وبين الذين يبادلون الذل والعار ببقائهم في السلطة .

ويحاول بعد ذلك أن يشحذ الهمم ، ويثير الحماس في النفوس ويستنجد بصديقه « علي » أن يجيبه عن البلغاء من علماء هذه الأمة الذين وضعوا أسس البلاغة والبيان ، وقصدوا القصائد والمعلقات ، أين ذهبوا ؟ ولماذا جفت القرائح ونضب الإلهام .

ويزاوج الشاعر بين هذه الجوانب الوطنية والقومية من جهة ، وبين الغزل ووصف المليحات من العذارى ، وتمتد القصيدة وتتطاول ، فتصيب من كل شيء بطرف حتى تتجاوز الخمسة والأربعين بيتاً ، وتستنفد بقوافيها وأعاريضها السينية كل ما يمكن أن يقال ، لا تترك زاداً لمستزيد .

ثم يختم قصيدته طالباً من صديقه الشاعر أبي عرب أن يعيد الله البسمة لشفاه الناس والفرحة لقلوبهم والعز لأمجادهم ، وأن يشفي صديقهما المشترك علي المصري الذي يعاني من مرض نقص التروية ، وأن يعطيه الله القوة ليظل نبعاً للمعاني المبتدعة ، وحقلاً يضفي الخير والبركة على من حوله .

النص :

يا بوعَرب نُبل المعاني لِكُم سَاسْ
وشِعْرَكْ اليا عَدُّوا المِبدعين بالرَّاسْ

يا راس بين الناس والعرق دسّاس

يا راس، المياجونا النشاما ابرجاس

اتهلّي، ارّحّب، نخوة الشبل نوماس

والصقر عالي، شوفته ترفع الرّاس

الشكوى لاالله، كعبنا اليوم منداس

لحبال قصرت، والومح صار منساس

كرام الاصايل لكرم الناس ينساس

واليوم صرنا انشبي الخيل ببساس

قالوا: قريبة شكوتك، قلت لا باس

هذا بحر عيّا على كل غطّاس

بين الثريا والثرى، الطير منحاس

يراقب ظواري مقيّده، وصابها نعاس

يابو عرب: نوح العذارى على الرّاس

كل ما نسينا شمسهن طابت انفاس

ونوح الظواري عار، والعار ينقاس

بروس الشباري، انفصلوا انعال يُنداس

مشوارنا نبداه من طوس لافاس

لحمّرة، وشنقيط، طنب، وطوباس

واسكندرونَه ، وفيقْ ، مَكَّهْ ، ومكْناسْ
وارضِ المؤنَّاني والمهلْهَلْ وجَسَّاسْ
كُلهِنْ رفايق ساسْهِنْ سيفْ سَيَّاسْ
وشِربِنْ سَوا من بُنْ حامِسْ وَحَمَّاسْ
صارِنْ قطايعْ ضاقِنْ المرّْ من كاسْ
يوَدِّنْ رسايِلْ والمراسيلْ بلا ساسْ
كانِنْ سَواقي رَبعةَ العِزْ جُلاَّسْ
ليهِنْ قَلَمْ واحدْ ، وكاتِبْ وقِرْطاسْ
وحاكِمْ عَوسْعِ الكونْ ، مَهيوبْ ، دَوّاسْ
يُحكُمْ عَدِلْ بالنّاس ، والحَقْ قِسطاسْ
ياخِذْ خَراجَ الغيم ، لو هَلّْ برساسْ
وإلا بحواضرْ «شَنغهايِ» وميماسْ
ليهِنْ خدُودْ وشيكْ ، وجنود حُرّاسْ
وصارِتْ كباش الهيلْ انْفَرقعْ بمِحْماسْ
وفاحْ عِطرهِنْ ، وِنيشنو شاربَنْ طاسْ
ما اخْطا ذَخيرُو وحطّْ بالقلبْ وسْواسْ
من بَعْدِ ساحْ ، وسُوحْ ، صُرْنا بالحيّاسْ
من طلّْ راسُو اندَقّ راسُو بمِهْراسْ

وصَاروا المرّفايِقْ للرّفاقَا حِزِبْ شاشْ
وأولادْ عَمّ "العُودْ" بيغنْ ، وِبنْحاسْ"
وصُرْنا العدو نِنْباع "بِعْفَافْ" ونحاس
وصَارْ العَدو بْعَرنونة الخَنِشْمْ يِنّباسْ
حِملي ثْقَيل ورُهْبْتي خيوط وامْراسْ
تاانْسِج مَرِيْ الصَّبُرْ واشِدْ نوماسْ
وأناشْدِ الماضي وآصِيحْ خنّاسْ
مِنْ سابْ بِيتو بَلا دابٍ وِتْرَباسْ
وِينَ الرِّناتي يِعتلي ، وابنْ عبّاسْ
وِينْ الهْلالي يِنْتَخي وابن فِرْناسْ
وِين المهَلْهِلْ حَرَّمْ الخَمْرْ والكاسْ
مادامْ فوقْ الأرضْ ينذكِرْ جَسَّاسْ
واخيولْ طارِقْ عَبْرتِ الموجْ بِفْلاسْ
وحَرْقَتْ قلوبْ علوج واحْتَزّتْ الرّاسْ
وابن نُصير يْحَرّرْ ابلاد واجناسْ
ماداسها من قَبُلْ رجلينْ دوّاسْ
وابن ابو القَاسم حَطّْ عالسُّورْ بِرْناسْ
وحَرَّرْ خَلايِقْ مالها طول تِنْقاسْ

يا بوعرب هَمّي وهَمّكْ لِهِنْ ساسْ
وبروشنا مع غيرنا، وقعتْ الفاسْ
لِمْسَلِّمْ الله، الدَّور لينا، ولا ياسْ
لابُدْ تُفّاحْ الشَّفا يصير جِنْلاسْ
واطي السَّهلْ يرتفعْ زرعو ولِجراسْ
ويُحْصَدْ ذهبْ مفروكْ مخزونْ بكياسْ
ميتينْ مليونْ ونفطنْ وقُلقاسْ
وعَزْ مِنْ مَكينْ وْدَرْبْ تِلكونْ حسَّاسْ
حِنّالها يابوعربْ هاتْ محماس
انْلوِّحْ رْدِيَّ الخالْ وانْهِزّْ همّاسْ
والرُّوح ترخص للوطنْ، عِزّْنا آسْ
من غير موتْ، انْموتْ، ونْغيبْ بْرماسْ
ياعلي وينْ اللي حكوا طباقْ وجناسْ
وصاغوا المعاني، وقاسها نْقدّْ قَيّاسْ
وين اللّي قالوا: ابْحورْ ما اجتازها راسْ
إلا زَحَفْ عَشْطوطْها، ابْلجْها ناسْ
وين اللّي خلّوا الغَرْبْ للشَّرقْ نِياس
وخادم يعشّي الدِّخْ، ويْدَرِّبْ افراس

وين اللي داحوا ودَوّحوا اللّون باحساس

وخلّوا المعارف خمسنها بضرب اسداس

وانتشيع بين الناس كالنّبع بجّاس

وتروي الظّما، وانبرّد الجوف بشهاس

سود الليالي دشّرتهم بلا راس

وملاّ بلا غي بالعيا ضعون شمّاس

وانحرمن تينين صدقك مع النّاس

ولبس المغوا عالخضر لوموس كبّاس

يااحمد خنقني القول، جوّ الصّدر جاس

بالقلب فاير، بالصّماصيم جيّاس

يا ريتني مطلوع ينعد بعراس

يشعل ميا دن للنّصر يقرع جراس

ترى الفرح مطلوب لوصابنا ارساس

وكثر الفقق يجلب دعاير والحاس

واذعي معي، رب المخاليق من ياس

يعطي الفرح ويرجع العزّ نبراس

ويشفي علي، ويعطيه قوّه مع الماس

ويخلّي المعاني بربعتو غلا لها طهاس



٨ - يا دَنْحي بِقَصْرِ الضمايرْ

للشاعر: أحمد عبد الرحمن قداح

إضاءة على النص:

بعد أن نصل مطولة أبي خالد الشاعر يوسف الصياصنة «السينية» إلى رحاب الشاعر أبي عرب أحمد قداح، هذا المجبول بحب الوطن، بتراب سهول حوران، يتملى القصيدة ويقرأ فيها أسفار الأمة العربية الطارفة والتالدة، فيتناول إعجابه، ويشد قلوع مراكب قوافيه ويبحر في مغارب الوطن العربي ومشارقه، يحدو قصائده ويُغني قوافيه المتمردة على حاضر الأمة العربية وما انحدرت إليه من ذلةٍ وهوان، ويقرن هذا الواقع الذليل بالماضي العريق، ويتساءل بكثيرٍ من الحرارة والأسى عن بطولات موسى ابن نصير وفتوحاته في مغارب الأرض وهضاب الأندلس، وعن ابن القاسم الذي دقَّ أبوابَ الصين في مشارق الأرض، عن الهلاليين وأبي زيد في شمال أفريقيا، عن طارق يهزُّ قاعَ البحر ووجهُ المحيط بمراكبه، وتتحول القصيدة إلى ملحمةٍ قوميه رائعه، بل إلى مَنْدَبةٍ مَناحةٍ قوميةٍ تُدمي القلوبَ وتعصفُ بشؤون الدمع، ويزداد النحيب حين تدقُّ قوافيه طبولَ الفخرْ، ويُسمعنا وقعَ سنابكِ الخيل تقتحمُ المستحيلَ، وصليلَ السيوف تقرعُ أبوابَ المجدِ، ووقعَ أسِنَّةِ الرماح في صدورِ الأعداء، وذلك حين يُقارِنُ هذا بالواقع المخزي، والاستسلام الذليل.

وينقدُ بشكلٍ مريرٍ ما آلَ إليه أمرُ العربِ مع الصهيونية من خزيٍ واستسلام، ويشكو لصديقه الشاعر يوسف الصياصنة هذه الهموم القومية التي أناخَتْ على العرب والعروبة فخزمتهم إلى حدِّ عدم الشعور بالمهانة، ومع ذلك. فهو كصديقه لن يستسلمَ ولن يهونَ، ويشدّ على يديه وينفث فيه من روحه لمقاومة الصهيونية والأعداء الداخليين والخارجيين ويبلغ حماسهُ ذروته حين يقول له:

جنَّة سوى في حُبِّ لِبلادْ حُرَّاس ومن غيرها، لا احسب كبارْ وصْغار

ويختمُ الشاعر قصيدته أو مندبتَهُ بالأماني العزيزة لهذا الوطن الحزين، ويظلّ الشاعرُ متفائلاً لا ينقطع الأمل، بل يستثيرُ الهمم، ويشعلُ القلوبَ حماسًا ونخوة.

وهكذا يا قارئي العزيز نكونُ قد حقَّقْنا الشيءَ الكثير منذُ عقدِ ندوتنا للنهوض بالشعر النبطي حتى الآن، إذْ استطعنا أن نخرجَ بالقصيدة عن أغراضها التقليدية، وهموم شعرائها الشخصية، إلى الفضاءِ الرحبِ والسماء الواسعة ونوظِّفها لتحملَ همومَنا الوطنية والقوميةَ ولتغدو مِسْعَرًا تشحذُ هِمَمَ الرجال وتروي أساطيرَ الأوائل من الفرسان.. لقد أصبحَتْ قصيدةً جديدة معاصرة بمعانيها ومبانيها، وإنّه لنصرٌ لو تعلمون عظيم.

النص:

يا وَنْتي، بَقْصَهْ الضماير لاساس
ما وَنَّها قبلي عُشَّاقَ الدِّيار

تِرْفُوا بصدري مِنْ دَواعيس الحسَاسْ
كُلّ ما انطفتْ شَبَّتْ مِن نارها نَارْ
وَنَيِّتها يا عَلي، مِن مِجْمَرَ الموَاسْ
يِحْرِقْ لَهَيبَه ما حَوا القَلْب أسرارْ
وَجدي عَلى دار بَها كُلّ نبراسْ
قَصُّوا جَناحَه وصَنل عاجِزْ وَلا طارْ
وَرَفْرَف فوق اربُوعْها وِطْرَبَ النّاسْ
وغَنّى لَواحاتِ العرَبْ بكُلّ اشْعارْ
وزَوّدْ مَراعي الأندلس وزارْ مِكْناسْ
عَ أطلالها يِحْني جَبينو لَها أكْبارْ
ونَاداه على ابن انصيرْ من فوقَ الطّعاسْ
ويِنَ الركايب والخَلَفْ يا هَلا الكَارْ
ويِنْ ابن قاسِم راحْ خطّا فَ الْنفاسْ
ويِنَ الحواشي والركايبْ والبْكارْ
ويِنَ الزّناتي وخيلَ مَن كانْ عسّاسْ
وحَضْرَهْ تلاعِبْ حُومْتَ الخيل بغبارْ
ويِنَ أبو زيد ومَنْ كانْ للعُشْب دَوّاسْ
البيرزانَ اللّي على الخيل جسّارْ

البحر خبّص من صهلت أخيولْ سيّاسْ
ناموا على حبّ الوطن فوق العصارْ
نسيو العطر والطيّب والكلّ حرّاسْ
في ذمّة التاريخ تاريخهم صارْ
طارقْ ريح البحر للجيشْ حمّاسْ
قاس المنايه وكانْ للعزّ مختارْ
يعبر على موج المنايهْ ابنْ ماسْ
والعلمْ يرشدْ غاوي العلم يا ذعارْ
ونادهْ على العبيسي وخيولْ جسّاسْ
وصوت المهلهلْ قيدو بميتْ قنطارْ
صوتهْ يعدّا الغربْ واحتلّ ديماسْ
وجامع حنايهْ اعضودْ ورشود ونصارْ
وفيّقْ من بطن الثرى كلّ مرداسْ
خلّه وريدو يعشق العزّ والجارْ
هذي طلايعنا وتاريخنا ساسْ
لكلّ وريث ودقْ للعزّ مسمارْ
حنّا ترانا نبعْ بالخلق بجّاسْ
وحنّا اوتادْ الارضْ وسيادْ الحصارْ

أَرثي افنون الجيش مِن غير قرطاسْ
كتُبْ الطّلاحي عِزّنا. ؟ودورنا دارْ
أَرثي صَليل سيوفنا بكلّ المضلاسْ
واندبْ على صدرِكْ واطلقْ لك اعذارْ
وارثي بعزّ العرب مع كلّ جلاّسْ
واسمعْ نحيبْ خيولنا بعين سُمّسارْ
دَقّ الطبول وَعمر الكاسْ بالكاسْ
وحلّ الشواحي وفكّ صدرَه للزرارْ
واشعلْ وقيد الكيفْ مع لمعَ النحاسْ
عيونَ المها ما بين عَقْرَه وسِنْجارْ
واقرأْ للفزَعْ مِن قواميس فِرناسْ
الاسكندرون معَلّق بكوتْ قمّارْ
وحمس بصدرَكْ هيل وعقولْ وجراسْ
ونادي عَلى الله يبقى للنارْ
واندَه ابصوتَك وين مَن كان شمّاسْ
ايدُق الجراس ويقعُد اقلوب الحجارْ
يا بو خالد عندَنا شيخْ عوّاسْ
يِجبل اتراب الارضْ بِقصار العمارْ

لاهي بكُثْر العدّ ولاهي بالجناسْ
ولاهي أشبارْ افتارْ ولا الطُولْ هِكتارْ
لينا احْدود أمعمَّرَة ابخيرة النَّاسْ
ولينا بالعليّه قوانين وفكارْ
ولينا على الدِنْيةْ تعاليم لا باسْ
الحكُمْ والحكمهْ والبعثْ وآذارْ
مشوارْنهْ نبداه من ثلَّة ارساسْ
وماله نِهايه بعينْ وبحُورْ ونْهارْ
انعدَ الركايبْ وِرِمحْنا ايكون هِمْساسْ
لادارْ فينا الدورْ نمشي على القارْ
ماهي على شكوةْ دَعاثيرْ فِنْطاسْ
ومن كانْ بفْنيطيسْ جايرْ وجوّارْ
ولا ني بحالْ اللّي طَواهم حِزبْ شاسْ
ولاهُمْ عليته وقفْ لَجْني الخطّارْ
حِنّا لا رِدْنا تعاليلْ وعراسْ
يِسقي الأرض من دَمْنا غيثْ ومطارْ
ولنا انْتَخينهْ زهبتَ الحرّ قدّاسْ
بروس النوابي أقبورْ طلاّ بهْ الثارْ

حِنّا لَهَا ولا توخذِ البعضْ مِقياسْ
مِنْ طوسْ للحمْرَهْ لَفيقْ لْهَزارْ
منَ النيل لاسيحانْ لَحدودَ الطلاسْ
لَلسِّنْد لاطوروسْ لَديارْ بَكّارْ
لَمنبعْ دِجْلهْ وطُوقْ هِرمزْ وأَنْشاسْ
ونحرِ العربْ وكوكُوكْ وأضَنَهْ ودَكّارْ
كُلّهِنْ سَوى في ربعتِ العِزّ جُلاسْ
الأرضْ لينا والبَحْرْ وكلْ مِنطارْ
وكُلْمَنْ نطَقْ بالضّادْ للعِزّ لَبّاسْ
وكلْ غيمة، مرّتْ تِدفَع لنا أعْشارْ
لو كَبوَتْ اخيولِ العربْ وصابْها نعاسْ
حِنّا هَلا الذُودات ما نِقْبلْ العارْ
اللّي بعينوا الذلّ لَلْيدْ بَوّاسْ
واللّي يريدَ العِزّ عمرانه ايقارْ
حِنّا سوى في حُبّ البلادْ حُرّاسْ
ومن غيرها. لاحَسِبْ اكْبارْ وصْغارْ
خُبري بكم يا صويحبي دومْ سيّاسْ
يا عونةَ الله زادكم عِلمْ وخبارْ

ماهي قريبة إنْ شطَتْ بصَف الكباسْ

ولاهي غريبة إنْ شَطْ بالعطر عطّارْ

وإنْ بدَّلَت عَزْ لانها بكلّ ملاسْ

باني على شفا لها اقصورْ وقمارْ

حِنّا ليارِدنه الصّماعيد نِنْحاس

كلَّ الركايبْ زاهيةْ بيوم النذارْ

مِيتين مَعْ ميتين وخروجْ ونحاسْ

يوم الحصايدْ اتلوحْ ابصدرها أغمارْ

يوسف ابصدري ميتْ هَاجسْ وهوجاسْ

وعدًا عليه الله لا توقّدَ النّارْ

يا ماحلا الزمزوم والقدّ ميّاسْ!

وريح المغطرف ينعش القلب لثارْ

ودقّ الحجول امزيّن بكلّ اجراسْ

ونغمةْ اتداعب مهجت القلب بوتارْ

أحمد عبد الرحمن قدّاح

الفصل الثاني

الشاعر يوسف عويد الصياصنة - والشاعر عان رغنيم بشارة

١- قصيدة الشاعر عان رغنيم بشارة - إلى الشاعر يوسف عويد الصياصنة: «مِن قال أبو خالِد من الحبّ مِرتاح»

٢- ردّ الشاعر يوسف الصياصنة - على قصيدة الشاعر عان رغنيم بشارة السابقة: «يا الله يَللّي باعثَ المَطَرِ واطراحْ»

٣- قصيدة الشاعر عان رغنيم بشارة - إلى الشاعر يوسف عويد الصياصنة: «راعَ أبو خَالِد»

٤- ردّ الشاعر يوسف عويد الصياصنة - على قصيدة عان رغنيم بشارة السابقة: «عِزّ الجواهِرْ تَزدَهي»



١ - مَنْ قَالَ أَبُو خَالِدٍ مِنَ الحُبِّ مُرْتَاحٌ

للشاعر: عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص :

وجَّه الشاعرُ عازر غنيم البشارة هذه القصيدةَ إلى صديقه الشاعر يوسف عويِّد الصياصنه يتحرَّشُ به ويستدرجُه - حسب خطّةٍ اتُّفقَ عليها - إلى المحاورة، وتحديث منهج هذا اللون من القصيد :

يتَّجهُ الشاعرُ في بدايه النصِّ إلى الله العليِّ القدير خالقِ الأرواح ومدبِّرها، مدخلاً للمقول، ينتقلُ بعده إلى غرضه الأساسي محاورةِ صديقه وملحِهِ، متجاوزًا المقدمات المتعارف عليها. فيتساءَلُ عمَّنْ قال إنَّ أبا خالد مرتاحٌ من عناءِ الحُبِّ وأوصابه ؟ ومَنْ قال إنّه تغيَّب عن سَوْحِ النضال بعد أن تقدَّمت به السنُّ ولوّحَ الشيبُ عارضيه ؟

ثم يجاوب الشاعرُ عازر عن التساؤلين السابقين قائلاً : اصبروا أيها الناسُ فلا تتَّخذوا ذلك مطعنًا على الرجل، فقلبه وقلبي مازالا شابين فتيين.

وأراد أن يعزِّزَ رأيه هذا، فتساءل سؤالاً إنكاريًا : من قال إنَّ طيرَ الحرِّ إنْ أُطلق للصيد ساورته الريبةُ في قنصه ؟!

إذن فالحب والنضال مازالا يعمران قلبَ يوسف وقلب أبي عدنان عازر تمامًا. كما أنَّ طائرَ الحرِّ إذا أُطلق للصيد كان جارحًا ينتهبُ من أسراب الحباري ماوافاهم الصيد. ويدافع عن الحب والمحبين بل يعتبره مصباحًا يضيءُ دروب الأجواد، ويهتدي بها

به أهل المعرفة. فلولا الحُسنُ ما التاعَ قلبٌ ولا تأوَّهَ ليعطيَ للحياة طعمًا آخرَ، والحبُّ هيبةٌ للرجل وتهذيب لشخصيته.

بعد هذا الخروج الرائع في القول عن منهج القصيدة المتعارف عليه نكون قد بدأنا نقطفُ ثمار ما زرعناه في ندوتنا التي كنا قد تحدثنا عن أهدافها في أكثر من مناسبة.

ينتقلُ الشاعر عازر بعد ذلك ليضربَ الأمثال، ويروي القصص، ويخلعَ على صديقه الشاعر قيماً مدحية جديدة: فهو صديق للجميع، صاحب قلب كبير تتعشقه المليحات، يغوص في بحور الجميلات، وإن رأى جميلة اصطادها بشباكه، وصفات مدحية جديدة كل الجدة، غيرَ تلك التي تعارف عليها الشعراء قبل الآن، ثم يتابع قصيدته بأبيات جميلة يعاود فيها الحديث عن الحب الذي قلّما يخلو منه قلبُ مخلوق، ويوشّح ذلك بأبيات من الحكمة التي تُلخّصُ لنا تجربته في الحياة، ويلوّنها ببعض اللمحات من المقولات الاجتماعية.

ويختم قصيدته بالصلاة والسلام على النبي سيّد الناس الطيبين الذي سيشفع للناس يوم الحساب.

النص:

يَاللهْ يَالْمَعبودْ خَلّاقْ لِارواحْ
يَلِّي بْحِلْمَكْ عَالخَلايِقْ رَقِيبَهْ
مَنْ قَالْ أبوخالِدْ مْنَ الحُبّْ مِرْتَاحْ
مَوَاقِفَ العُشَّاقْ مَا تِنْهَقِيبَهْ

مَنْ قال أبو خالد تَغيَّبْ عن السَّاحْ
ونفسَهْ حَزَتّْ من يومْ لوَّحْ مْشيبَهْ
قُلت : اصبْروا لا تِطْعَنُوا الرّجلْ بِسلاحْ
قَلْبي وقَلْبُهْ من قُلوبَ الشَّبيبَهْ
مَنْ قَالْ طَيرْ الحرّ خفّاقَ الجْناحْ
في ساحةَ القْنَاصْ تأْتيهْ رِيبَهْ
الحرّ حُرّ إنْ وَالمَهْ صِيدْ ذَبّاحْ
يَنْهبْ مِن اسرابْ الحَبارِي نَهيبَهْ
الحبّ يا وُجوه الأجَاويدْ مِصْبَاحْ
أَهْلَ الذِّكا والمعْرِفَهْ تِهْتَدِ بَبه
لُولاَ الحِسنْ ماجَظّْ قلبٍ ولاصَاحْ
والرّجل حُبَّه لِلْحِسنْ مَا يْعيبَهْ
« بَصْريْ الوضيحيْ » بالثّمانين مَازَاحْ
والعِشقْ بالتّسعينْ ماهِي عَجيبَهْ (١)
وقبلَ « العْنيسي » اللّي قَضَى العُمْرسَوّاحْ
أمِيرْ وِلْدْ أمِيرْ ياطِيبْ طيبَهْ (٢)
وابنْ رَبيعَهْ عَافْ كبرات الارْبَاحْ
وعَنْترْ إبن شَدّاد عدَّا الحبيبه (٣)

الكُلّ أَمَارَهْ مِنْ مْرَوِّينَ السلاحْ
يُومْ التقوا في سَاحةْ المنْهضِيَهْ
ويُوسفْ عَشيرَ الكُلّ محبوبَ الملاحْ
قَلْبَه كبيرْ مِنْ القلوبَ الوَّ تيبَهْ
غوّاص في بْحُرَ المزايينْ سَبَّاحْ
وإنْ شاف صيدَه من بَعيد يْجيبَهْ (٤)
وَاللّي قضَاها بينْ حاذقْ وفلاّحْ
بَحرَ الهوى ماهُو تِلي يِستَهِليبَهْ
الحبّ ماهُو لْحضَريّ وفلاّحْ
يَشْفي القلُوبَ اللّي جرُوحَهْ عَطِيبَهْ
هذا العلاجَ اللّي بَه الرُّوح ترْتَاحْ
طِبّ بِشَرْعَ اللّهْ مافيهْ عِيبَهْ
والمرجلهْ بَابٍ لَه الحُبّ مِفْتَاحْ
والعِيشْ من دُونَ العَذارَى غِليبَهْ
بالله تزيدَ الشَّومْ واللّومْ ياصَاحْ
كِلْ وَاحْدٍ بالعُمُر يُوكِلْ نَصِيبَهْ
يَا ليتني عِنْدَ إرْ يَشْ العينْ سَرَّاحْ
أقيمْ وأمرحْ عِندْ راعي الذَّوَيبَهْ (٥)

عِنْدَ المسْا بَالبيتّ أمْح بَالمراحْ
والصّبُحْ سَارِي لِينْ يَأتِي مَغيبَهْ
وقَلْبِي جَرِيح يِكْتِمُ السِّرّ مَابَاحْ
وأحسَّ جُوّاةِ الضمايِر لَهِيبَهْ
وأخْتِمُ وَاصلّي عالنَّبي سيّد الملاحْ
يَشْفعْ بِسَاعَات الحسابِ الصّعِيبَهْ

عازر غنيم البشاره

١- بصري الوضيحي : رجل يضرب به المثل في الوفاء للحبّ .
٢ - العنيلسي : من أبطال قصة تغريبة بني هلال .
٣- عذى : أعز ، رفعه فوق الشبهات .
٤ - المزايين : ج مزيونة وهي المرأة الحسناء .
٥ -أمح :من المراح «أي مكان الاقامة ».



٩ - يالله يللي باعث المطر وامراح

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنه

إضاءة على النص:

تصل قصيدة الشاعر عازر غنيم البشارة التي عنوانها «من قال أبو خالد من الحب مرتاح». إلى صديقه الشاعر يوسف الصياصنه، فيرتشفها، ويتملاّها، ويبتدع القصيدة التاليه يرد بها عليه فيقول:

يتّجه الشاعر في مطلع قصيدته إلى الله العلي القدير، باعث المطر وحامي العذران ومُنبت الحَب والنوى أن يجعل قدره وقدر زملائه من معمودي العشق بين النهود ولبّات الأعناق الحالية - لأن «الذباح» طوق من الخرز يزين العنق - وأن يشفّهم الهوى مع تناوس الصليب على صدرها المحنّى.

ثم يتمنى لأبي عدنان أن ينعَمَ بالخير والاكتفاء، هذا الرجل الألمعي اللماح الذي يدرك الأمورَ الطبيعية بسرعة خاطفة، في همّة الشباب ونبوة العُقاب المصْلَت ينقضُّ على طريدته من الظباء.

ثم يتحدّث عن الخمرة ويسميها بنت الدير لأنها تكون معتّقة لا تقاس بالأقداح والمكاييل المتعارف عليها إذ تكفي الشفه منها حتى تُنعْنِع شاربَها وتصطليه بمذاقها.

ويتحدثُ عن قلبه الذي ماركَنَ ولا ارتاح على مدى الستين عاماً التي مرّت وتقضّت في مطاردة ذوات الذوائب المتناثرة وكأنهنّ من ثمار تشرينَ الناضجة على أُمّاتها معجونة بالخمرة المعتّقة فيها، فإذا ما تناولها المرءُ ردّت الروح إليه بِسُكّرها وزبيبها، لأنهّم واكبوا

اخضرارَه منذ أن أزهرَ إلى أن أصبحَ حصرماً، ثم ربانا لم يتركوه ولا سلوا رائحته الطيّبة.

أمّا الهوى الذي يمرُّ على أرواح المخاليق فيكاد يذ بحها، فإنّي أعتقدُ أنّه على العكس يُحييها ويُبرئها من أوجاعها، وإنه يتحدّث إلى تلك التي تخاطب الناس بعيونها، وتحرّك الريح بشعرها الذي يسوح على كتفيها أغماراً من البهجة والسرور، ومراوحَ وعدٍ ممطولٍ مابينهما لا يدري به أحد، ينعمان معاً بمعاقرة الفناجين في أماكنها، أمّا إن تغيّرت فلا يشربونها، كيف وهم لا يشربون إلاّ الماء صفواً ويشرب غيرهم من السواقي، ولا يصادقون اثنتين معاً، ولا يصيدون ممّا يُخلّفه الناس على المرج بعدهم، بل يقنصون عن عن الجبال ومعاليها رؤوسها المشرفة، ولا يتناولون من القنائص إلاّ أطايبها من أعالي الترائب، يوفون بالوعد، ويقتحمون الموتَ مدجّجين بالسلاح يصونون حُرُماتهم والموت يتحاشاهم ويتجنبهم.

ويتابع يوسفُ فخرَه بنفسه وصحبه بأنّهم لا يخونون من ائتمنهم ولو انتعبَ دمهم على أطراف الشباريء، ويقسم بالله على ذلك، فمن ذا الذي قال إن الرياح تُخمِدُ ما يشتعلُ في القلب من نيران؟ أبدًا فإنّ أمطارَ كانون عيّتْ أن تطفئَ لهيبَها، وتجرُّه ذكرياتُ تألّق شقائق النعمان بألوانها الزاهية غبَّ مطرٍ ربيعي يُصابح منطقة الميسري فيملأ الشِّعاب بوبله، في ذلك الجو المكوكب يتصبّاه عشقُ محبوبته سيّدة المليحات بثوبها المفوّف بالتطريز الذي يتماوج على جسدها، وبأردانه التي يلاعبُها الهواء فتحتمي به... ويتابع الشاعر وصفه لأيام الهوى، والشكوى، والبوح، وهجر الحبيب، وريقه العذب، وصباحات وجهه الصبوحة، ثم ينتهي في حديث

متفجّع عن الشباب الزائل، والسنين المتهاربة من عمره، وهو لا يعتبر الموت مفارقة الحياة بل الموت أن تشاهد جميلة كالبدر يتصبّاه عشقها ويسلبيه جمالها، ولكن شباكه تقصر حبالها عن اصطيادها، وهذا هو الموت المحقق.

ويختم قصيدته بالصلاة على النبي سيّد المليحات. وكلّ من عشق النساء ازداد هيبة ومكانة.

« الى الصّديق السيد « أبو عدنان » عارف غنيم البشارة المحترم، ردًّا على دعابةٍ شعريةٍ لطيفةٍ بعثها إليّ مشكورًا ».

الشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

النصّ:

يا الله: يا للّي باعث المطر والْطاحْ
يا مالِيَ الغُدران فايضْ صَبيبهْ
تجعلْ قَدَرنا بين نَهدٍ وذبّاح
وشَفاً الهوىٰ قدّام لوحتْ صَليبهْ
تِكفي يابوعدنان، خِبّار لَمّاح
تدرِكْ مَعاني لِلأُمور الصّعيبهْ
هِمّتْ شَباب، وفزّةْ عِقابْ شَوّاح
يُطْرِدْ غزالٍ، ما الْحكىٰ فيه ريبهْ

مِنْ قال : بِنْت الدّيرِ تِنقّاسْ بِقْداح ؟
الْيا تحتَعَتْ ، كِنْ صار يِصْلي لْهيبَهْ
ستّينْ مَرّ ، ما رِكَنْ يوم وِرْتاح
قَلْبٍ يطارِدْ نا ثراتِ الذّويبه
يِحلي ثْمَر تشْرين مَعجُون بالرّاح
مَعَتّق ، يِرِدّ الرّوح ، سُكّرْ زبيبه
من يوم زَهّر ، ما تْرِكْناه ، يِرْتاح
حِصْرِمْ عُجُر ، رَيّان ، يا طِيبْ طِيبه
هذا الهوى ، يِذْبَح على الرّوح ذَبّاح
هذا الهوى من الموت ، يِبري صَويبه
يا حُلو هَرَجَ العين ، والشّعر سوّاح
وعدٍ ، ما بين اثنين ، ما يِنْدَرِي بَهْ
ما نِشْرَبَ الفنجان لو مَطْرحو زاح
لِينا الصَّليبه ، كاملَه ، من الصَّليبَهْ
ما يِرْدِفِ التّتّين ، ما انْصيد بِمْراح
نِقّنِص ، على روس الشّفا ، من التّريبه
نوفي الوَعِدْ ، نُقْلُط على الموت بِسْلاح
جوّا الحرم ، والموت مَعطي جَنيبه

والله، ما خونِ المأمّنْ ولو سَاح
دمّي علَى اطراف المشّباري سَكيبهْ
مِنْ قال: تُخمُدْ نارِ قلبٍ، من رياح
عيّا مَطرْ كانون يِطفي لَهيبه
يا زهوةَ الدّحنون يوم المطَرْ طاح
«عَالميسري» والسّيل مَلاّ شَعيبهْ (١)
عِشقي عَنود، مسكّبْ الثّوب، لَوّاح
ردن يلاعبْ نَسْمةٍ، تحتمي به
يِشْكي لها عُودٍ اتغلّبْ عن السّاح
يومين مارَوّى السّعِنْ مِنْ جَليبه (٢)
عامين مرّنْ، بالهوى قَطّ ما باح
عالوَعدْ يِلْفي، ويشتفي من الحبيبهْ
كمَ الهوى بِسياجْ، والعِشق مِفتاح
والشّاطرَ اللّي من قَصيرنْ يجيبه
وانْ باغَتَتْنا امزُونها، والبرقْ لاح
فِجّتْ ذَخيره، لكنْ عَلينا النّجيبه
انْكِرّه توالي اللّيل والصّبحْ فضّاح
انا دّي فروضٍ، ماعَليهنْ منيبه

زلفي، انسلّم، ينهض الصّدر تُفّاح
والرّيق عنبر، والشّفايف خضيبه
ياصويحبي ازهرج المقفّين منّاح
خلّهم يقولوا، والفعل للشّبيبه
حنّا اشتفينا، من جفول، وملقاح
ومازال فينا للمعارك حريبه
الحرّ، حرّ، يموت والظّفر جرّاح
ومن قال: يفنى دو زنوه بزريبه
ياصويحبي انقدح ازنادَه ابضحضاح
تلعج ابروقاً، بين صبّا، وذيبه (٣)
عيّا علينا الشّيب، نقعد ونرتاح
وعيّا علينا القلب ينهمل وجيبه
الموت ماهو درجة الكفن والواح
وناكر يقلّب بالدّفاتر حسيبه
ولاجنازه وفينة لحود واشباح
وموعظ يلقّن ميّتٍ، كيف يجيبه (٤)
الموت !!! شوفك عانةٍ بدر لو لاح
وتقصر حبالك، والنّظر، والرّغيبه

وَاختمْ واصلّي عالنّبي سيدْ لملاحْ
مِن زودْ عِشقْو للنِّسَا زادْ هليبهْ

يوسف عويّد الصياصنه
درعا - ٤ / ٩ / ١٩٩٥م

١- الميسري : نبع ماء شرق درعا للاستقاء، غطاه السد حالياً.
٢- العود : الرجل المسن.
٣- صمعاء وذيبه : قريتان من قرى جبل حوران.
٤- فينه : من خانه أي خانه.



٣ - راعَ أبو خالدْ

للشاعر: عانر غنيم البشارة

إضاءة على النص:

بعث الشاعر عانر البشارة بهذا النصّ يمدح به صديقه الشاعر يوسف عويد الصياصنة بقيم مدحية تعارف عليها العرب، كالندهة والنخوة والنجدة والشجاعة والكرم وطيب الأحدوثة والمثل وحماية الجار وردّ لهفة الملهوف، ويبدأ قصيدة بمدح يشبه الذم إمعاناً في المدح فقال:

يحدث الشاعر نديمه متعجباً قائلاً له: انظر كيف بخسَ بعضُ الرجال أبا خالد حقَّه وألصقوا به صفات كبيرة واضحة. وانتهى الحديث والعجب.

ويسارع الشاعر ليخاطب أولئك الرجاجيل قائلاً لهم: لا تسرعوا بأحكامكم يا أهل العقول المهبولة، واصبروا لنعلم الخبر الصحيح فالكمال لله وحده.. وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وأخبرونا بالتفاصيل، وهنا يأتي الجواب المطلوب، فقالوا: إنه متّهمٌ بالسماحة والجود والعطف على رفاقه.. ونؤكّد أقوالنا هذه ونضيف بأنه سيِّدٌ كريم ونصيحُ للرجال النشاما مثله.

وهنا يعقب الشاعر على تلك المدائح فيقول: ما أحلى تلك العيوب التي نسبت إليه، ولا تحتاج إلى تعليل! لأن ناقلها ما نقلَ إلاّ القول الصحيح القويم، فعش هذه تكون

صفات الرجال جليلي القدر والمهابة التي تستحق المديح. فمحامدُ أبي خالد واضحة كالصبح لا تحتاج إلى تعليل، فأنا أقولها من كل قلبي وأنا مستريحُ الخاطر والضمير، فأنا شاعر وقادرٌ على وضع الأمور في نصابها لما أملكه من صور جميلة وأسلوب رفيع، فيا ويحي لو قصَّرتُ في مدح أبي خالد.

إذا ما جن الليل يبقى بيتُ أبي خالد مضاءً مشرعًا، ليؤمَّهُ الضيوف وعليةُ القوم من الوجوه الصالحة لحلِّ مشاكلهم وما يستعصي عليهم. وأمَّا غير ذلك فلا قال ولا قيل، عندئذٍ يعلو صوتُ جرنِ القهوة ينبهُ صوته من لم يتنبَّه من النشاما، فيؤمُّه وتحلو السهرات والمسامرات. ويفرحُ بضيوفه وسُمَّاره كما يفرحُ البدو بالسيول التي تروي ظمأهم كما تروي قطعانهم، فيتهلل وجهه للضيفان ويحسنُ استقبالهم. ولا يتعب من خدمتهم، ويكثرُ من إعداد القهوة ويزيد من بهارها فتحلو، وتعبقُ رائحتها الطيِّبة في مجلسه.. وكثيرًا ما جاءه في أواخر الليل بعض المحتاجين ليقضيَ لهم حاجاتهم وتظل مستورة لا يعلمُ بها أحد.

أمَّا إذا تحدَّث فإنَّه يُفصِّلُ الكلامَ على قدر المعاني، وإذا عُدَّت الرجال في هذا المجال فلا مثيل له أبدًا، لأنه عالم بأمور الناس في الماضي والحاضر، ولا يحتفظ إلا بالخلال الحميدة والصفات المستحبه.

ثم يتوجَّه الشاعر عازم إلى راكبين الأصائل أن يتجَّهوا إلى المنازل الوسيعة والساحات الفسيحة، ويبخي صحبَه ومراسيله أن يشدُّو دُسُرَ خيلهم وإبلهم، وأن

يحملوا معهم خطابه إلى منازل أبي خالد الزعيم المجرب ، حينما يُدعى الفرسان فلا يعودُ إلا وقد أردى الأعداء كلهم طريحين يُعَالجون .

ثم يخاطبه بكنيته «صياصنة» قائلاً له أنت السيد الفحل إذا عُدّت فحول الرجال ، فإذا مادعوتهم أتوك ملبِّين دعوتك يتصايحون ، فَنِعْمَ الربع ربعك المُتعبينَ لأباريقِ المقهوة لكثرة مايستخدمونها للضيوف والزائرين ، فأنتم تكسبون المعالي بين جميع القبائل ، لا تقبلون الهوان ولا الميل أو الحيف ، وتحمون نساءكم الجميلات المرتديات المحازم «المشويحيات». ويجيءُ أبوخالد الذي يظل سيدًا أيام المحل يجمح كالحصان وهو يجول بين أهله وذويه ، وينتقل إلى الغزل قائلاً انظر إلى تلك الجميلة التي تتخطّى بدلال ومهابة بين الكروم تضارع الظباء بعنقها الواضح البين ، تتمايل ذات اليمين وذات الشمال فيميل معها العُشّاق من أهل الهوى الذين لن يعرفوا الراحة من هواها .

ويختم قصيدته بالصَّلاة على النبيِّ العدنان كلما دجا الليل ، أو هبتِ الريحُ ، وكلما نَبَتَ عود شيح .

النص :

راعْ أبوخالد عَذْرَبوهُ الرّجاجيل
وحطُّون به عُذْرًا كبيرًا وَضيح

قُلتْ: اصبروا يَهْلَ العقول المهابيلْ

ماغيرْ رتّبْتْ كاملٍ بالصَّحيحِ

هاتُوا اخبروني بقصّتهْ وَالتفاصيلْ

قالوا عَطوفٍ عَالرفاقَهْ وسميحِ

بالعونْ هذي اقوالْنا والتّحاليلْ

قرمًا كريم وللنَّشاما نَصيحِ

ياحُلْو هَكَّ العيبْ من دونْ تحليلْ

ويَاماحَلا القول القويم الصَّريح!

هَذي عذاريب الرجَال الحلاحيلْ

مثل ابوخالد يستَحِقّ المديحِ

عندي علوم الصّحّ ماتْريد تعديل

أقولها من خافقٍ مِستريحِ

شاعِرْ وعنْدي من خيارَ التماثيل

ويحيي لْيا قصّرتْ بالمدح ويحيي

عامي ببوخالد اليا دَرْهَمَ الليّل

ينصُونْ بيته كلّ وجهٍ فَلسيحِ

في مجلسه مايقبلَ القالْ والقيلْ

وعقلٍ على حلّ المشاكل رَجيحِ

ونجرٍ اليا طابت معاه التعاليل

تُوحي صواته للنشاما يصيح

يفرح بضيفه فرحة البدو بالسيل

وعن خدمة الضيفان ما يستريح

ياكثر مايرهي من البن والهيل

طيب الروايح بالمجالس تفيح

عز الربوع اليا لفت تالي الليل

بسرار حاجات لهم ما يبيح

لا قال قول يفصّل الهرج تفصيل

لعدّت الشيخان ماله نطيح

داري علوم الخلق جيل بعد جيل

يرمي الخسيس ويحتفظ بالمليح

يا راكبين فوق شخص مجافيل

تنحروا البيت الوسيع الفسيح

هاها عقيد ابغالك فخر المراسيل

اكرب حقبها والوسر لا تطيح

ودي خطاب مسجلاً فيه تسجيل

يم أبو خالد من ضمير جريح

خشّ الجمى تِلقى افراح وهلاهيلْ

عِدّك بعيطَهْ في مَناخٍ مريحِ

قومًا مجرَّبْ يوم نادوا هَل الخيل

يدعي عدوّه عَ الوسايد طريحِ

صياصنهْ ان عِدّتْ فحُولَ الرّجاجيل

تَاتي فواجًا كلّ ابُوها نصيحِ

يِعمْين ربعًا مِتعبين المعاميل

بين القبايل كاسبين المليحِ

مايقبلون الهيفْ والحيفْ والميلْ

حماة العذارى لابسات الشّويحي

حيّ أبوخالد يوم خفْضَ المكاييلْ

حذرة حصان يجول لجح جميحِ

شوقَ الهنوفَ اللّي تِخَطّمْ بتِدليلْ

بينَ الكروم تقول عِنقَ الوضيحي

يرقُبْ خطاها كيفْ ماماتْ يميلْ

راعي الهوى ماهقوتي يِستريحِ

وصلّوا على العدْنان مادجدَج الليلْ

ماهبّْ ريحٍ ومانبتْ عودْ شِيحِ

٤ - عِزّ الجواهِرِ تَزْدَهي

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

إضاءة على النص:

تصل قصيدة الشاعر عازر غنيم المبشارع التي عنوانها «راح أبو خالد» بأبياتها الثمانية والعشرين، ويعفيه من الرّد عليها - هذا الإعفاء هيَّجَ مشاعر أبي خالد بينه وبين نفسه، وربَّما اعتبره غبنًا لشاعريته، أقول ربَّما ؟!. فجرَّد قلمه وراح يدبِّج هذه القصيدة الرائعة بمبانيها ومعانيها، وجعلها بعنوان «عِزّ الجواهر تَزْدَهي، مِلْفَظَكْ هيل» والتي تبلغ الأربعين بيتًا، وأقول هنا أيضًا ربَّما: ربَّما جعلها بهذا الطول يتحدى الوسواس الذي ينهشُ شاعريته نتيجة إعفاء صديقه له من الرد، كل هذا ظنٌ مني، وإن بعضَ الظنِّ إثمٌ، اللهمَّ لا تجعلْنا من الآثمين.

يخاطب أبو خالد صديقه أبا عدنان عازر مادحًا إيَّاه بأبيات قلَّما يجود القصيد بمثلها فيقول:

قصائدُكَ تزدهي كأعزِّ ما تزدهي به الجواهر، وألفاظُكَ طيبة الرائحة معطَّرة كالهيل، سواء كتبت بالنبطي أو بالفصيح، وأُشهِدُ الله على قولي هذا.

إنَّكَ تصطاد من المعاني العالية الرفيعة التي تدرك فيها كواكب السماء، وتضربُ على الأوتار الحساسة في النفوس فتهيِّجها وتثيرُ قرائحها.

أنت المبادئ بالجمايل والمشوهات، أمّا إذا عرَّدتْ

الخيل فأنتَ الفارس المُعَلِّمُ الذي يُرشدُ بقيةَ الفرسان لدروب الفلاح.

أنت كفءٌ يا أبا عدنان لهذا وذاك، فمن أوَّل الليل يشدُّ كوخك وطيبُكَ الناسَ فيستريحون لديكَ، لقد بلغتَ السبعين من العمر، وأتمنى أن تزيد، ونفسكَ ترفضُ كل فعلٍ قبيح، فالهمَّةُ همَّةُ شباب. والحديث طيب عذب، ومعاميلُ القهوة ملأى، والنخوةُ عبسيةٌ عند الحاجة.

ويتابع يوسفُ مدحَه لصديقه الذي يظلم نفسه بما يحملها من المكارم والمحامد فوقَ ما تحتمل.. وأنا أرجو يا صديقي ألا تمدحني بكل هذه الصفات فقد أخجلتني، ومن أجل ذلك ها أنا أثني بمدحِكَ لأردَّ إليكَ بعضاً من الجميل الذي غمرتني به، وهيهات لصاحب الأولوية مثلك أن يكافأ ويقدَّر.

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى موضوع الغزل فيقول: لقد خطرَ على باله ذاتُ العيون السود والأهداب القاتلة للقلوب، وذكر الخلاخيلَ والمبسمَ ويديها ونهديها، وكيف يسابقون الليل ليتناولون الشراب صافياً وممزوجاً مع الختيار، والختيار هنا صديقهما «علي المصري».

ويوجِّه بعد ذلك نقداً مريراً لأولئك الذين لا يوفون الناس كيلهم ويبخسونهم أرزاقهم، ويهاجم البخلاء أينما كانوا، وينفِّرُ الناس منهم، ويبين كيف يطلقون كلابهم المدربة لإخافة الطرَّاق والعابرين، وكيف يراود الهزيلات والجافات من الذبائح كي لا تستوي ولا تؤكل بالتالي.

ويوجه نقده بعد هذا إلى الدهر ومصائبه. وما

وما آلت إليه حال الناس من وهن وتخاذل ، وتعلّقٍ بالقبيح من العادات ، وكيف أصبحنا تَبعًا للجهال ، وكيف غدونا نَرِدُ على الماء في آخر الناس . وكيف خُصِيتْ ساداتُنا وحرّم علينا كل شيء ، وتفرقنا كل قرية أصبحت أمة ، وكل مدينة غدت قارة ، وأصبح جمعنا بقايا ... وراح بعد ذلك يُغذّي آمالاً في النفوس ، وعتابًا للبيان والخيل والربع والظعن ، ويرفضون الاعتراف بالحدود المصطنعة القائمة ، فالوطن واحد ، والشعب واحد ، والأهداف واحدة ، ولابد من ثورة تقتلعُ جذور الفرقة والفساد ، ويتحسَّرُ على أولئك الذين ماهجروا ظهورَ الخيل وكفوا عن النضال ، وظلت ذكراهم تشحذ الهِمَم وتحمي الأهل والديار ، أولئك الذين دوخوا الأرض ، وسادوا على الدنيا بفرسانهم ، وحققوا من البطولات ما نفخر به ويتحسب على[1] حاضرنا بعلمهم وشهامتهم ، ووقفت علوجُ الأرض عاجزة عن إدراك شأوهم فشربوا كدرَ الماء من ألمهم وحقدهم وسخطهم .

ويختم قصيدته بنقد هذا الزمن وأهله ، ويذكر الله ربّه الذي طوّل علينا الليل ، وحكم علينا بالهوان والتخلّف وقصر النظر ، ما هبت ريح وتحركت .

« أهداني الصديق الشاعر أبو عدنان عانرغنيم المبشارة قصيدةً نبطية ورجاني أن أعفي نفسي من الرَّد عليها ، لأنه عبَّرَ من خلالها عن مكنون الودّ والصداقة ولاشيء آخر ، ووجدت من واجبي أن أقابل الودَّ بالود ، والصداقة بالصداقه ، وأن أعترف بحق الرجال وأنصف مواهبهم ، ومناقبهم فكان الرَّد التالي » :

النص :

عِزّ الجواهر تزدهي ، بلفظك هِيل
- والعالم - الله - بالنبط والفصيح
ابتقصد معاني عاليه ، ابتدرك سهيل
ابتضرب على اوتار الحشا بالقريح
يا مسلف الشومات ، لو مرّت الخيل
تلقاك توحي ، هون درب الطليح
تكفا يابو عدنان ، ومن أوّل الليل
يرخي الندى والطيب ، وعندك يريح
سبعين حول ، وفوقهن بعد تحميل
والنفس عيّت كل فعل قبيح
همّت شباب ، وطيب هرج ، ومعاميل
ونخوه عبيسي إن كان جونا فحيح
عازر ابشار ظالم النفس بالحيل
ناسي خفيّ الأمر ، ماناسي لوضيحي
قلّي : أنا بوجاك ، من قال ، من قيل
لا تقول في اشعار مَدح صريح

حِنَّا انْتَنِّي ، انْرِدْ حَقّ الرّجَاجِيلْ
الأَوّ لا ليكُمْ ابْعيطا تفيح
وطرَيتْ عَبالِي عيونْ سُودًا وخلاخِلْ
ورِمْشٍ كتَبْ عَطراف قلبِي ، ذَبيحِي
ومِبْسَم كتّبْني بينْ كلّ المهَابيل
صَاحِي بِنِتي مُوجو على مَدّ ريحي
وبِنِتيتْ ايديها سابلاتْ بَلا حيلْ
يُومَنْ حَفرْتِ بْطِلْ نَنْهَدَهْ ظَريحي
شِدّ مع «الجِنْيار» تا نِسْتُقَ اللّيلْ
ونِشْرَبْ بلا مَرج ونِشْرَبْ قَريح
والخاكمَ اللّي ما وَفا الخَلِقْ بالمكيلْ
وظلوع رِزْقَ النّاسْ مابِنْ امْبيح
وظلّتْ اجْمالوا شَايلاتٍ بَلا شيلْ
ترغِي ، زَبَدْ ها عَمّ سَفحْ وبطيح
مَفلّتْ على العَالمَ نْكُل حَيّ صَنْيصلْ
يِصلي قبلْ مايْفيق كبشَ النّطيح
يراوِد تَوالِي ناشفاتِ العصَا قيلْ
يِتمَنّعِنْ تا يِسْتَوِي كالسّطيح

ويطلع تخايل، بدّد العتم قنديل

أخضر حلو، مزيون، وجهو مليح

يالعود ياللي نهنهتنا المتّهاويل

كل المصابيح باغتتنا ابصبيح

وصوتا النَّرد العيب من جيل لاجيل

والعيب فينا، وماخفي ع الترجيح

نركض ورا الجهّال، ميل لاميل

ونشرب توالي النّاس عكرا وميح

ومحصولنا خرفيش، وثوم، وفجاجيل

وشم الهوى صاير علينا شحيح

وصارت «الطّرّة» بعلم تالي، بها نميل

ونبع «المخيّر» مثل «خوشا» شحيح

وصارت «الرّمثا» بعد «لندن» ألف ميل

وكنها مع «الرّمان» ضد المسيح

فيها توالي نارنا تحمص الهيل

وفيها توالي زادنا بالصريح

وفيها توالي بيوتنا ومربط الخيل

وطاروس فدان، وجرن يصيح

يا اهْلَ المَعَاني ، من رُبعْ قرنِ تكميلْ
بْشَفيِّ زْيارَهْ واشْتَفي من الصَّبيحي
واعاتبَ البيبانْ والجرُنْ والخيلْ
واطْبق اجْفوني عائظَّعنْ واسْترِيحي
مانِعْترِفْ بِحْدودْ ، لِمَنْبَعَ النِّيل
الشَّعبْ واحد ، بالخِطَابْ الصَّريحِ
لابُدْ من زلزالْ ، ويرْجع تحاميل
نَشهامْنا ، كَانّ الوَسيعْ الفَسيحِ
وترجع الصّيحهْ ياعَرَبْ ، والتعاليلْ
وتجمعْ مَعاميلَ الغوىَ والضَّبيحِ
وجْديِ على اللِّي ماسَوصَهوةَ الخيلْ
وافعالهُمْ ظَلَّتْ ع طرِّشانْ رتحي
سْياجْ العَذارىَ ، طلابْهِنْ لقبْلَ اللِّيلْ
ذيابْ بْشَلا يا يقهَرونَ النَّطيحِ
سَادوا على الدُّنيا وفرسانهم سيلْ
ومَطلوبهم عن بُعُدْ ما يِستَريحي
ذولِ ادْرَكونا فوقْ هجْنْ ومجَافِيلْ
ونافوا على الدُّنيا بْعِلمٍ وضيحِ

بِحَقّ الخلايق ما بغوا عَدّ لوا الميلْ

وبحموقهم كانوا الشّهيمْ السّميحِ

وقْفَتْ غلوجْ الأرضْ مِثْلْ التّماثيلْ

تِشْرَبْ كدَرْها ومن وجعْها انصيحِ

هذا زَمَنْ لا قَلّ ما لك ترى التميل

وان وقع سيفكْ من يمينكْ اتحيحِ

واختم كلامي بالذي طوّق الليلْ

وقصّر علينا الشّوفْ، ما هبّ ريحِ

يوسف عويّد الصياصنة

الفصل الثالث

الشاعر يوسف عويد الصياصنة - والشاعر عبد الكريم الحمصي

١- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر عبد الكريم الحمصي:

« زارع اليومْ زيتون »

٢- ردّ الشاعر عبد الكريم الحمصي - على قصيدة الشاعر يوسف عويد الصياصنة السابقة: «حِنّا بَديِنا نِزْرَعِ الأرضْ زيتونْ»

٣- قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر عبد الكريم الحمصي:

« يابو محمّد سيلْ دِنيالك خَطّافْ »

٤- ردّ الشاعر عبد الكريم الحمصي - على قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة السابقة: « هَاجِ الضميرْ »



١ - زارعِ اليومْ زيتون

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنة .

إضاءة على النص :

تناهى إلى سمع الشاعر يوسف الصياصنة نبأُ قيام صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي بزراعة حقلٍ من الزيتون ، فأطربه هذا النبأ وهزَّ أغصانَ موهبته الشعريّة . فأنشأ هذه القصيدة خروجاً مُتعمَّداً بهذا اللون من الشعر عن أغراضه التقليديَّة وعن قوالبه المتعارف عليها ، وتوظيفه لخدمة قضايا اجتماعية حياتية معاصرة ، تحملُ هموم العصر وقضاياه ، وهي نُقلةٌ فنيَّة موفَّقة ، فقال :

سرَّني أنَّ أبا محمد بدأ يزرعُ حقلاً من الزيتون ، وتمنيتُ أن يكونَ عددُ الشجرات فوقَ المئة ، وهي خطوةٌ جيدة في هذا الزمن الذي ما عاد فيه شيءٌ مضمون ، إلاّ الزراعة ، لأنَّ الأرض مباركةٌ والمواسمَ معطاءةٌ بإذن الله الذي يُفجِّر عيون الأرض ويجعل من ريضانها حدائقَ غنّاء ، تين وعنب ورمان وزيتون وزعتر وميرمية..

ثم يتوجَّه إلى صديقه طالباً منه أن يتوكَّل على الله ، الذي لابدَّ أن يُنزلَ المطرَ على أرضه سهلاً كانت أو هضابا ، فما علينا إلاّ فلاحةُ الأرض وزراعتُها وعليه سقايتُها بأمره ، لا تحتاجُ لأكثرَ من ذلك فهذا عملُنا وعمل آبائنا وأجدادنا ، ولا يبقى إلاّ أن نطلبَ العونَ من الله العليِّ الكريم ، فهو لا يُخيِّب عبادَه ، فنحصدُ نداويات ، ونُكوِّمُ ما حصدناه ، وننقله إلى بيادرنا على ظهور الجمال حيث تَدُقُّ الأجراس المعلّقة بأعناقها فنستعدُّ لتحميلها ، جالبةً لنا معها الطعام من بيضٍ

ولبنٍ وسمنٍ عربي في علبة ملأى بأصناف أخرى، وليس كطعام الحصادين المستأجرين قِثاءٌ وشنينة مخضوضة وجرزة بصل أخضر، وعند الأصيل بقلة وقلية. أمَّا دارسُ القشِّ فتذوِّبُه الشمسُ وكل حُلمه أن يترك الدابة واللوحَ ويلجأ إلى الأفياء.

ينتقل في الجزء الثاني من القصيدة بعد أن استنفدَ أسباب القول في الغرض الأول من القصيدة وهو الزراعة، ينتقل إلى الغزل تَطْرِيةً للنفس وفتحًا لشهية الاستماع، فيخاطبُه باسمه: عبد الكريم شُفت البارحة! فماذا شاف، وماذا رأى؟ لقد شاهد مزيونةً في الغرب من موقع الحواكير والثوب يكشف عن مدلّع عنقها للإغواء، وطولها متوسط، ومفرق شعرها واضح بيِّن، وعنق كعنق الغزالة الظمآنة شاهدت الماء، سلّمتُ عليها فردَّت السلام، وأسبلت رمشين على جفنين ساحرين، وردت قُذلها بيدها ربعَ ردَّةٍ وكأنَّها تُحَيِّيني وتُهدي سلامها إليَّ وقالت: أأَضنعْتَ حَسُّونًا؟

قلت: أجل، أدركيني، فقد أصبحَ قلبي هدفًا لسهامه، أمَّا صيدي فهو عندكم: كاملة الأوصاف بيضاء مكنونة داخل صدفتها، أشعلت النار بي، فلو خيَّروني ما أطلب في هذا الوطن لاخترت بيتاً معمداً بسبعة عُمُدٍ في التلال العذبة حيث تقيمون، وجُرْنَ قهوةٍ يُهلِّلُ للضيوف ويرحِّبُ بهم، ويذبح السمينة من غنمه كل ليلة، وأشمُّ رائحة الوسبة المعطرة من نيرانكم، وأسمعُ أدوات الطبخ بريحه الضيوف.

قالت: أخطأت الصيد، فأنا من اللواتي يسكُنَّ القصور والشرفات العالية، وأنا ريمٌ من رئام دارها وكُنيتي «المُحَنْقيَّة»، لا أرعى الطَّلي ولا البَهَم، ولا أقود تيسًا مجنونًا يذبُّ عن شليته. أنا تربيت في سهل حوران الأفيح، بين الحدائق والرياض، ولا أشرب

من الغدران، ولست بدوية . فأنا مدنية مُثقفة وأجيد كثيراً من الفنون ، وأعرف ما ليَ وما عليَّ .

قلت : أبشري ، لكنْ تحمّلي عليَّ ، فما قلتِه صفات رفيعة عالية ، وعلى الرغم من ذلك فأنتِ صادقة وعدّاك العيبُ ، لكن لا تظاهي بدعواك تلك وشمَ الشفة والصدر ، والخدين المتشابهين بحمرتهما لشقائق النعمان ، وسيالأ يسهر على شفتين نديتين ، أمّا الأنفُ فقد استبدلتِ فيه عود القرنفل بدلاً من الشناف لتظلّي عطرةَ الرائحة ، وفوق الجبين الناصع البياض ترتاحُ ليرة ذهبية مُخمّسةٌ ، ولا تظاهي حلقاً بأذنيك داخ لكثرة ما يتأرجح بعيداً عن مهواهُ فوق الكتفين ، وأمّا الشعرُ المدهون بالمستحضرات والمعطور فمحقوص عشر جدلات . وعشرين ليةً ، ويرقص على كتفيها ثوبٌ من الحَبَر ويومئ مزهواً فوق نهدين كاعبين ويهديهما التحية . وأمّا الخلخال فقد جنَّ جُنونُه على ساق ، قصُرت يده عمّا يعلوهُ من ثمار دانية لا يعرف سرّها إلاّ الله . تلقاه كالأسير مُسترخياً فوق رخام ، يغرق بشبر ماء ويسبح بمثله :

بدوية ، فلاحة ، زبدة مع العسل يصحون أنت فلنسند بعضنا في السرّاء والضرّاء .

وأقول : أستجيرُ بكم ، وأستغيثُ بوجهكم ألاّ تقطعوا ما بيننا من صِلات الرحم ، ولا تقسوا على أشجاري فما زالت غضّةً نديّة ..

فهذا أبو محمد ، الشاعر الذي يُطربُ المكويَ بشَدْوِه ، والمعروفُ بقدرته على طرد العذراوات لاصطيادهن ، وله في ذلك باع طويل .

ويتابع مدحه لصديقه الشاعر ، فيقول : إنّه يرسل القصائد ذوات النكهة الطيبة ، والألوان المختلفة ، ويعطيها من المعنى والمبنى

والموسيقى الشيءَ الكثير.

وأخيراً يقول: لقد ركّزَ أبو محمد أعوادَ أشجاره في قلب الصخور، ويدعو له الربَّ الكريم أن يجعلَ العودَ مئة عود. ويتّجه إلى الله العلي القدير الذي يُعطي العباد بغير حساب أو مِنّة أن يجعلَ مواسمَ الشاعر الحمصي أكثرَ من غيره.

النص:

انبسطْ أبو محمد زارعْ اليومْ زيتونْ
قُلنا: مَليحة إنْ كان نافِنْ المِيِّه (1)
بهذا الوقتْ ماعادْ في شيّْ مَضْمونْ
والأرضْ برْكَةْ، والمواسِمْ غَنيّهْ
سُبْحانْ ربّي، انفجّرْ النّبع بِعيونْ
ومخلّقَ من الرّيضانْ غيضَهْ بهيّهْ
تينْ، وعنبْ، رُمّانْ، والسّفحْ عَطّونْ
زَعترْ عَروسْ جبالْها، وميرَمِيّهْ
اتوكّلْ على الله، جالبَ المطرْ مضمونْ
والأرضْ أرضْنا جالْسِهْ، مِعْتليهْ
إحنا عَلينا فلاحة مابَها منونْ
وسُعْفِةْ هطيلْ مرْوِنْها بالسّقيّهْ

كانْ أبُونا، وجِدّْنا، نُطْلُبَ العُونْ

نُقصُدْ كرِيمْ، ونِبْذُرْ بحُسْنْ نِيِّهْ

نَحصُدْ نداوِياتْ، يِضْحَكْ الحابُونْ

وتِسمعْ هَدِيرْ اجْمالْنا منْ الرَّوِيِّهْ (٢)

والِيا قْبَلِ الناقوسْ نِمشي على هُونْ

نِتْلَمَّسْ المِسمارْ بايدٍ وَنِيِّهْ (٣)

بيضْ، ولِبنْ، والسَّمِنْ صافي بَلا دْهُونْ

عُلْبِهْ مخَمَّلْ، دايِمَنْ مِنْتَلِيِّهْ

ماهُو غَدا حَصَّاد بَعجُورْ واشْنونْ

وجُرْزِتْ بَصَلْ، والعَصْرِ يِقْلي قَلِيِّهْ

ودَرّاسْنا منْ الشُّوبْ ذَوَيانْ مَغْدُونْ

عافْ البِغْلْ، والَّلوحْ، نِحْلَمْ ابْفَيِّهْ (٤)

عبد الكريمْ، امبارِحا، شُفِتْ مَزْيونْ

غَزْلي الخَوابي، مِدْلِعِ الثَّوبْ غَنِيِّهْ

الطُّولْ واسِطْ، مِفْرَقِ الشَّعرْ مَبيونْ

عِنْقَ الغَزالْ اللِّي لَمَحْ صِنِعْ مَيِّهْ

سَلَّمِتْ: رَدَّتْ: واسبَلَتْ رِمِشْ وجِفونْ

ورَدَّتْ القُذْلِه، رُبُعْ رَدِّهْ، بْهِدِيِّهْ

وقالت : امْضَيِّع بالفَلا طيرْ حَسُّونْ ؟

قُلت : ادِرْكِيني ، صارْ قَلبي ، رَمِيَّهْ

صِيدي بعَرَبْكُم ، كامِلَ الوَصْفْ مَكْنُونْ

جوَّ الصَّدَفْ ، واشعَلَ النَّارْ بيِّهْ

ولو خَيَّروني منَ الوطنْ بيتْ مَسْكونْ

أَخْتارْ بيتْ امْسُوبَع بالعَذْبِيَّـهْ

ونجرْ يْهَلِّي ، وذَالِحَ الشَّي مَبْخُونْ

وراعي يْوَدِّعْ كل ليلهْ تْنَسِيَّهْ (٥)

واشمْ وَسبةْ نارْكَمْ واسْمَعْ اهُونْ

وبْرَبْعَةَ الضِّيفانْ أَعْلِنْ هَوِيِّهْ

قالت : خَطِيتْ الصِّيدْ ، مِلْعَبي « بَلْكونْ »

من ارْيامْ دَرْعا ، وكْنُيْتي المِعْنَقِيَّهْ (٦)

لا ارْعى بْهَمْ مَقْطومْ ولا تْيس مَجْنونْ

يِرْمِي نَطيحو ، عَالبْهَمْ ، والشَّلِيَّهْ

رْبي بْسَهِل حُوران ، كُلْ مِسْكَبَهْ لُونْ

ما اشربْ من الغُدْران ، ولاني ابْدَويّهْ

رَوَّيتْ راسي ، من العِلِمْ ، واتْقِنْ فنونْ

وادْرَكتْ حَقِّي ، وصارْ لَيِّهْ قَضيِّهْ

قَلتْ : ابشري، يابنتْ، خَلّكْ على الهُونْ
هَذي وصايفْ عاليهْ ، ومِغتَليِّهْ
لكنْ - عَداكِ العيبْ - والجار بالعُونْ
لا تُظلمي السَّيالْ، والمدْرَقيِّهْ (٧)
وْدَقّ المرَدّعْ ، فوق خدِّينْ دَهْنونْ
وسيَّال يِسْهرْ، والشغايفْ نَديَّهْ
وعُودَ القرَنْفُل مِطرحْ اتشناف مَصْيونْ
وفوق الزّبيدي ارتاحَتْ مخمَّسيِّهْ
دايخْ حَلقْها، وشَعرْ بالعُطر مَدْهونْ
امْجَدَّلْ عشرْجَدْلاتْ، عِشرينْ ليَّهْ
ويرقُصْ حبرْهَا بينْ مَتْنٍ، ومَغبونْ
ويومي لروسْ انْهودهَا بالتَّحيِّهْ
الخُلْخَال مِنْ كُثْرْ المِتْرات مَجْنونْ
إيدُو قَصيرِهْ، والكَثِرّ، بالمَعليِّهْ
مثل الأسير، اللِّي على ارخام مَشْبونْ
والأغْرَيقْ، ويسبّحْ ابسْبرْميِّهْ (٨)
بَدْوْ، وفُلحْ ، زُبْده معَ العَسَل بصْحونْ
نِسيدْ بَعضْنا، بْكلْ ضيقَه، وفَضيِّهْ

وقلت : بوجهكو، وقاطعَ الرَّحِم مَلْعون
لا تِسْرَحوا باشْجارْ غَضَّةْ، طَرِيَّةْ
هذا ابو مَحْمَدْ، شاعرٍ، واطرَبَ الكونْ
ابْطَرَدَ العَذارىَ ليهْ باعْ وثَنيَّـةْ
يِشْفي القَصايدْ، مِيتْ نَكهَهْ، وأُلِفْ لُون
مِعْنىَ، ومَبنىَ، وقافيهْ مِرْتَوِيَّةْ
ابقلبَ الصَّخَرْ رَكَّنْ اعوادُ بَلاعُونْ
ورَبّكْ كَريم، يْسَاويَ العودْ مِتَّيةْ
يا الله !!، يامِعْطي الخلايِق بَلا مْنونْ
تِجْعَلْ اغْلالَكْ الحُصي أكْثَرْ شْوَيَّةْ

يوسف عويد الصياصنة

١- نافن : بمعنى زادت من الزيادة .
٢- الحابون : كومة القش بالحقل أو البيدر .
٣- المسعار : آلة بشكل نصف قوس تستعمل عند تحميل القش على الجمل .
٤- مغدون : مريض .
٥- مبخون : معروف .
٦- بلكون : شرغة . المحنقية بنسبة إلى المحنقاء صاحبة المحنق .
٧- المدرقية : لباس كالعباءة من الحرير مزركشة ترتدية البدوية فوق ثيابها .
٨- مشبون : معلق .

٢ - جِئْنَا بِدَرْبِنَا نَزْرَعِ الأَرْضَ زَيْتُونَ

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

يستجيبُ الشاعر عبد الكريم الحمصي أبو محمد لقصيدة صديقه الشاعر يوسف عوّيد الصياصنة، التي مطلعُها «سمعت أبو محمد زارع اليوم زيتون» فيبتدعُ قصيدته التالية على الوزن والقافية، فيقول:

بدأنا بزراعة الأرض زيتوناً، ورجانا في الله ربِّ البريَّة، فهو باعثُ الخير على مقدار، ونحن عُدنا لعملنا الأصيل في الزراعة نزرعُ أرضنا ونصون الحزام الأخضر حول مدينتنا درعا...

ثم يتّجه بالخطاب إلى شخص جرّده من خياله ليكونَ الجسرَ الذي يوصله إلى صديقه، فيُناديه قائلاً: يامن تتّخذُ النجم وسيلة لسراك، فمسراك مضمونٌ إذا اهتديت بنجم أبي خالد، فهو رجلٌ ولا كلُّ الرجال طويلُ الباع، طويلُ البال، والنفسُ عالية محتليةٌ شهامةً وكرامةً، قدّمَ لي قصيدة كل مقطع من مقاطعها بلون له طعمُه شهية تفتحُ النفس وتشرّعُ أبوابَ القصيد. فأنا مدينٌ لأبي خالد لأنّه البادئُ وصاحبُ البداية يظلُّ السابقَ بالمفضل. ويحدّثه بعد ذلك قائلاً: رأيتُ اليوم إحداهن تفوق الغزالةَ حُسناً وجمالاً، وهي من رثام درعا المعروفات أصالة ومكانة، تستحق أن تُنشَدَ بجماع شعر مواسم الحَصَاد وفنونه تماماً كما تليق لها لُبسُ العُرجة والعباءة. ويليق

عليها لُبس الدّامر فوق الثياب المفوّف الأردان ، والشمبر الذي يكشف عن لَبَّات عنق فوق صدرٍ تنتحرُ عليه كل هموم الدنيا غوايةً وإغراءًا ، ويليقُ لها الوشم على الشفة السفلى، والكحلُ في العينين ، كما يليق بها الوَشم المنمنم على الخدود ، ولمح الثنية الذي يخلب الألباب ، ويليقُ بها الطوق الذي يغفو على رخام العنق الأتلع تحتَ جدائل شعرها المتعثكلة ، وأقراط الأذنين ، وشناف الأنف ، ومخمسية الذهب على الجبين الوضاء .

ثم يصرخ الشاعر من وحده وهول ما رأى ، قائلاً : إنَّها فلاحة ياناس تلك التي تمشي الهوينا غير متكلِّفة، عندما نظرت إليَّ فأصمتني وأصبحتُ شهيد هواها ، فإنْ كان عندك ياصديقتي مكان أمين لحفظ السرِّ فقد بُحت إليك بما بحت فبماذا تشيرين عليّ ؟ .

قالت : تعدَّاك العيبُ يا أبا محمد مع كل الجميلات ، فإنك معروفٌ بسلامة الطويَّة ، ونظافة النيَّة . فلي بطرف أم المسل شجيرات زيتون تحتاج إلى نكش بالفأس وإلى سقية بالماء . فعاونتها إكرامًا للأرض إنْ لم يكن إكرامًا لها ، والله يُعينُ من يُعين الآخرين ، فالأرض خيِّرةٌ والبركة من الله . أتأسف يازيتون ياذا اللون الأخضر الداكن أنك رمز السلام وأنَّكَ تظلُّ أحلى هدية ، لقد طار الحمام يازيتون ، وحن الوتح وولى ، ولم يعد هناك من يلقي عليك التحية ، وأصبح السلام اليوم مشوهًا ضائعًا يدور فما يجدُ له أصلاً ولاهوية .. فالحق يدور منقوصًا مبتورًا مغبونًا فلا يجدُ له مُنصفًا ولا رادًّا ،

فالحق للأسف للأقوياء الأغنياء أصحاب الجعب والأكياس المليئة، إنه سلام الغابة المسكونة بالوحوش، ويجب أن نصبح سباع غابة مفترسة قوية إذا أردنا أن نسترد الحقوق.

وهنا يُشهد صنوه يوسف قائلاً: يكفينا يا أبا خالد نضحك على أذقان بعضنا - يعرض بذلك للوضع العربي المزري الذي وصلت إليه الزعامات العربية المتآمرة على شعوبها وأقطارها الذين يتنادون عند الخطر لمؤتمرات يبوسون فيها لحى بعضهم أمام عدسات التصوير والتلفاز، وينهشون لحوم شعوبهم ويقتسمون الغنيمة حينما تغلق الصالات عليهم - إنَّ أحابيل الأعداء ملتوية، فعلينا أن ندرك ذلك، فلا نُطأطئ رؤوسنا وندفنها في الرمال في مواجهة المصيبة، أما كفانا صبراً وسكوتاً ؟! . أما يكفي سيوفنا أن تظلَّ مغمدةً مطوية ؟. وهل ينفعنا اللغوُ بعد اليوم فيما كُنَّا وكانوا ؟! أبداً علينا أن نكونَ كما يجب أن نكون، فهذي يدي أمدُّها إليك لنتَّحِدَ والأرض عربية وستظل عربية.

ملاحظة:

هذه القصيدة وسابقتها قِمَّةُ ما وصل إليه الالتزام والمعاصرة في الشعر النبطي الذي نحن في صدد النهوض به وتطويره وتوظيفه شكلاً ومضموناً بناءً ولغةً ومعنى. ولا أظنك يا قارئي العزيز لم تدرك هذه النقلة الفنية الرائعة في هذا اللون من القصيد في هاتين القصيدتين اللتين تعتبران قِمَّة ما سعينا لتحقيقه، ولقد تحقق والحمد لله على أفضل ما نريد وما يرام.

« بعث لي السيد يوسف الصياصنة « أبو خالد » قصيدة يُهنِّئني

بها بمزرعة الزيتون ومنها يقول :

اسمعت أبو محمَّد زارع اليوم زيتون

قُلنا مليحة إنْ كان نا فِنْ المنيَّه

بْهاظا المؤمَّنْ ما ظَلّ شيٍّ مَظْمون

الأرض بَرْكَهْ والمواسِمْ غَنِيَّه

إحِنا علينا نوَلِّفْ اللبَّنْ بِصحونْ

ونسعِفْ هَطيل عِنُومها بالسَّقيّه

تينْ وعِنبْ رُمَّانْ والسَّفحْ عطّونْ

وزْعتّرْ عَ رُوسْ جبالْها ومِرَمِيَّهْ »

قصيدة الشاعر عبد الكريم الحمصي يردُّ فيها على قصيدة «

أبو خالد » يوسف عوّيد الصياصنة :

النص :

حِنّا بَدينا نْزرع الأرض زيتونْ

وحِنّا رَجينا الله رَبَّ البريِّه

والحمدْ لِلَّه باعْثَ الخير ومْزونْ

وعادَتْ لَنا كارْتْنا لَوَّليِّه

بَعد النَّشامَا نِزْرَعِ الأَرْضْ وِنْصُونْ
لِحْزامْ لِخْظَرْ حُولْ ذِرْعا العَذِيَّهْ
وَيا مِهْتَدِي بِالنَّجِمْ مَسْراكْ مَضْمُونْ
بِنْجِمْ أبوخالِدْ عِيِنَا مِهْتَدِيَّهْ
رَجْلٍ ذِراعُو مِثِلْ عامودْ زَيْزُونْ
والبالْ أَطْوَلْ والنَّفسْ مِعْتَلِيِّهْ
قَدَّمْ قَصِيدَهْ لِي كُلّْ مَقْطَعْ بْلُونْ
طَعْمَهْ شَهِيَّه والنَّفسْ مِشْتَهِيَّهْ
لأبوخالِدْ تارِخْ اليُومْ مَدْيونْ
ومِينْ الِّي يِلْحَقْ صاحِبْ الأَوَّلِيِّهْ
شُفْتْ غَزالْ الرِّيمْ يِلْ مابْها ظْنُونْ
منْ زْيامْ ذِرْعا مْسَلْسَلِهْ غَشْمَرِيِّهْ
تِلْبَقْ لَها شْعارْ الحَواصِيدْ وِفْنُونْ
وِتِلْبَقْ لْها العُرْجِهْ ولْبْسْ لِعَبَيِّهْ
وِيلْبَقْ لْها الدّايِرْ والشُّرُشْ مَرْدُونْ
والشَّمْبَرْ المَدلُوعْ عَ الصِّدِرْ غِيِّهْ
وِيلْبَقْ لْها السِّيالْ مَعْ كِحِلْ لِعْيونْ
وِيلْبَقْ لْها الرِّدِيعْ ولْمَعْ الثَّنِيِّهْ (1)

وِيِلْبَقْ لْهَا الذبَّاحْ من تحت لِقرونْ
وتركِيِّةْ وِشْناف ومخمّسيّهْ (٢)
فلاّحْةْ يا ناسْ تِمشي على هُونْ
عَ طيب نيِّه يومْ كدّتْ عليَّهْ
إنْ كانْ عِنْدَكْ سِرّْ بالحِفْظْ والصّونْ
وإنْ كانْ عِنْدِكْ قُولْ قُولْيهْ لَيِّهْ
قالتْ عداكْ العيبْ مَعْ كل مَزْيُونْ
لْبَبُو مْحمّدْ يا سَليمْ الطّويِّهْ
بأُمّ المسَلْ لِيها مَعْ الطّارْ زيتونْ
بِدُّو نَكِشْ بالفاس وبِدُّو سَقِيِّهْ
عَاوَنتْها بِالعُونْ واللَّهْ مَعَ العُونْ
الأَرْضْ أُمّ الخيرْ بركهْ ثَرِيِّهْ
يا حِيفْ يا زيتونْ يِمْعَشْرَقْ اللّونْ
زمنْ السّلامْ تظلّ وأحلى هديِّهْ
طارْ الحمامْ وفلّ والرّيحْ مَجْنونْ
ما في حدا يلقي عليكْ التّحيِّهْ
صارْ السّلامْ اليومْ مَنْتُوفْ مَطْحُونْ
طايح يدوّرْ دارْ وما لُو هويِّهْ

إلّي يقول الحقّ متبور مغبون

والحقّ للّي كياسهم منتليّه

هاظا سلام الغاب والغاب مسكون

لازم نصير سباع غاب قويّه

يكفي يبوخا لذ ضحك عالذقون

ذروب الأعادي كلّها ملتويّه

يكفي نوطّي الرّاس ويكفي لنا سكون

ويكفي تظلّ سيوفنا منطويّه

كنّا وكانوا لازم نصير ونكون

يدّي بيدّك والأرض يعربيّه

٢ / ٣ / ١٩٩٥م - عبد الكريم الحمصي

١- السيال : وشم على ظاهر الشفة السفلى ، الترديع : وشم على الخدين والأنف .

٢- الذباح : سفيفة من الخرز الصغير يوضع حول العنق ولكنه ليس قلاده ، التركية : الحلق في الأذن . شناف : حلية توضع في أرنبة الأنف . المخمسية : ليرة ذهبية كبيرة تعلق على الصدر أو على الجبين في المعرجه .



٣ - يا أبو محمد سيل دِنْيَاك خطّاف

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنة

إضاءة على النص:

استدعت العلاقة الحميمة التي يكنّها الشاعر يوسف عويد الصياصنة لصديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي، أن يُناجيه ويبثّه شيئاً ممّا يعتمل في نفسه، ويُخالجُ فكره، ويطلعه على خُلاصة تجربته، وعُصارة معاناته، ليجنّبه مسالكَ الوحله، ومزالقَ الطريق، ويوصيه بالتمسُّك بالأرض، فكتبَ إليه يقول:

يا أبا مُحمَّد إنَّ نهر الحياة جارف فاحذرْ اللُّجَّةَ تتخطّفكَ، كما احذرْ اللفَّ والدوران في الحياة، ولتبقَ حريصاً. عندها تستطيعُ أن تقتحمَ الأهوالَ غير خوّاف، ولكن وللأسف سترى المصائبَ تغزوكَ من حيث تحذرُ، فتغزو قلبكَ وتخلبُ لُبَّكَ، وتتغلغلُ في حناياكَ وتقتلعُ ضميركَ هيفاءُ حسناء ذات ذؤابة لا توصف، فالحبُّ يا عبدَ الكريم قدرٌ محتومٌ لا تنفع معه الرُّقى ولا التمائم، ولا يقعُ به إلاّ الصفوةُ من الرجال. فحبُّ العذارى والمنجدة ذوَّبت قلوبنا فتراكباً وتعاوَنّا معًا، وما عاد يُنقذنا من حبائلهنَّ شيءٌ إلاّ لطفُ الله ورعايتُه مُفرّج الكرب، نُصلّي ونركعُ طالبين منه العونَ، فهوَ قادرٌ على أن يُحيي العظامَ وهي رميم.

ويتابعُ بشيءٍ من المرارة ما تردَّتْ إليه حال العرب، فتهدَّمت أعمدةُ بيوتهم وأصبحتْ خرائبَ ومحاميس قهوتهم وأباريقها في حدادٍ على ما وصلوا إليه من ختْلٍ وكذب، ..

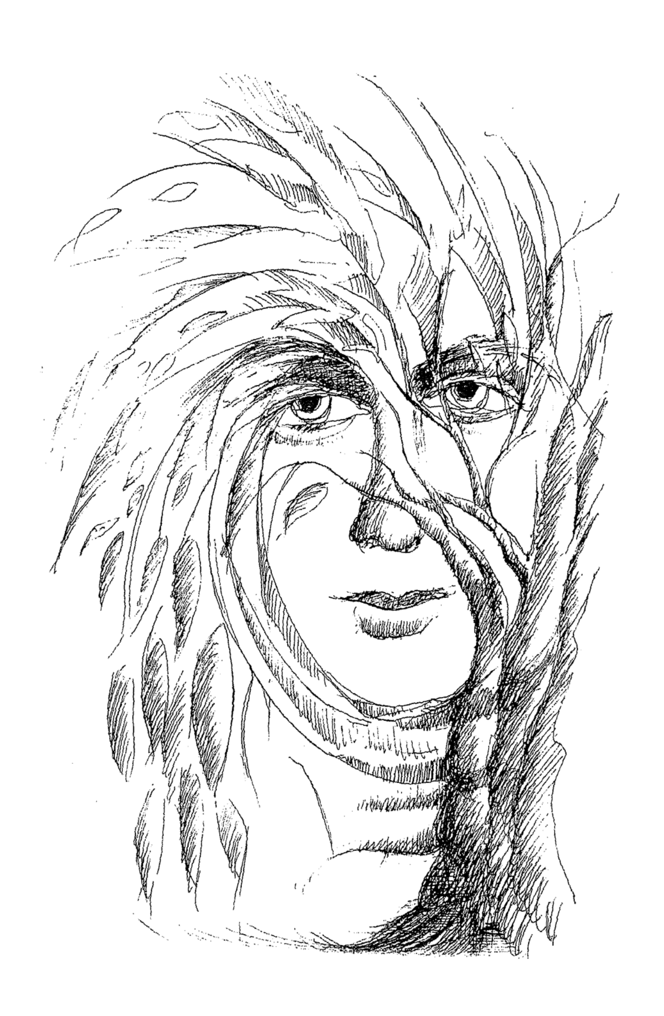
ولن تعودَ حالُهم إلى ما كانوا عليه إلّا إذا قضَوا على العدو المشتركِ الذي اغتصبَ أرضَهم، أو مَنْ باعَها لهُ بأرخص الأثمان. ويختـــمُ قصيدتَه بالصلاة على النبي الذي لا شافعَ لنا غيرُه يومَ الحِسَاب.

النصّ:

يا بو محمَّد سيلْ دِنياكْ خطّافْ
إحذَرْ اللَّجَّهْ واحْذَرْ البَرْجْ واللَّفْ
خلّكْ حريص، واقحَم الموجْ لا تخاف
ترى المصايبْ تِقتَحَمْ الدّارْ مِنْ خَلْفْ
وتغْزيكْ من بين الحنايا وَلِسْشفافْ
وتِشْلعْ ضَميرَكْ قُدْلة ٍماها وَصْفْ
عبدَ الكريم القَلبْ للنَّذلْ عيَّافْ
وِحْنا ابْتَلينا بالعِشقّ، والعِشقّ حَتفْ
بحبِ العَذارى والنَّجدْ قَلبُنا زافْ
واتْراكِبْن حُبّيْن طَفٍّ على طَفّ
حِنّا ابتَلينا وِمفرَحْ اهمّ لَطّافْ
هُوّ الكريمْ ابابْ بِيتُوا خْفضِ الطَّرْفْ
واركَعْ وصَلّي وأطْلُبْ العُونْ مِنْ كافْ
يِكْفِي الخلايقْ، بِبعَثِ العَظُم لَوْ جَفّْ

من عان نفسو بيطلب المعون رفراف
تيجي الفزايع تخلع الباب واتدف
ومن سكت عن قول الصحيحات وقاف
يوم الحشر يلهم ادموعو ولا اتجف
بيت العرب صاير خرابيش تنخاف
وان لاها حدت على الراس والظلف
قصرن احبال البير نحتاج خطاف
تا ننشل التنتين لتراكبن صف
انطرق الحكي زلك مثل قوس نداف
شرقي المغير ندخنهم والكذب عف
ومايرجع امسوبع ومهيوب منضاف
مادام فيده تشعل النار واتهف
من باع أرضو بأثمن المال ينعاف
ويظل قاعد طول عمرو على الرف
واختم واصلي عالنبي سيد لحناف
يشفع لنا من حرها ونطلب اللطف

١٥ / ٥ / ١٩٩٥م   مع تحيات الشاعر يوسف الصيامنة



٤ - هاجَ الضميرْ

للشاعر: عبدالكريم الحمصي

إضاءة على النص:

هذه الغائية ردٌّ على مثيلتها للشاعر يوسف عويِّد الصياصنة، يحدثنا فيها الشاعر الحمصي عن ضميره الذي هاجَ فهيَّجَ معه القلبَ، وحرَّكَ شيطان الشعر على أثر قول أبي خالد له: ياعبد احذر اللفّ. وأبو خالد صديق للشاعر تجمعهما الألفة وتظللهم المحبة، فيردُّ عليه بكنيته: «يبو خالد» أنت بحر للشعر لا ضفاف له ولا شطوط، وقولك أروى ظمئي» وأبلَّ حلقي برقيق الشعر ورقيق النظم بعد أن جف أو كاد، ذكَّرتني بأيام الجهل والشباب والفتوة، كما ذكَّرتني بالمليحة لبّاسة الشناف الذي يبرقُ على أرنبة أنفها، وكأنها حمامة تطالعك عند الغروب على أول سربها من الأخريات، وأثرت ذكرياتي القديمة بأعراسنا الطافحة بالفرح والسرور، وبروض أبي الحاف حيث حلباتُ الخيل في الميدان تتتابع، والشباب والشابات في زهن الهناءة الصافي تشتبكُ أيديهم بالدبكة، والمليحةِ والأكفُّ تلتهب بالتصفيق، على ايقاع الدفّ الرتيب، رعيا وسُقياً لتلك الأيام السعيدات الهانئات.

ويتعجَّبُ الشاعر أشدَّ العجب عمَّا أصابنا وحلَّ بنا! أصبحنا والخوف يكتسحنا جميعًا، فهجرتنا الخيولُ والأبلُ واقتُلِعت من فوقنا الخيام، وجفَّت السماءُ، وأقلعَ الغيثُ عن

الهطول فحتى وادي النيل عاد يمتلئ بالماء بعز الشتاء،
وما عادت المياه تتلاطم فيه من طرفٍ إلى طرف، وما عادت السيول
تجرف معها الطمي الأحمر المقالح كدم الرعاف، فيبشر
بمواسم الخير والعطاء.

ثم ينتقل بعد ذلك ليحدثنا عن الزراعة التي تؤتي
أكلها لكل من يخدمها ويتعب بها فتأتيه أضعافاً مضاعفة،
أمّا الكسالى فمواسمهم على قدرهم، فعلى قدر العزم تأتي
العزائم، ويزجي الشاعر تحياته مكررة للذين يهوون الأرض
ويصونون العرض ويحيون العرف والعادة بين الناس.

وهاهو يخاطب صديقه يوسف عن الوحدة التي يهنأ
الجميع بظلها مدناً وأريافاً كلهم متكاتفون متعاضدون تشد
أكفهم على أكف بعض.. ويتحدث الشاعر بكثير من التفاؤل
عن نبوءة ربما تتحقق كمعجزة، رغم أن زمن المعجزات
قد ولى، فيقول: لقد توحدت سيوف أبناء الأمة العربية
وصاروا قوةً واحدة، وأما الانعزاليون فلا بصر لهم ولا
بصيرة، لذلك علينا أن نعود صفاً واحداً، ونثور على واقعنا
المتردي ونغيّر سوء الحال ونبدّل الظروف، ونعود كما كنّا
أسياداً للأرض وملوكها وأشرافها. فماذا جرى لنا بعد ذلك
من تخلف وانحدار إلى الهاوية؟!.

إنّه تساؤل مريعٌ يؤرق الشاعر لما آلت إليه أحوال
العرب من فرقة وانقسام وتشرذم وهبوط شديد نحو التراجع
والانحدار؟!.

وهاهو يستنهض الهمم، ويشيد بكل رجل يقف

نفسه وجهده لإعلاء كلمة الوطن، ورفع رايته، وقهر الزمن الذي قلبَ له ظهرَ المِجَن. ويحمدُ اللهَ تعالى الذي يكفي المخلوقات من رزقه العميم ويحركُ رياحَ الخير والبركة لتعمَّ الجميع.

ويفتخرُ الشاعر في البيت الأخير بأفضل قيمة يعتزُّ بها العربي وهي الكرمُ وحُسن الضيافة. ويعتبر الضيوف مِنحةً من الله لأنهم ضيوف على خير الله وعطائه، ونحن معازيب لهؤلاء الضيوف لأنهم أضياف الله، ندير عليهم فناجين القهوة العربية الأصيلة فكل من شفَّ منها بقيت آثارها على شفتيه لطيبها وكثافتها.

فأدام الله قهوتك يا أبا محمد طيبة النشر على شفاه الأضياف.

النص:

هاجِ الضميرْ وهيَّج القلبْ والقافْ
قولَ أبو خالد يا عَبِدْ: احْذَر اللفّْ

يَبو خالِدْ ونِتْ بَحَرٍ بلا ضفاف
بَلْبَلِتْ خَلْقي بالشِّعِرْ بعد ماجَفّْ

ذَكَّرتني أيام الجَهِلْ وأُمَّ لِشنافْ
جِنْها حَمامَه بَوَّل الليل والرَّفّْ

ذكَّرتني بِعواسْ، وِبروضْ أبو الحافْ
والخيلْ بالميدانْ صَفٍ ورِعْ صَفّْ

ذكرتني بشبيبة والزمن صافْ

ودبكه وميحه، وسحجة سجوف ع الدفْ

الله أكبر كلنا اليوم خوّافْ

ماظل حافِنْ ولاخيمِهْ ولاخُفْ

وادي المزيدي بيكوانينْ ماطافْ

وماظلْ ميِّهْ تِلحق الطفّ بالطّفْ

يسيل الحاري كِنّها دمّ لِرعافْ

يبشّرْ مواسم خيرْ للخيرْ يِشّتفْ

أهل لِعلوم الهايفه زرعهم هافْ

وهل الهمايمْ والمَنشا ماهُمْ ألفْ

ألف تحيّهْ وألفْ مرحبْ وألفْ رافْ

بكلّ من يهوى الأرضْ ينشر العرفْ

يا أبو خالدْ عِندنا هدن وريافْ

كلّها أخوه تمِسكْ الكفّ بالكفْ

العربْ صارتْ بعد توحيدْ لِسيافْ

كل من بديره لا بصيره ولاطرفْ

لازمْ نعودْ رفوف وكفوف وكتافْ

ولازم انغيّر سوء لِحوال والظرفْ

كُنّا سيادَ الأرْضْ وملوكَ وشِرافْ

وِشّوجَرى حتّى انجرَفْنا مَعَ الجَرْفْ

الله تَحَيّي كلْ عاقِلٍ وَقّافْ

لَجْلَ لِبلادْ اللّي عَليها الزَّمَنْ لَفْ

والحِمدْ لِله لَلخَلِقْ والِرزْق كافْ

يِطْلِقْ هَبوب الرّيحْ بالخيرْ تِنزَفْ

والظّيفْ ظَيفَ اللهْ وجِنّا لَلظِّيافْ

وصَبّْ قَهْوى لِلشّفْ تلفُظْ على الشّفْ

عبد الكريم الحمصي

الفصل الرابع

الشاعر يوسف عويد الصياصنة - والشاعر هاجم عيازره

١ - قصيدة الشاعر يوسف الصياصنة - إلى الشاعر هاجم عيازره :

« طيرِ الحمامِ لَيا قْبَلَتْ، عالوِتَدْ باظْ »

٢ - ردّ الشاعر هاجم عيازره - على قصيدة الشاعر يوسف عويد الصياصنة السابقة :

« دَني دْلولَكْ يَلفَظي وشِدّ لِشْظاظْ »



١ ـ طير الحَمَام ليا قْبَلتْ، عالوتَدْ باظ

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنة

إضاءة على النص:

هذه قصيدةٌ يبعث بها الشاعر يوسف الصياصنة إلى صديقه الشاعر هاجم العيازرة تتعرض لمواضيع لم تكنْ مطروقةً في مثل هذا اللون من الشعر، ولا تبعًا لمعهوده المعروف، تطبيقًا لمقررات الندوة التي عُقدت في بيت الشاعر محمود الزعبي وما تمخّضت عنه من توصيات للنهوض بهذا الشكل من الشعر، وتوظيفه لمواضيع معاصرة تحملُ همومَ العصر والناس. والشاعر يوسف أبو خالد من أوائل من استجابوا لتوصيات تلك الندوة.

يبدأ قصيدته بنقدٍ مريرٍ لسوء الزمن وقلبهُ ظهرَ المجن للناس، ويأتي بمثلٍ اجتماعي من التراث، يقول: إذا واتت المريح وأقبل الزمان باضَ الحمامُ على الوتد، ولا يكمله تقيَّةً، ويأتي بما يدلُّ على معناه. ثم يتحسَّسُ من أرزاء هذا الزمان الذي أرخى بكلكله على صدور الناس الذين تُقيِّدُهم الحياة بثقال القيود فلا يقوون على الحركة لابتعاد الأساودِ عنهم، أو معرفة ما يدور من همس حولهم في جوانب الدار، وإن حاول ونسي القيْدَ الذي يُكبِّلُه ونهض، شدَّته هذه القيودُ وأثارت في صدره زوابعَ من الأوجاع، وآنسته الكلام والحليب الذي رضِعَهُ، وفيَّضت في قلبه نبع السريا وحثلها من الدموع السواكب. وصاح أدركوني بأكفاني، فباطنُ الأرض خيرٌ من ظاهرها، واخلطوا أحماضًا تجمِّدُ لسانَ من لم يشبَعْ من عِشق الحبايب الجميلات، فالنجع،

وزهو الرياض ، والحُسْنُ بلا أجواءِ طيرٍ غريب ، وجاء الطبيب وسألنا عن أعراض بلوانا ، فقلنا : إنَّ السيلَ جرفنا قبيل المغيب، فأعقهنا ، قلنا له : جفَّ الجهيرُ في بصرى وكذلك بقية البرك. فقال : اسمعوا حُكْمَ أمثالها ، ونُصْحَ مجرِّبٍ حُلْوَ الحياة ومرَّها، فهمَّة بني غسان معلقةٌ برؤوس رماحها ، والسيفُ اليماني في المواقع مُجرَّبٌ ومعروف . فعليكَ بالصبر ياصديقي إذا ما فاضت دموعُكَ كفكِفْها واطلبْ من الله أن لا تصيبكَ الأمراض لتبقى قويًا ، ويبقى عدوُّكَ مَكموداً مُغتاظاً ، دنياكَ رحبةٌ معشبة، وأرضه قاحلة مجدبة . واعلمْ أنَّ طيبَ الذكر لايكونُ بالكلام وكثرة الركض ، أبداً فالألمعيُّ يأخذُها من أقرب المآخذ . كما الشبل يقنصُ صيدته بسرعة ، يأكلُ منها مايشاء ويتركُ البقية لغيرِ يشبع ، من أبي الحصين والذئب والأنسُر .

ثم يتَّجهُ بخطابه نحو الغزال فيقول له : إنَّ دنياكَ من غير الهوى جافة لامعنى لها . كما العمر بدون شمِّ الشوق صحراء مجدبة ، لذلك ابحث عن التي تلبس الثوبَ واسعاً فضفاضاً ، وإذا ساعفك الزمن ، شُدَّ الرحال على النوق السريعة إليها ، ودعْكَ من الجمال المصطنع وأوراد الحدائق المسيجة ، وابحث عن الأزهار الطبيعية في السهول والشعاب . وأقصد نفلَ حوران بسفوح الروابي الذي كلَّما أغرقْتَ في تقصِّيه ازداد طيبـــاً وخصوبة . إنَّه جمال أخَّاذ وإنَّه ليقسم على ذلك أغلظ الأيمان برب البيت ، وبجلال السماء ، والصليب ، أن سهلَ حوران قطعة من الجنَّة وأن سكانه عربٌ أصائل مافيهم الأعجمي . يقول :

النص :

طيرَ الحَمامِ اليا اقْبَلتَ ، عَا لو تَدْ باضْ

وإنْ زَرْفلَتْ بِرجوع شَمْسَكْ اتْغيبي (١)

وَجْدي على اللّي امقَيَّدْ ، وسِمعْ نَضْناضْ

سِمعْ بزَوايا الدارْ هَمْسٍ مريبْ (٢)

نِسيَ الحديدَ ، القيدْ ، ومنْ مَرقدُو نَاضْ

وفارَتْ بصَدْرُوا وجاع ، فُورةْ حَليبْ

ونِسيَ الحكي جُوّاه ، وجُوّا القلبْ غاضْ

نبعَ السّريا ، وغاضْ دَمع سَكيبْ

وصاح ادِرْكوني ، بالْكفَنْ ، واخْلطوا احماضْ

تَنْقَع الْسانَ المَاشْتَفىٰ مِنَ الحبيبْ

الخَشْرِيّة ، والنجعْ ، زهُرْ بِرياضْ

وحُرِبَلا مِرْقاه ، طيرٍ غَريبْ (٣)

وجَانا النّطاسي وقال : خَبِّرْ بَلعِراضْ

قُلْنا : خَذانا السّيل قبلَ المَغيبْ

وجَهيرْ بُصري غاضْ ، مِنْ بَعدْ ما فاضْ

وبَرْكة الجيِّ ، ماذكَرْها الصّبيبْ

قالْ اسمَعوا حُكْمَ النّفيلاتْ وافراضْ

ونُصْحَ المجرِّب كاسْ مُرٍّ وطيبْ

هِمّةْ بَني غسَّان بِرماحْها اعْتاضْ

وسيفْ اليماني مجَرَّبٍ بالحريبِ

يابو يزنْ أوصيك لَوْ مَدْمعكْ فاضْ

كُفَّ الدَّمعْ، وخَلّكْ صَبورٍ أريبِ

أطلُبْ منَ الله ما اتْدانيكَ لمْراضْ

وتبقى على الشُّوفاتْ قادرْ مجيبِ

ويبقى عَدُوَّكْ منكِد زعَلْ منْغاضْ

ومْفلاكْ غيضَهْ، ومسْرَحُو بالجديبِ

وطيبَ الثَّنا ما يجلْبُو اطْراد وارْكاضْ

والشِّبِل يقنُصْ صيدْتَهْ مِنْ قريبِ

يحمُدْ كريمْ، ويُتْركَ الزّود بِرْماضْ

ويشْبَع وَراه حصينْ، ونسرٍ، وذيبِ (٤)

دِنياكْ مِنْ غيرِ الهوى نَبعها حاضْ

ومِنْ غير شَمّ الشُّوق، عُمرَكْ جديبِ

دوِّرْ على اللّي لابسَهْ الثّوْب فضْفاضْ

وإنْ ما اسْعَفْ الدُّلاب، شدّ النّجيبِ

واتركْ ورودٍ رابْياتٍ بلِخْواضْ

ودوِّرْ نَواويرْ السّهلْ والشّعيبِ

تِلْقى نَفَلْ حُورانْ بِسْفُوحْ وارواض

كُلْ ما بعِدِ مِشْحاه، يِرْعِلْ، يْطيب (٥)

أُقْسُمْ بْرَبِّ البِيت، مَعبود فَيّاض

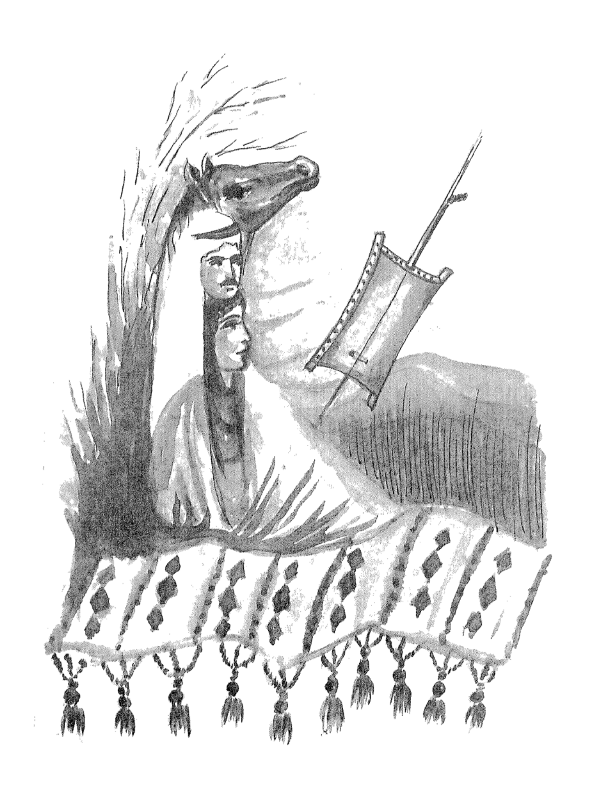
واقسمِت، بِهْلالْ السَّما، والصَّليب

إنُّو سَهِلْ حورانْ، قِطعَهْ من الرْياض

وشَعْبوا نْبَنَى من سَاسْ ماهُوجَليب

يوسف عويّد الصياصنة

١- زرفلت : أسرعت، أقفت، عاندت.
٢- نضناض : صوت همس و بغام.
٣- الخنشوريّة : الجميلة، الأصيلة، ذات الأصل الطيب.
٤- رماض : من الرمضاء، شدة الحر.
٥- مشحاه : مسافته، بعده.



٢- دَنِّي ذلولك يالغضي وشدّ الشظاظ

للشاعر: هاجم العيازرة

إضاءة على النص:

يردُّ الشاعر هاجم العيازرة على قصيدة صديقه الشاعر يوسف الصياصنة، مستخدمًا البحرَ والقوافي نفسها، بما يليقُ من رقيقِ القول مُوشِّياً قصيدته بأبياتٍ من الحكمة، وأُخرَ بوصف الطبيعة، مُسبغًا على صديقه قيمًا مدحية هو أهلٌ لها، يعتزُّ بها كلُّ عربي على أرض حوران الأصالة والعرب فيقول في مطلع قصيدته مجردًا من خياله مُخاطبًا يقول له:

هيِّئْ لي أيُّها الغضيُّ ذلولاً واشدُدْ عليها الحمائلْ لأقطعَ بها السهلَ والوعرَ نحو مضائفَ حولها العشبُ والربيع، فتوصلُني إلى هناكَ قبل مَغيب الشمس، وأقرئْ تحيّتي وَزِدْ عليها ما تحلو لكَ من الألفاظ للشاعر صاحب الموهبة، فصِفْه، وانسبْ به، تحيةً تفيضُ من ضميري، وتجودُ بها قلمي، فقد طار الحمامُ الذي باض على رَفِّنا سعدًا وسعادةً، وذهبَ تخفقُ جناحيه فوق السهولِ الخصيبة حيثُ منازِلُ الشاعر أبي خالد كاتبِ القصيدة والشاعرِ اللبيب، والرجل النجيب.

وتحدّثُ صديقَه الشاعرَ قائلاً له لقد ذكّرتني بتاريخنا الماضي العابق بالطِّيب، الملياض بالقصص والروايات التي تزدهي كلّما تردَّدتْ على أسماعِنا. وأنا والحالة هذه لستُ بحالِ أولئك الشكّائينَ البكّائينَ الذين لا همَّ لهم غيرُ التذمُّرِ والشكوى فلن أشكوَ لو شحّتْ مياهُ الجليب التي نستقي منها. كما أنّي لستُ

بحال الذين يبدّلون السيرَ السليمَ على الطريق القويم بركضٍ وقفزاتٍ ماوراءها إلّا الطمعُ والوصولية .

ولستُ بحالِ أولئك الذين يتمظهرونَ بأكسيةِ الديباج الفضفاضة ليظهروا أمامَ الناس بأنّهم هم السادةُ ، وغيرُهم غريبٌ لاشيءَ له ، فأنا والحمدُ لله يكفيني اليومَ رغيفٌ بهدوءِ بالٍ بين حقولِ ديارنا وزهورِها اليانعة ، وتُقنعُني نظرةٌ بريئة من جميلةٍ حسناء ، تَشفيني من كلّ الأسقام والعلل . أو طيفُ غزالةٍ تتلامحُ على الهضاب البعيدة بجمالها بينَ الورد والنخل النابت حولَ نهدين عامرين ، وعنقٌ أتلع ، تقولُ للصبح كُنْ فيكون ندىً وطيبًا ، صدرٌ لا يُدانيه غيرُ صدورِ الغزلان ، وعنقٌ طويلٌ كعنقِ الظباء ، وألحاظٌ تقتل بسهامها وتصيبُ حبّاتِ القلوب ويا ويحَ قلبي منها ! وليتَها تكونُ من نَصيبي .

ثم يتغيرُ مجرى الحديث والمنجوى إلى الشكوى من الذين إمّا أنَّ الطمعَ يأكلُهم ، أو أنّهم ينعقون كالغِربان لا يبشرون إلّا بالخراب ، والصنفُ الثالث منهم ناكرُ الجميل منّاعٌ للخير طعّانٌ من الخلف ، يعضُّ كل من يعرض له من قريب أو بعيد ، كلُّ ذلك مقدمةٌ لمدح صديقه الشاعر ، فبعد أن عدَّد أصنافَ الناس استثناه منهم فقال : والبعض الآخر مثلكَ ياصديقي بحرٌ غيّاضٌ للفكرِ ، دائمًا ترحّبُ بمن يستشيرونك فتدلّهم على جادّةِ الصواب ، فأنتَ من أصحاب المضافات ، وهيهات أن يعودَ زمانُها ، حيث كانت الربابةُ تُداوي قلوبَ العشاق بأنغامها ومَا يقال معها .

وهكذا ياصديقي أصبحنا شكلاً بلا مضمون ، وهنيئًا

لأولئك الذين يُحافظون على نقائهم وأصالتهم ، فظلوا يؤدُّون الفعل قبل القول، ويهبُّون للنجدة كلما عبس الخطبُ لايهابون المصاعب .

النص :

دنِّي ذَلولكْ يا الغَظي وشدَّ لِشْظاظْ
واقطَعْ ثَنايا احْزونها والشَّعيبِ (١)
ونحِّ مضايِفْ حولَها النفَلْ برْياض
قَبْلِ تغرِّب شمسها لِلمَغيب
اقْري التَّحيّه وزِيدْ حِلواتَ الالفاظْ
للشاعَ الموهوبْ وَصْفٍ ونسيب
ومنْ ضامري ياصاحبي بيدَري فاضْ
والقلم يَنثرْها حروفٍ تصيبِ
طارالحمامَ اللّي علىٰ رفّنا ... باضْ
وقوطرِ يرفرِفْ فوقَ سهلٍ خصيبِ (٢)
يمَّ أبوخالد بحرْ للردِّ حفَّاظ
شاعرْلبيبْ وبينْ ربعهْ نجيبِ
ذكّرْتني بتاريخْ والطّيب فيَّاض
يروي الحكايا اللي بسمعي تطيبِ

ما أني بحال اللي على الضيم جظّاظ

صبّار لو شحّت مياه الجليب (٣)

وما أني بحال البدّل الرهو بركاض

طمّاع بدنياه ماهو أريب (٤)

وما أني بحال اليلبس الثوب فضفاض

وبيمجلس يظهر سواة الغريب

يوماً بيوم أبغي رغيفي والأغراض

فوق الندى ونهورها والصبيب

مع شوفتي رعبوبة تشفي الامراض

ولا غزال بالمشاحي عجيب

أحسد أنا طفلاً على الديد لظّاظ

ويلعب بصدر تالع يستجيب

زهر ونفل من حول نهدين باخواض

والمذلع اللي تقول صنج رطيب

صدر المها وعنق على الريم والحاظ

يا ويح قلبي ريتها من نصيب

يا صاحبي من الناس طمّاع مغتاظ

هياف مثل اعرابها بالمغيب

والبعض منهم ناكر الخير عضّاض
طبعوا عقور من بعيد وقريب
والبعض مثلك بحر للفكر فيّاض
عقل أبو خالد للمشورة رحيب
هيهات يرجع للمضافات نضناض
والفاطر اللي هي تداوي الوجيب (٥)
حياتنا يا خوي لوحة برواظ
هنيا لمن يصمد بها ولا يخيب
حلو الفعل مع سابق القول نهّاظ
عند الشدايد ما نهاب الصعيب

هاجم العيازرة

١- دني : قرب . الشطاظ وتد يوضع بين عروتي عدلين على ظهر البعير .
المغطي : الصديق الحسن الأليف الذي يغطي عن الأخطاء ولا يراها .
٢- قوطى : ذهب وابتعد .
٣- جنظّاظ : كثير التشكي ، شكاء بكاء .
٤- الرهو : من الرهوان وهو ضرب من السير .
٥- الفاطر : الربابة .

الباب الثالث

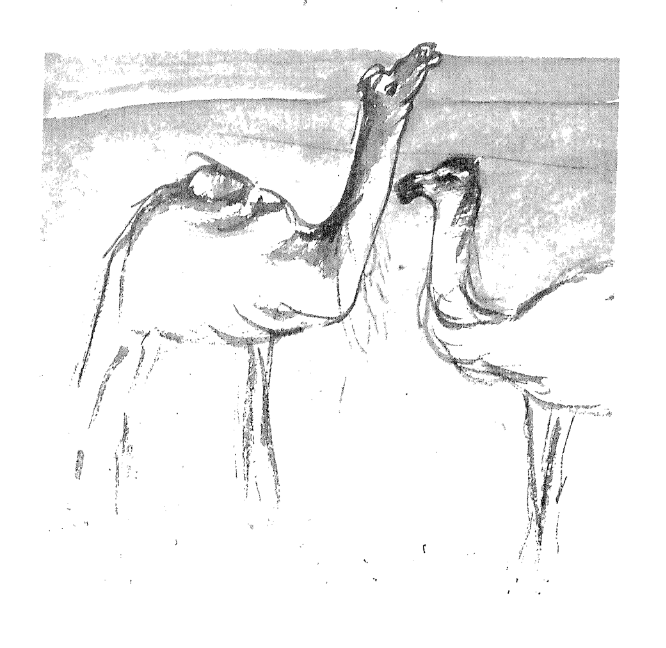
دوحة الشعراء

١- الشاعر محمود مفلح الزعبي
٢- الشاعر عازر غنيم بشارة
٣- الشاعر يوسف عويّد الصياصنة
٤- الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح
٥- الشاعر عبد الكريم الحمصي
٦- الشاعر هاجم عيازرة
٧- الشاعر محمد المغصين

- ١ -

الشاعر

محمود مفلح الزعبي



١ - شَذَرَاتُ هَجْرٍ

إضاءة على النص:

للشاعر: محمود الزعبي

جاءَ بأهله وأغنامه يَرتَعُ في مسارحه. فاستقبلَه ورحّبَ به، وأكرمَ وِفادتَه، وخالطَه فتعرّفَ على ابنتِهِ، فأحبَّها وتزوَّجَ منها، فكتبَ يقول:

هيَّأْتُ ناقةً سريعةً، ذاتَ رحْلٍ أنيقٍ وخُرْجٍ أحمَرَ، لتلفي لي على بيتٍ ذي شقين في أرضِ المشاريع بعد أنْ تناهى إليَّ خبرُ نزولهم فرحَّبْتُ بهم «بأبي سامي» على أرضنا وبينَ ينابيعنا وسيولنا وسهولنا وحدائقنا والجبلِ من منازِلنا، ووضعْتُ تحتَ تصرفهم المالَ الحلالَ والحلاَّباتِ من أغنامنا، وأفياءَ أشجارِ أدواحنا ما دام اللهُ قد أكرمَنا وأعطانا، وسنمنَعُهم بإذنِ اللهِ مِمَّا نمنعُ به أنفسَنا، وَنرقيهم بالحُجُبِ والتَّعاويذ من الجنِّ، كما منعناهم من الإنس.

ثم ينتقلُ الشاعرُ بعد هذا الترحيبِ الحارِ بالنزيلِ أبي سامي وعياله وحلالِه، ليفخرَ بنفسِهِ وعشيرتِهِ بالشجاعةِ والبلاءِ الحسن في مقارعةِ الأخصام، فكَمْ امتطوا ظهورَ الخيلِ عندَ النجدةِ دون أن يُغطّوا رؤوسَهم للسرعَةِ، وفي أيديهم البنادقُ والرماحُ اللَّدِنَةُ من الزان، فمنعوا حِماهُم من الذين جاؤوهم دارعين، فهزموهم ونالوا منهم بسيوفهم وهم يحْدُون ويصْرخون «بالشومات والحدادي».

وينتقلُ الشاعرُ محمودٌ إلى غرضه المحبّبِ إليه في القصيدة والذي من أجله يُقصِّدُ، ويُنشِدُ، ويحْيا، ويفرحُ، ويهتزُّ، منه يبدأ، وإليه ينتهي، إنَّه الجمالُ الذي يُصبيه، ويُعلِّقُه على حبال الحبِّ، والوجد والهوى.. لذا فإنَّنا نعجبُ

كيفَ اصطبرَ في قَصيدته حتّى الآن عن الهجوم على موضوعه الأصلي، الجمال !! وها هو يستسمح من ضيفه في وصف الجميلات اللواتي هيَّجْنهُ بما أَبَنَّ من مدائحهِنَّ ذات البريق الذي يخطفُ الأبصارَ، والبياض الذي يَعشيّ العيونَ، إنهُنَّ يشغلْنَ قلبَه من زمان الزمان، ويسكُنَّ فِكرَهُ وخيالَه بقاماتهنَّ المتأوِّدة وطولِهنَّ الذي يُضاهينَ به كلَّ مُرْتَبِعَةٍ أو مُصْطافَةٍ، من اللواتي يَضيقُ لسانُ البيان في قلمِه عن وصفِهِنَّ ويُقصِّرُ عن بيان جمالِهِنَّ، فهوَ كانَ ولا زالَ كلفاً بذواتِ الثنايا العذْبةِ اللواتي كثيراً ما رتشفَ الخمرةَ المعتَّقةَ الحمراءَ اللون من ثُغورِهنَّ الساحرات، يقول:

- ويا ما قطعْنا الليلَ بالسَّهر معهنَّ !!
- ويا ما ظلَّ يُراقبهنَّ النظرَ حتى مطلع الفجر !!
- ويا ما ودَّعها بدموعٍ من دم !!
- ويا ما سقاهُ الدهرُ الحلوَ والمرَّ !!

استمرتْ هذه المعاناةُ، حتّى قيَّضَ اللهُ الفرجَ ورضيَ عنهُ المحبوبُ وطاوعَهُ، وتأكَّدَ من أنَّ معاملته كانتْ حسَنةً لهم ولغيرِهم من الناس، فوثقوا به، وأسلموه قيادَتَهمْ.

ويختمُ قصيدته بعدَ أنْ نالَ كُلَّ مآربِه يرجو الرحمن أن يشفعَ له ذنوبه مستشفعاً بكلِّ من اتجه إلى بيت الله الحرام مُيمِّماً شطرَهُ.

النص :

شَدِّيتْ هِجْنٍ مْهَرْ فَلاتِنْ مَسَارِيعْ

ومِطَقْمَاتْ اخْوِجْهِنْ دِيدَحَانِ (١)

يَلْفِنْ عَ بيتٍ مِدُّو بَلِنْ بَالْمِشَارِيعْ

هَلِّي وَتَالِي اخْبَارْهُمْ والمِعَانِي

إبْشِرْ بِبُو سَامِي بأَرْضِي ومَنَابِيعْ

وجَنَاينٍ وِسْيولْ وحُلْوَ المَبَانِي

وَرَخَصْ لكُمْ حَلاَلْنَا والمَرَاضِيعْ

وشْجَارْهَا اليَاصَارْ زَلِّي عَطَانِي

إنْ سَاعَدِ الرَّحْمَنْ لِيكُمْ مَوَانِيعْ

نَرْقِيكْ مِنْ ظِيمِنٍ بأُنْسٍ وجَانِي (٢)

ويَامَا حَدِينَا الخِيلْ وِجِنَّا مَفَارِيعْ !

لِي مُوزِنٍ بِاليَدِّ والعُودْ رَانِي

ويَامَا مَنَعْنَاهُمْ وهُمَّ مَدَارِيعْ !

وسْيُوفْنَا بِيْمَانَّا لَهُ مَعَانِي

أُطْلُبَكْ تِسْمَحْلِي بِوَصْفِ المَدَالِيعْ

حِيثْ القَلْبْ مَشْغُولْ بِيهِنْ زَمَانِي

مَسْلُوبَتٍ لِلطُّولْ وسِيدَ المَرَابِيعْ

وضَاقِ القَلَمْ عَنْ وَصْفِهَا وَالبَيَانِي

كنّا لحلوات الثّنايا مَراضيعْ
مِنْ ثغرْ خمرٍ مَعتّقٍ اللّونْ قاني
وَياما سْهرْنا والخَلايِقْ مَهاجيع !
ويَاما نَطرْنا الخِلّ لَحينَ الوَذاني !
ويامَا تْوادَعْنا بحمْرَ المَدامِيعْ !
ويَامَا مُرّ الدّهرْ وحُلوهْ سَقاني !
اليَاصَار خِلّي راضي ولِيّ مَطاويعْ
وماخَافْني وَالله نَزْلٍ عَداني
واطْلُبْ منَ الرّحمْن لَذَنْبي مَشافيعْ
لِي جَاه مَنْ صلّى على البيت عَالي

محمود مفلح الزعبي
١٤ / ٣ / ١٩٩٥م

١- مهرفلات : سريعات .
٢- ظيمن : من الضيم .

٢- غريرتين على صحن داره

للشاعر: محمود مفلح الزعبي

إضاءة على النص:

نزل الشاعر ديارهم مصادفةً، فاستقبلته أمٌّ وابنتها، فصعق بجمالهن، واحتار أيهما الأجمل الأم، أم البنت! وتمتعه زينتهن الأنيق وكسوتهن الباذخة، فخط ريشة قلمه بمداد قلبه، وكتب يقول: صغيرتان غريرتان جميلتان رأيتهن بصحن دارهن كفرخي حمام يهدلان على الأغصان تطريباً وتغريداً، تمرحان بدلال لامثيل له، وبرها فتنة زائدة، بأكسية الحرير الطيلساني الذي يبرز جمال نهودهن، وهيف قاماتهن الأخاذة.

أما الأم، فهي أمينة عزيزة وغالية على كل إنسان أسعده الزمان وهادنته الحياة، حتى إنها تذهل النسّاك عن أديرة مناسكهم، والحجاج عن الاهتمام برواحلهم.

فالشفاه يضاحكن ثغراً كزهرتين متفتحتين ألقاً ونضارةً، وقامة هيفاء رشيقة لم يملك الشاعر أمام إغوائها إلا أن يستغيث بالله مأخوذاً بروعة خلقه وجمال إبداعه إذ كيف لهذا الخصر النحيل أن يقوى على حمل ثقل هذين الردفين!!؟.

أما العينان الشهلاوان المتألقتان، فمتصلتان من الداخل بسلكين كهربائيين، يبعثان أشعة كأشعة الليزر

حرارةً وضوءًا ساطعًا يبهرُ الناظرين، ويحوِّلهم إلى رمادٍ إذ يصرعُهم بالحال.

بهرَهُ جمالُها، فراح ينظرُ إليها عن بعدٍ، فتلوح له كضوءِ منارةٍ تهدي التائهين في بحار الحبِّ، ومن أجلِ ذلك سيكرِّس شعرَهُ وفنَّهُ ويخصُّها بأروعَ ما ينظم، وأعجب ما يقول، وإنَّه ليمنِّي نفسَهُ بملاقاتها ومخاطبتها، وينذرُ نذرًا لئن حَظِيَ بمحادثتها، ومحاورتها، وسماعِ أفكارها، فإنَّه سَيُحنِّي كفَّيه - وإنَّهُ فرحٌ لو تعلمونَ عظيم - فحنَّةُ الكفِّ تكون في العمر مرةً واحدةً، وهي الليلةُ السابقةُ للزواجِ الأوَّل فقط.

إذن إذا حظيَ بهرجها فإنَّه سَيُحنِّي كفَّيه، ويبذل جميعَ ما يملك رخيصًا بين يديها.

إنَّه يطلبُ من هذه الطاقةِ أن تُلاعبَهُ بصوتها الموسيقي ولهجتها الأخَّاذة، وإنَّه ليعذبها بكلِّ بيضاءَ خَطَّتْ ميل الكُحل بعينيها، وهو يرضى من الأمر أن تنوِّله أيَّةَ ثمرةٍ من ثمارها الذاتيةِ المقطوف إذا ما باد لنَّه الحبِّ.

أمّا إذا بعدَ كلِّ هذه المشاعر الفيَّاضة نحوها أرادت أن تصدَّه فإنَّ ذلك يعتبرُ خسارةً ما بعدها خسارة، عندئذٍ سينكفئُ على نفسه ويذبل جسمه ويذوب ولهًا وحسرة..

فإن كانت تخشى كلامَ العذال والشانئين، فمعروفٌ عنه أنَّه كتومٌ للسرِّ، محافظٌ على أسرار الحبِّ وشؤونه مهما لاقى في ذلك من مرارةٍ، وأنَّه يصون الوعد، ويحفظ العهدَ في كل الأحوال.

وإن كانت الأخرى، أي إن وافقته، فسيرسلُ إليها

بشارةً ويجعلُ طريقه إليها قصيداً أو موّالاً يحدو به ويُرَدِّدُه فرحاً، لأنّ الحبّ أيتها الجميلة - يتوجّه بالخطاب إليها - يحتاجُ إلى جسارةٍ وشجاعةٍ، ومن أجل ذلك يرجوها ألاّ تشدَه بالَهُ، وتحرِّكَ بلباله، وتتركه على الدروب يتلجلجُ بحيرته .. وإنْ وافته، فسيهبطُ عليها بغفلةٍ من الزمن، في حندس الليل، بغارةٍ كغارةِ الذئب، فهو إذا ما غابَ الليلُ سيجتاحُ منازلَهُم خيّالاً على متنِ فرسه ليصلَ إليها ويناَلَها

وعلى عادةَ يختمُ محمودُ قصيدتَه ولم يستنفذ أبوابَ القول، فقد بهرته تلك الحسناء بجمالها، وأذهلته، ففقدَ رشادَهُ، وظلَّ في نفسه أشياءُ لم يقُلْها، وإنّما أشار إلى شيءٍ منها: تلك الحمرةُ الزاهيةُ في خدَّيها كشقائق النعمان، وذلكَ الحُسْنُ والهَيَفُ الذي تختال به على جميع المخلوقات، فكان اللهُ في عونِكَ يا محمود !!.

الــنـص:

غويزتين شِفْتَه على صَحنْ دارَهْ

فرخَ الحمام اللّي على الغِصِنْ نقّالْ

تمرح بذَلٍ بارزاتين اصْدارَهْ

والطيلساني مِن على جِسمْها شوالْ

والأُمْ مِن مَنْوةٍ مَن سَعَدْهُم اقدارَهْ

مايةَ حَجيج ما تغنّتْ بالحمالْ

وربيطمنْ عَ الثّغُر لينَ المزهارَهْ

يا ربْ كيف الخصرْ لا ردِفها شال !!

سكين كهربْ مشعّلاوتنْ حرارَهْ

وميصهنْ بالعين يصرعكْ بالحالْ

أشوفها بالعينْ صنوّ المنارَهْ

ولا حُصّها بالشِعر مع زينَ الأقوالْ

ولكنّي احتضيتْ بهرجها والفكارَهْ

نذرٍ نحنّي الكف وارخصْ لها المالْ

أطلبْ مِن المزيونْ هرج بشطارَهْ

اليابعد بيضٍ خطّت الكحل بميالْ

أقبلْ أنا من الامّ احد اشمارَهْ

الياصارْ قلبه لي على الحبّ ماما لْ

وانْ كان تبي نصدلي ياخسارَهْ

مِن بعد ذاك الجسم ماضنٍ له حالْ

واكتمّ اسرارَ الحبّ لو بَهْ مرارَهْ

مِن عاذلي للسرّ احفظَهْ يا خالْ

لابدّ أرسل للغزيّلْ ابشارَهْ

واجعلْ طريقي للغزيّل بمحوالْ

الحبّ يا المزيون وِدَّهْ جسارَهْ

لا تْخَلّني يا زين عَ الدرب جَوّالْ

لاجيك بغفلهْ ليل كالذّيب غارَهْ

اليا غابْ نجم أَعزي المزن خيّالْ

شَقايقَ النُّعمان بخدّهْ حَمَارَهْ

والحسن مِنها على المخاليقْ يختالْ

محمود مفلح الزعبي

- ٢ -

الشـــاعر

عازر غنيم البشاره

١- قامَتْ تودِّعُني

للشاعر: عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص:

بعد أمسية شعرية انعقدت في منزل الشاعر الغزلي المبدع، محمود مفلح الزعبي «أبو منصور» حضرها لفيفٌ من الشعراء ومن بينهم الشاعر النبيه عازر غنيم البشارة، شاءَ أن يودِّع المضيفَ فأنشدَ من وحي تلك الأمسية قصيدته التالية وسماها ساعة وداع تُقدَّم للشيخ «أبو منصور» محمود الزعبي المكرَّم مع الحب. تحدث فيها عن لَحظات الحب الحاسمة في حياة العشاق، وكيف عانقتْ كفّاه كفَّ المحبوب ساعةَ الوداع حيث توقَّفَتْ عقاربُ ساعة الزمن وتجمَّدت كفّاه على كفِّ المحبوب. وحين استفاق من سفره السرمدي في تلك اللحظة، ضربَ كفًّا بكفٍ وتهاطَلَتْ دموعُه وعيِيَ دمعُها أن يكفَّ، هذه الكافات المتلاحقة في البيت الأول والثاني تدلك على صدق الأداء لدى الشاعر ونقل الصورة المشتعلة في وجدان الشاعر وضميره.

ثم ينتقل للحديث عن الحسود الشانئ في كل تجربة حُبٍّ يرجوه أن يكفَّ عن اللوم والعذل، ألا يكفيه ما يُعانيه من تجنّي محبوبه وقسوته وفراقه!! وهو لا يرضى بغير محبوبه بدلاً، الذي يأسره بقدّه المَيَّاس وبسامته الرائعة.. ثم يغرق الشاعر في وصف ذاك الحبيب الذي تكفي إشارةٌ من حاجبيه حتى تُدخِلَ الشاعر إلى الجنَّة، وأما التنهيدةُ الشبيهةُ بالرمان باستدارته وصلابته فتطفئُ ألسنةَ النيران اللاهبة في أحشائه،

أمّا روعةُ شلالات الليل المنسدل على كتفيه حتى ردفيه، وصدره العامر الآسي للقلوب، والطرف الناعس بأهدابه الطويلة، ففيها العلاجُ وعودةُ الروح.

ثم يلجأ الشاعر بعد ذلك الى صديقه أبي منصور لأنّه ملاذُه الوحيدُ وهو لا يرغبُ بغيره، لأنّه الوحيدُ الذي يستوعبُ معانيه ويقدّر شاعريته ويحكم له برأيه السليم في حبّه وهواه، ثم يختم قصيدته بالتأكيد على دور الحبّ في حياة الناس الذين إذا تعدّاهم فقدوا الحق في العيش، ويتمنى الشاعر أن تُدرج حياته في كفنٍ واحدٍ متوسدًا صدرَ الحبيب، إذْ لا حياةَ بدون حبٍ وأحباب ولا سعدَ إلاّ بأحضانهم، ثم يُصلّي على النبي خاتما بذلك قوله.

«ساعة وداع تقدّم للشيخ أبو منصور محمود الزّعبيّ المكرّم مع الحبّ».

النص :

قَامَتْ توَدِّعْني ومَدَّتْ لِيَ الكَفّ
ويبِسْ عَلى كَفّ المَوَالِيفْ كَفّي
ضَرَبْتْ كَفٍ بكَفٍ والدَّمِع ماكَفّ
وعَامِينْ دمعَ العينْ عَيَّا يكُفِّ
ياعَاذْلي ياشينْ إعْنَ العذلْ كُفْ
وَاللّي يْجيني مِنْ فْرَاقَهْ يكَفي

لَوْ تِنْجَمْعْ كلّ الغَنادير بِالصّفْ
يا غير حُلْوَ الطّولْ مَاهو بشّفي (١)
يومًا بَدالِي بالرِّضَا وحَاجِبَهْ رَفّْ
مِنْ شُوفْتَهْ نيرانْ قَلْبي يطفّي
ونِهيدْ كِنّه فَقْعْ رُمَّانْ وَأَلْطَفْ
وإجْعيدْ مَلْوِي لِي مَلْفُوفْ لَفّ (٢)
كِنّه حَنَشْ فِي رَعْةِ الشّمس يِلْصِفْ
مِتْحَكّمٍ مابينْ كِتْفٍ ورِدْفٍ (٣)
والصَّدرْ قُولْ بقُدرةَ اللّهْ مَصْحَفْ
بَهْ سِرْ لقْلوبَ العَشاشيقْ مَخْفي
والطَّرْفْ نَاعِس فيه سِحْرٍ مَهَفْهَفْ
وبِقُدْرةَ الرّحمنْ عِدَّهْ يَخفّي
لَحْظَهْ يِرُدَّ الرّوحْ مِنْ بَعد تِتْلَفْ
فِيه العِلاجْ اللّي مِنَ الموتْ يَشْفي
مَالِي بَبو مَنْصورْ مَعْ غيرْكُمْ شَفْ!
يا فَاهِمَ المَضْمونْ فِهْمَكْ يكفّي
أَحْكُمْ بْرَأْيَكْ يالَجِيَ الخيرْ وأَنْصِفْ
بَحْرَ الهوى مَنْ قَالْ يومٍ يِجِفّ؟ (٤)

لا عَاشْ رَجْلاً عَنْ حبيبَهْ تِنَكَّفْ
مِنْ جَاهْ غيرَ حْبَيِّباً لَهْ يِلفّيْ

يَاجْوَادْ عَقْلي يَوْم شَافْ الحِسنْ خَفْ
يارَبّ تِطّوِي مَعْ نهيدَهْ مَلفّيْ

وَمَا ارِيدْ عُمرًا كلَّ يُوم يِتحَسَّفْ
والسّعْدْ مِنْ دونْ الحَبايِبْ مْقفّيْ

وصَلّوا على مَنْ بالنُبُوَّهْ موَصَّفْ
طَهَ نبينَا فَايِقٍ كُلّ وَصْفِ

مع تحية الشاعر عازر غنيم البشارة
درعــــا

١- الخنادي: الجميلات من الصبايا. بشّفي بمعنى رغبتي، أرغب.
٢- فقع رمان: كناية عن بداية استدارة رمان الصدر.
٣- روعة الشمس: شدة حرارتها.
٤- لجيّ: صاحب، موطن، محل.

٢ - حَيِّي القروم اللِّي لَفونا مَسايِرْ

للشاعر: عانر غنيم البشارة

إضاءة على النص:

استضاف الشيخُ محمود مفلح الزعبي أبو منصور لفيفاً من شُعراء درعا في منزله العامر بالمادودة ذات مساء.. فرحب بهم، وذبح، وأولم، وعزم..

وخاطب أبو منصور الشاعرَ عانر غنيم البشاره ورجاه أن يقول بهذه المناسبة الكريمة قصيدةً تعبِّر عن لسان حالــــه.

وفي اليوم التالي وجَّهَ الشاعرُ قصيدَته التاليه: فيُحيي باسمه الضيوفَ الذين لَفوا عليه أجملَ تحية، ويرحِّبُ بهم.

ثم يطلبُ من أبي منصور أن يقريهم بأجمل القرى، وهل هنالك أجمل من القصيد؟ فليقصدْ لهم، فهم يستحقون القصيدَ وهم أهلٌ له، لأنَّهم من الذين يحفظون الودَّ ويكرمون الصديقَ وهي سجايا توارثوها عن أُصولهم وليسوا جديدين عليها حتى غدت من طباعهم وسجاياهم

ثم يتحدَّثُ عن صفاتٍ وسجايا تمسُّهُمْ لينقلَ بالحديث عن أبي منصور ويخاطبَه بقوله: أنتم من مشاهير القوم، ومجالسكم مدارسُ يتعلَّمُ فيها الناس ويستفيدون. وأنتم كرماء تقدِّمون الذبائح للأضياف ممَّا يبقى أمام بيوتكم لهذه الغاية، وتجرُّون المناسف المثْقلَة بالزاد دون حساب، وبكم يشدُّ المرء

أزرهُ عندَ الضيِّق فيختارُكم من بين جميع العشائر والقبائل.
وهو أي الشاعرُ لايتركُ معاشرةَ أمثال أبي منصور مهما عُرِضَ عليه من غالٍ ونفيس، لأنّه لايسعدُ إلّا مع من هم على شاكلتِه، لذا فهو يطلبُ مِن الله أنْ يَقيَهم من الأشرار ويرفعَ شأنَهم ويعليَ راياتِهم، ويختمُ قصيدتَه بالصلاة على النبيِّ العدناني الذي سيشفعُ لهم يومَ لاينفعُ مالٌ ولابنون.

النص:

حيِّ القروم اللّي لَفونا مَسايِيْر
حَيّاهُم الله مِن قريبٍ وبعيدِ
حَيّاهُم الله عَدَدْ ماسَبَّحَ الطيْر
يَجْواد هذا اليوم عيدٍ سَعيدِ
اقْصُدْ يَبو مَنصور مالَكْ مَعاذيْر
جَماعْتَكْ يِسْتاهَلون القَصيدِ
أبْشِرْ بربعٍ جوكَ ووجوهُهم خِيْر
هَلِّي عوايدْهُم كِرام الوَديدِ
يِتْوارثون الطيِّبْ ماهو عن الغيْر
دَربِ المكَرم ماهُو عَليهم جَديدِ
الطِّيب ياصاحب سَلايِل وتِقْديْر
مِثل الفَرق مابين عَبْدٍ وسيدِ

والرَّجل لاجيته به العلم ومشيرْ
ندِيٍّ وَجْهٍ مِن ربوعَه حَـميدِ
غير البخيلَ اللّي حياتَه بتقْتيرْ
هذاك عدّه من عبيدِ العَـبيدِ
ياشيخْ أبو منصورْ أنتُم مَشاهيرْ
والرَّجل في مِجلاسْكُم يِسْتَفيدِ
ذبَّاحةَ الحايلْ بوَجْه الخَطاطيرْ
هِيلَ المراتِبْ مِن عقيدِ وعَميدِ
عاداتكُم بالطيبْ جَزْلَ المقاصيرْ
لاجَا منَ الضِّيفان فوجٍ جَديدِ
يتواردوكُم مِن بعيد المشاويرْ
فوقَ الخيول مطَبَّقات الحديدِ
وجرّ المناسِف بين جَمْع المساهير
قطّاب يِسمع له رزيز وهَويدِ
اللاّزمَه ماتحسبوا له مَخاسيرْ
مَرامكُم كسَب المقامَ الحَميدِ
رَبعي الياجدّتْ عَليَّ التّقادير
الكلّ مِنهم بالمِضيقَه عَضيدي

لَو أعْرضُو لِي منَ القبايلْ جماهيرْ

مالِي على مَعشَرٍ ربُوعِي مْحيدِ

ولو تحصلّي من المكَاسِبْ قَناطيرْ

مِن دونْ خِلّاني فَلا نِي سَعيدِ

يا الله تقَاهُمْ مِن عَدّوٍ وشرِّيرْ

ما غير بابك بابْ وانتَ الوَحيدِ

ياحاميَ الدُّنيا بحِلْم وتدْبيرْ

إرفَعْ لوَاهُم فُوق أعْلى صَعيدِ

وصَلّوا على العدنان ياسُرْبَةَ الخيرْ

عَطْفَه عَلينا يومْ فكّ الوَصيدِ

عان رغنيم البشارة

٣ - ظِلنا على العَهدِ باقين

للشاعر : عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص :

هذه قصيدةٌ مهداة للشاعر محمود الزعبي من صديقه الشاعر عازر بشارة يُعاتبه فيها عن تخلُّفه مدَّةً عن زيارته ، و يتساءل بحرارة : ما الذي غيَّرك يا سيِّدَ المحبِّين ؟

ويخشى الشاعرُ وشاياتِ الحسّادِ والشانئين الكثيرين أنْ تكونَ السببَ في تغيُّرِه ، ويبرِّئُ نفسه من كل ذنبٍ يُنسب إليه ويطلبُ منه أن لا يتعجَّل الحكمَ عليه ، فهوَ باقٍ على العهدِ حافظٌ له ، ثم ينحو باللائمة على الحواسد ويُحمِّلُهم معرَّةَ ما قد حصل ... ويحصل ، ويثقُ أنَّهم بالنهاية سيكونونَ من الخاسرين ، ويُقسِمُ على ذلك ، وبأنَّهم ليسوا مُسلمين .

وينتقلُ بعد الأبيات الأربعة الأولى من العتاب والشكوى ليستذكرَ أيامَ تعارُفِهم الأولى ، ويطلبُ لها السُّقْيا والرُّعْيا ، ويذكر الأيَّامَ التي كان يشكو إليه فيها حالَهُ ، فيُواسيه ويُخفِّفُ عنه ، ثم يتبادلان الشكوى ويتشاركان في البكاء والأسى حينًا ، والضَّحِكَ والسرورَ أحياناً أخرى كالمجانين ، أوليس العشاقُ المعاميدُ كلُّهم مجانين بهواهم .

ثم يتحدَّثُ عن أحوالهم كعاشقين مُدنفين ، فعينُه تَهِلُّ الدمعَ ، وعينُ الآخر كذلك ، ويغفو على نهدٍ تختلطُ فيه القساوةُ مع اللين ، وما أكثرَ ما قتلَهما العشقُ ، فماتا ، وطافت

حولهم جموعُ المصلّين على الجنازة ، ثمّ عادا حيَّين ! وكمْ طوّحت بهم الصبابا بين عطورِ الأورادِ، وروائح الياسمين! وما أكثرَ ما رووا ظمأهم من المباسم العذبةِ ونهلوا من نبيذٍ أسكرهم قبلَ أن يعرفوا السُّكْرَ ! وما أحلى أن يُعاني العاشقُ سكراتِ الموتِ في حضنِ حسناءَ فرعاءَ بضّةٍ بيضاء، فما أتْيتها من ميتَةٍ. ويُصرّحُ بأن العمرَ غبينةٌ بدون حبٍّ، فما حياةُ المرءِ بدون مُحِبِّين؟ فهو عندئذٍ يقضي ليالي عمرٍ بدون معنى وبلا زينة ، فأينَ منها ليالي العشق وحلاوة سِنِيه ؟

وهو يدعو اللهَ أن يعينَ مَن حرموا العشقَ في حياتهم لأنّهم ليسوا أحياءً ، ويشتمُ هذا العمرَ الذي يمضي بلا معنى ولا مضامين • فهوَ يلزمُ السكينة إذا ما اشتمله الليلُ بظلامه ، وإذا انبلجَ الفجرُ ركبتْهُ الوساوسُ ، ومن أجل ذلك يطلبُ من الله المغفرةَ له لِمثل هؤلاء ، ويتمنى لهم أنْ يُسهِّلَ اللهُ أمورَهم ويعفوَ عنهم ، ويخفِّفَ من ذنوبهم بحق أنفسهم فالإنسان يخطئ في كثيرٍ من الأحيان سهواً ، ويختم قصيدته طالباً من سامعيه أن يصلّوا على النبي المختار وطه، الذي سيشفعُ لنا جميعًا ساعة يُنصبُ الميزان يوم الحشر والدين.

النص :

يا صاحبي لك مدّةٍ ما تجينا
وشْ غيَّركْ يا سِيْدْ كلَّ المحبّينْ

وإنْ كانْ تِسمَعْ كلّ ما قيل فِينا
حُسَّادْنا لاهُمْ بواحِد وَلا اثنينْ
وشْ ذَنْبنا ياصاحْبي، وشْ جَنينا
لا تِعتَجِل حِنّا على العَهْد باقينْ
نَرَىْ الحواسِدْ كلّهم خَاسرِينا
أقسِمْ لكُم بالله ماهُمْ مِسلمينْ
لا يا سَقاالله يوم فيهِ التَقينا
وأشكي لكُمْ بِالحال وانت تواسينْ
ويَامَا تَشاكينا ويامَا بكينا!
ياصاحبي مَحْلا حياةَ المجانينْ
نِضْحَكْ ونبكي عِدّنا ما شَكينا
وعيني تِهلّ الدّمعْ وانتِ تِهلّينْ
أغْفو على نهدٍ سْواةَ العجينَهْ
مِتْخالْطٍ فيه القسَاوَه مَعَ اللّينْ
ياكُثْر ما مُتْنا اثنين وحَيينَا
ومِنْ حُولْنا طافَتْ جموع المصَلّينْ
بينَ العُطور وريحَةَ اليا سمينا
ويامَا رَوينا منَ المَبَاسِمْ غليلين!

يا مَا سْكِرْنا مِن النَّبيذ الْهجينا

ومن قبلْ ما نعرِفْ نبيذْ المهاجينْ

يا حُلو سكرات المماتْ و يا لِينَه

بحْضان بيضَهْ من الطْوال المزايينْ

العمُر مِن دون الحبايِبْ غَبينَه

شْنَهِي حياةَ الرّجِلْ مِن دون غاليْن

يقضي ليالي العُمُرْ مِن غير زِينَه

وِين الليالي وِين حُلوات السنينْ

مَحروم مِن دِنياه رَبّي عَوينَه

أبوكْ يا دورًا بْلَيَّا مَضامينْ

لاجَا ظَلام اللّيلْ لِمْ زَحَم السَّكينَه

وإنْ باحْ نور الفجرْ جَتْهَ الونَاوينْ

يا الله تِغفِرْ ما عِلِيهْ وعَلينا

يا خالْقي عندَكْ كُثرَ التهاوينْ

أنتَ الذي بْغِزامْهُمْ مِبْتَليْنَا

وذْنوبْنا فاقَتِ اقدارَ الموازينْ

مِنّا الخطايا يا كُثُرْ ما اخْطينا

وحِنّا عنِ الزّلّاتْ ساهينْ لاهينْ

وصلّوا على المُختار طَه نَبينا
يشفَعْ لَنا في ساعةَ الحَشْرُ والدِّينْ

عازر غنيم البشارة



٤ - خطاب مُهدى إلى الأصدقاء الكرام

للشاعر: عازر غنيم المبشارة

إضاءة على النص:

عازر غنيم بشارة يحبُّ الناسَ، والناسُ يحبونه لخفّة دمه وطبعه السهل اللين، وكثيراً ما يُشيدون بروحه المرحة، ولسانه العذب، فيطربُه المديح، وتستدرجُه الكلمةُ الحلوة.

وقال من قصيدة يفتخرُ فيها بنفسه وبخصاله الحميدة، وتجربته العميقة في الحياة، كيفَ لا وقدْ جاوز السبعين من العمر ويذكرُ من تصاريف الحياةِ وأحداث الدهر حِكَماً اكتسبَها ويودُّ لو يتعظُّ بها الآخرون. فقال:

النص:

يا ذيبْ هَاهَا وصِّلِ العِلِمْ مِنّي
ودِّيه هَيلَ العقولَ الفَريدَهْ
وصِّلْ خْطابي للرَّبعَ لا توَنِّي
عَسَاكْ تِلقَاهُم بحالهْ سعيدَهْ
معروفَ أبو عدنان شيخ مسِنّ
مثلَ الصقرِ لأهدّ كِنْ جابَ صيدَهْ

وِاسأَلْ هَلَ التقديرْ والعِرفْ عَنّي

تِلقى مع الهفَوى اعلومًا تريدَهْ

بَعدي قويًّ الباسْ ما غيّرِني

سودَ الليالي والعهودَ البعيدَهْ

عَزمَ الشباب بداخْلي مِسْتِكنّ

والنفِسْ ما ترضى التهاوُنْ عنيدَهْ

ماني بهيّاب ولاخابْ ظَنّي

دَرْبي سدادْ وثابتٍ بالعقيدَهْ

أَصْبِرْ على الأيام وأَضْحَكْ بسِنّي

والرّجِلْ بالضّيقات يظهرْ رَصيدَهْ

لاعاشْ مَنْ يقضي حياتَهْ تَمَنّي

كثْرَ التماني بالعُمُر ما تْفيدَهْ

ياصاحْبي انْ غَنّا لكْ الدهرْ غَنّي

تَرى السَعِدْ ينحاشْ مِثْلَ الطريدَهْ

وإنْ كانْ عندَكْ حَاجةً لا تْوَنّي

ما خابْ رَجلاً عالَجِ الأمُرْ بيدَهْ

واضرِبْ بسيفِ الحقّ ثَلّثْ وثَنّي

وانْ رِدتْها عالهونْ هَذي بعيدَهْ

وِاحْرَصْ تعيلْ وتفْتَخِرْ بَالتَّجَنِّي

الظُلْمْ ماهُو منَ الصِّفاتِ الحميدَهْ

مِن خاطْرِي أُعطيكْ بِسحْري وفَنّي

عَساكْ تِذكُرْني سنينٍ عـديدَهْ

عالِجْ همُومَكْ بالصَّبُرْ والتَأنِّي

تَرَى السَّهرَ يِضْني القلوبَ الشديدَهْ

وَامسَحْ بمنديلِ الأمَلْ كل ظَنّي

تِدْخُل على دِنياك دِنيا جديدَهْ

تَصْبِرْ لو حروفَ الليالي رَمِنّي

ياذيبْ ماكُلّ الليالي رَغيدَهْ

العَفُو سيِّدْ والتَّشَفِّي تَـدَنِّي

مِثْلَ الفَرقْ مابينْ عَبْدٍ وسيدَهْ

هَاذي صَواديف الدهُرْ عَلَّمِنِّي

مِنْها قوالْ مسَطَّرَهْ بالجَريدَهْ

وِشْرِبْت صافي وَالعكَرْ وَرِّدِنّي

والأمُرْ لِلّي مالْكَ الروحْ بيدَهْ

وصلّوا على العَدْنان مع كُلّ مَنْ

فرضٍ على الأيامْ لازِمْ نعيدَهْ



العينْ ما جاها الغَفا

للشاعر: عازر غنيم البشارة

إضاءة على النص:

اكتوتْ أحشاءُ الشاعر بلوعة الحبّ وعيّتْ عينُه أن يغمض لها جفن، فبات مسهَّداً يرعى نجوم السماء، ويخاطب عيونه التي لا تُطاوعه فتغفو قليلاً، ويسألها عن سبب بكائها فتجيبُه: ارتحلَ المحبوبُ مع أهله مِمَّا فجرَّ أنهاراً من الدموع حُزناً لفراقه. وانتقلَ يُسائل طيورَ السماء أن تنقلَ سلامَه وأشواقَه لذلك الحبيب الذي ارتحل، وربَّما أنسَتْه الغربةُ هواه، فأنشدَ يقول:

النص:

العينْ ما جاها الغَفا أمْس واليومْ
يومينْ عيّتْ لا تْوالِفْ كَراها
تِعطي عَطاها ومذنب الجفنْ مخمومْ
تِدمَعْ ولاني عارفْ وِشْ بَلاها
وقلبي عَثير وضاربات بَهْ همُومْ
مِن واحدَ اللوّعات يِجْري وراها

قلت : اخبري ياعينْ وشْ عِندِكْ عْلُومْ
ما تعلّميني ما تفيدكْ بَكاها
قالت : عَديلَ الرّوحْ ولّوابَهْ المقومْ
وإقّفا تِقُلْ طيرٍ كَفَخْ في سَماها
وظلّيتّ وَحْدي بين كِثْبانْ وحزُومْ
وضاقَتْ عَليَّ فجُوجْها مَعْ فَضاها
وضربتّ كَفّ بكفّ والقَلْب مَالومْ
ما اشُوف حُولي مَن يلبِّي نِداها
ياطيرْ يَلّي بالسّما تِدْرِكْ الحُومْ
ودّي تْجِدّ السّيرْ يا طيرْ هَاهَا
خِذْلي سَلامًا مِن مَظاريفْ مَختومْ
أَيّاتْ دِيرَهْ اليا بَغيتَهْ تَطَاها
سَلِّمْ عَلىٰ خِشْف منَ الحُسْنْ مَوسومْ
مثل الغَزَلْ مضَمَّراتٍ حَشاها
عَساه ما هُو مِنْ مَواليه مَظْلومْ
وداعَتَكْ يامُستَجيبٍ دُعاها
كِنّه بَدُرْ والبيضْ مِن حُولَهْ نجُومْ
تمشي على هُونٍ تْقيلٍ خَطاها

كان الولف قفّا ترى البيتْ معدومْ
وين الذي يرجعْ لعيني ضيْاها
والقلبْ به هوجاسْ ماهو بمفهومْ
كلّه رطينٍ ما فهمْنا لغاها
كيفْ البُصرْ يجواد ماينفعَ اللّوم !
يامَن يقلّي علّتي وشْ دَوَاهَا
ياصاحْ لاتعذلْ ترى العذلْ مَذْمومْ
مِن بَعْدهمْ مَبْغىٰ حَياتي بَلاهَا
واللّي كَتَبْهَ اللّهْ عَالعَبْدْ مَقْسومْ
مَرحومْ يا قَلباً يتحمّلْ غَثَاها

عازر غنيم البشارة

- ٣ -

الشـــاعر

يوسف عويد الصيامنة

١ـ قمْ يا جشمْ

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنه

إضاءة على النص:

الكتابةُ ليست فنًا، ولا القلمُ والمنونُ هدفًا، ولا الأبجديةُ سُلَّمًا ترقاه إلى السماء لتعانقَ الأمثلَ والأفضلَ والأجملَ.

أبدًا. أبدًا... هي وسائلُ للهروبِ من الضيم، من الجراحات التي تنزُّ قيحًا ودمًا، هي هروبٌ من الذات، من وساوس النفس، من زنزاناتِ الروح الحبيسة... فهل يا ترى تستطيعُ الأقلامُ والقراطيسُ أن تعيدَهُ من منفاه؟ تعيدَ إليه أمنَهُ وطمأنينتَه؟ لا. لا أعتقد ذلك، إلاّ إذا كانتِ السباحةُ تطفئُ غُلَّةَ الظمآن.

ما دامَ الأمرُ كذلك فليسلِّ النفسَ بحبٍّ ناعسِ الطرفِ، وليسجنْ نفسَه ويُقيِّدْ روحَه بسجنِها وسلاسِلِها، على اعتبارِ أنَّه على الأقلّ يختارُ سجنَه وسلاسلَه بنفسِه، أوَليستْ هذه جريمة مع وقف التنفيذ؟.

هكذا يُشعِلُ الشاعرُ النارَ بثيابِه، لا كبروميثيوس الذي أشعلَ نارَ السماء، ولا كنزارِ قباني الذي أشعلَ النارَ في ثياب الناس... هيّا معي ندخُلُ بواباتِ القصيدة لنتفرَّجَ كيفَ يشعلُ الشاعرُ النارَ في نفسِه التي باعَها غاليةً في سماء الحبِّ والعشق.

تُعاوِدُ الصحوةُ الشاعرَ قبلَ نهايةِ القصيدة، بعد أنْ أدركَ أنَّ هذا الدرب ليس دربَه، ولا عقيدتَه، فيصرخُ مُستنجِدًا بصديقِه «علي» ليطلعَهُ على ما آلَ إليهِ، وليكونَ شاهدَ صدقٍ

على دخيلته التي تُخالفُ ذلكَ . فيصحّحَ مسيرتَه ، ويعودَ إلى عقيدته ، إلى إيمانِه ، وحُلمه بحياة أفضلَ له ولغيرِه من الناس ، فيقول :

النصُّ :

قُم يالْحِشِمْ هَيِّ القلَمْ والقَراطيسْ
بَلْكي عَ مَطَرْ الشّوقْ تِهْجَعْ جروحي
عن بُعدْ هَوجي مِثل هَوجْ المحابيس
يا بُعدْ روحي ضاقْ خُلقي وروحي
ومن قَبْلْ قالوا ؟ والقصايدْ نَواميس
«ماينفعَ العَطْشانْ كِثْرْ السّبوحي»
أُشكي البُعدْ ، كِنَّ البُعدْ بيضةْ ابليس
تِفقِسْ بصَدْري ، مْوَنْوَناتٍ قْروحي
سَمْرا رَهيفَهْ تِسْجَنْعْ بالنّواعيس
وتعقِلْ ذَلولَكْ بالْوَمَا ! . مايْروحي
أَسلَمْ حلَقْها ، وينْطَربْ للنّواقيس
لو طالْ مَهما طالْ ، دومَنْ يلُوحي
سمرا بَها عيبين : طولَ المناسيسْ
«تِمشى بْنُودَهْ» وبِالعِشِقْ ما تْبوحي

لو مرّتْ بْجيلانْ غبْرا مَتاعيس

تِنْهِرْ بِعونَ اللّهْ «وعطْرَهْ يفوح

هَوْجَهْ ريحْ موشّحَنْ بالفَوانيس

بِتسكِنْ حروفه بالحشَا ، تفيضْ بوحي

دافي حُضِنْها ، وللحَلَقْ في هَساهيس

وللخِصِرْ وَنَّه ، وللشفايِفْ صُدوح

بِنسهَرْ سوا بالليلْ حِجَّهْ بتِقْديس

وانسا هَرَ السّهْرانْ اليامَا تْلوح

كُنّا عَ كيفَ النّاسْ خوفَ الدّواسيس

واليومْ صارَ الشّوقْ عاكيفْ روحي (١)

عَ الميسَري مورِدْ غنمهُمْ معَ العيس

واليوم ما أدْري وينْ صاروا انْزُوح (٢)

فوقْ ضَعْنّا حدودْ وجنودْ وابليس

الخطّوصُورهُم عَ الورَقْ عَ السطوح

حدودَ السياسه تِيبّسَ العودْ تِيبيسْ

وِتقطَعْ شْرُشْ لِبلادْ من كلّ سُوح

ياعَلي وينَ شيوخْ سودَ المحاميسْ

يْغَذّوا نْفَلْ ذِرعاه يْعَشّوا طْلوح (٣)

منَ ارضِ «الخواني» للجزاير لابو ديس
لارض الجزيره اتشدّ وِنْ ردِتْ سُوح (٤)
قفّاضعنهم بالممالك محابيس
وصار الورقْ مِرسال، وغمقت جروحي
وشلونْ بِدْنا انْجلّس السّعدْ تجْليس
وفيدا تْهاهي، والمنايا تجُوحي (٥)
يكْفي هرجْ ياهل الوفا والنّواميس
هذي حياة النّاس، ماهي مْزوحي
كِنّي بقبْري، لو كُنتْ بالفراديس
من غير شمّةْ قُذلْته ع الصّبوحي

يوسف عويد الصياصنة

١- الدواسيس: مفردها داسوس، وهو المخبر الذي يتجسس على الناس.
٢- الميسري: نبع ماء شرقي درعا، ترد عليه الأغنام والطروش، وقد غُمِّر بسد درعا هذه الأيام.
٣- علي: هو علي المصري صديق الشاعر وجيه.
٤- الخواني: اسم مكان يقع جنوبي درعا.
٥- فيدا: اسم لأنثى يُتشاءم بها.

٢ - شَوفُ الوِلفْ

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

إضاءة على النص:

يريدُ الشاعرُ يوسف عويّد الصياصنة أن يحدثنا عن لوعة رؤية المحبوب مهمومًا، فهذا أمرٌ أكبر من أن يُحتمل؛ إذْ يشغلُ المرء عن تناول الطعام، ويعصفُ ذلك فيه فينسيه فروضَ صلاته وواجباته الدينيه والدنيوية. ورضاءُ الحبيب وزوالُ الهمِّ عنه مُتعةٌ لا تُعادلها مُتعةُ التدخين والقهوة المُبهَّرة التي لا تحلو إلاّ بصفاءِ خاطر المحبوب - لأنَّ العشقَ ومضةٌ تمرُّ في حياة المرء قلّما تعودُ مرّةً ثانية، فهنيئًا لمن يُدركه العشقُ في سنٍ مُبكّرة، لأنَّ العمرَ قصيرٌ وفرصٌ ساعات، وأحلامٌ ورديةٌ وقصورٌ تُشادُ بالخيال، والخاتمُ من استطاع أنْ يُفنيَ نفسَه سعيًا وراءَ المحبوب والمبيت على أعتابه لا يُشركُ به أحدًا. جميل أنَّ أغنامك بالمرعى، وليس جميلاً أن تعشقَ إلاّ بالمفرد الأحد. والعشقُ لا يمرُّ على الناس إلاّ مرَّ الكرام، وأحيانًا تحلُّ الرّحال بمرابعه عند ذلك يشعرُ الشاعرُ بأنه تورَّطَ في هواه فيبثُّ شكواه إلى صديقه علي المصري، قائلاً: إنَّ العِشقَ يُشعِلُ صدره من الداخل كما يُشعِلُ الزنادُ الفتيلةَ، أو كما يُلهبُ الطلقُ الناريُّ جوفَ المُصاب.

هذه هي حالُ المحبين على دروب العِشق مصابٌ، وعليلٌ ومجروحٌ، ومشتاقٌ، ومسهّدٌ، وسابقٌ للنجم، ومغنٍ يسري على نجومَ السماء حتى يسبقَ الريح، لعلّه يحتضنُ أغمارَ الجدائل

المنسابة كما جداول الليل ويضمها إلى صدره ويفرك وجهه بذوائبه حتى تفوح رائحته المعطرة الشبيهة برائحة خبز الصباح على وقود نبات الوسبة أو على زهر الكباد أو الزعتر البري والمختلط بالشيح، أو بنّ اليمن الذي يحرق في المحماسه حين تلفحه النار بهدوء... هذه هي سيرة العشاق على دروب الشوق لابد أن تعلق بهم الأشواك.. ثم يصف لنا محبوبته بأوصاف فيرفعها فوق العباد، وأنها مصدر كل خير وبركة على الناس. تومئ مرةً وتصرح مرةً أخرى حتى يزداد اشتعال أشواقه كلما حاول إطفاءها، ويفاجئنا الشاعر أن كل ما قاله ليس إلا حلماً، يصحو منه والتشهد على لسانه، والنغيم على أجفانه.

النص:

شوف الولف مهموم يشغل عن الزّادْ

يشغلْ عن فروضِ الصّبحْ والتّراويح

هُو والتّتنْ والهيلْ للكيفْ يِنْزادْ

وخَتْمَ العبادةْ دايمًا بالتّسابيح

والعشقْ هفةْ طيرْ وظنونْ تِنْعاد

ومَبْحوثْ يللّي يدرْكُو منَ التّصابيح

تركْ الهموم شُوماتْ، وقصورْ تنْشاد

والفايزْ اللّي شالْ قلبو مَعَ الرّيح

وقوطَر ورا المحبوب بركاب وشدادْ
ونوّخ ذَلولو بابْ بيتو وَلا يريح
حُلو الطَّلي بجوازْ، والعشق بفرادْ
ومَنْ دوّر للتنتين ضاق التّباريح
يعُو العشقْ عَ النّاس مرّات وَرّادْ
يُوكي الروايا عَ الهوى وبعدها يزيح
وتقْدَحْ بصدرَك يا علي فتيلْ وزْناد
ويشْعلْ ذخيره يفجّ بكْويكْ وتصيح
ياما على دروب الهوى ناسْ وعْباد!
فيهم عَليل نحيلْ وفيهم مجاريح
وفيهم يغنّي للهوى بشوق حَصّاد
يحاطي النجم، تا يسبق الغيمْ والريح
غِمْرْ الجدايلْ يجْمعو بشوق منْقاد
ويُفرك حْفافو، ويلْمو، رحتو تفيح
وَسْنِهْ، خُبزْ عَ الصّاجْ، مع زهْرْ كبّاد
وزعْتَرْ شعيب، مبهّرْ بزهرة الشّيح
بنّ اليمنْ عَ النّار عرقان منْكاد
ومن كِتْر همّو تلوّحو النّار تلويح

وعِشقي عقدْ الشّوقْ والشّوقْ بالكاد

يُتْركْ وَردْ غَويانْ مِنْ غير تِجْريح

عِشقي عَنودْ، بنَظرتي، فوق العباد

الطّولْ واسِطْ، ترسلْ الهرجْ تِلميح

حُرَّه، جفولْ، معزّزه بجال منحاد

تومي، وينْهلّ المطرْ بيتَلي السّليح

ويفيضْ عاكلّ النّواحي والبلاد

تا يرْعَل الشّموخْ ويلاعْب الرّيح

لِسهَرْ، نسولف، خِبْرةَ البنّ تِنْعاد

وتحكي صَبيّ العينْ مِنْ غير تصريح

يطفّي النّفسْ، جمرةَ الشّوقْ تِنقاد

ومِنْ غادْ، جوّات الحلم صُبحنا ريح

ولحظاتْ مابينَ الخفا وعزّ الرّقاد

نُعبرْ بهنْ جنّاتْ نِقطِفْ تَفافيح

ونفيقْ، مانِدري الحلمْ قَلّ أوْ زاد

شوفَ الحبيبةْ فوقْ كلّ التّلاميح

يوسف عويّد الصياصنة

٣ - تطراع بالي

للشاعر: يوسف عويد الصياصنة

إضاءة على النص:

هذه خاطرةٌ انتقادية يصبُّ فيها الشاعرُ يوسف عويد الصياصنة جامَ غضبه على أوضاع الحاضر المرّ وما يحتنُّ فيه من أوحالٍ واستخذاء ، ويؤرّقُه موضوعُ الزمن، فيحسُّ به إحساساً مريراً ، وما ترديدُه لكلمة « أيام » إلّا توكيداً لظاهرة ضياع الزمن الذي كلّما تمادى في مُضيّه أحرقَ ضميرَ الشاعر وشدَّ بالَه .. وهو يُقارن بين ماضٍ مُشرق وبين حاضر مزرٍ؛ فاستحال السيّدُ عبداً وتفرّقَ الشملُ وتشرذمَ الربْعُ.

ما أصابهم ليس عجزاً ولا تقاعساً ، ولكن هي طبيعةُ الزمن الغادر ، يومٌ لكَ ويومٌ عليكَ ، فقد عصفتْ بشمائلهم ريحُ السموم ، وغيّرتْ وبدّلتْ حتى استُنوقَ الجمل وتكدّش الفرسُ الأصيل، فيدلّي رأسه ويقدّمُه للّجام بعد أنْ كان عاليَ الهام ، أليس هذا من عجائب الأيّام « الزمن » حتى إنَّ الكلابَ السلوقيةَ صارت لها سُدّةُ القيادة وأنَّ الكلابَ الضالّةَ استأسدت وصار لها سطوةٌ، وشيوخُ الناس وسادتُهم أصبحوا خدماً وموالي للخدم والموالي.

النصُّ:

تطراعَ بالي أيّامْ وأيّامْ وأيّامْ
واتخالفتْ لِيّام وانشَدَهْ بالي (١)

كُنّا وكُنّا بربعةَ البيتِ قِدّام

والیوم صُرنا «طائلْ عمرِكْ» تَوالي

ماهو عَجِزْ وحياةْ راسَكْ ولا داام

لكنْ غدَتْ بالطيّبْ ريحَ الشّمالي (٢)

وصار الفرسْ ينْقادْ برياحْ ولجامْ

يحمْحِمْ يوطّي مِعرفو إنْ كانْ عالي

وصار السّلقْ مرباعْ والذّيخْ ضرغام

وصارتْ شيوخَكْ للموالي موالي (٣)

يوسف عويد الصياصنه

١- تطراعَ بالي : تخطر على بالي .

٢- غدت : طوحت به ، ابتعدت ونأت .

٣- المرباع : التي تقود قطيع الغنم كالعنود التي تقود قطيع الغزلان

٤ ـ قالوا: أتبيعه؟

للشاعر: يوسف عويد الصياصنة

إضاءة على النص:

أراضي درعا وحقولها تمتدُّ جنوبًا متجاوزةً الحدودَ السورية إلى داخل الحدود الأردنية ـ هذه الحدودُ الورقيةُ التي رسمتْها معاهدةُ «سايكس بيكو» على الخريطةِ بقلم رصاصٍ، وجاءَ الحكّامُ وبكلِّ الأسف والأسى فرسموها على الطبيعة ووضعوا لها الأسوارَ والخنادق والأسلاكَ الشائكة والألغامَ باسم الوطن والعروبة زورًا وبهتانًا ـ ولكنّها مِلْكٌ لأهل درعا يزرعونها كلَّ سنةٍ ويحصدونها بدون أيّة إشكالات.

أمّا إذا توتّرتِ العلاقاتُ السياسيّةُ ما بين القارّةِ السوريّة وقارّةِ الأردن، بين الأمّةِ الأردنيه والأمة السوريه، فإنَّ أهلَ درعا يحرمونَ من استثمار أراضيهم التي داخل القارة الأردنية لسنواتٍ، وكثيراً ما يُرغم أهلُ درعا على بيع أراضيهم للمحتلِّ الغاشم والمستعمر الغادر ـ مَنْ يُصدِّقُ هذا الكلام ياعرب ـ تعالوا لتشاهدوه على الطبيعة!!.

الشاعر يوسفُ عويد الصياصنة له مساحةٌ من الأرض داخل الحدود الأردنيه في ـ المكسار، أم صيرة .... ـ أُجبرَ على بيعها، بعد أن باعَ الكثيرون أرضهم للأردن... يوسفُ ثارَ، وصاحَ، ودُهِشَ لهذا الأمر، وتساءَل بكثيرٍ من المرارة:

هل يمكنُ للمرء أن يبيع أرضه، عرضه، وطنه؟!!

فماذا يبقى له بعد ذلك؟

الأرضُ والعرض لا يساوم عليهما ، ولا تباعان وموضوعُ لا يقبلُ النقاش ، وأهونُ منه الكفرُ والزندقةُ . وابن زانية ذاك الذي أطلقَ مقولة « الأرض مقابل السلام » لا رحم الله أيّامَ « كيسنجر » .

رفض الشاعرُ يوسف حتّى مجرد مناقشة هذه الصفقة المخزية التي لا تنسجم مع مبادئه وشعاراته ، وأنشأ هذه القصيدة يردُّ بها على أولئك الذين أرادوه أن يبيع أرضَه ، فقال:

قالوا له : اتبيعه ؟

قال : للموت مابيع . هذا وطن ياناس ، ماهو زريبه .

أجل الموتُ أسهلُ من أن يبيعَ أرضه ، وطنه .. هذا وطنُ أيّها الناسُ ، وليس زريبةَ دواب ، فكيف تريد وتبغي أن أبيعه ؟!

ويتابع الشاعر رفضَه ، دهشتَه ، عجبَهُ ، نُواحَهُ :

هل يعقل أن يبيع أرضَه في موقع « أم صبيح » ؟ .

هل يمكنُ أن يبيع تلك الحقولَ الزاهية ، المطرَّزة بالورد ، المفوَّفة بالشيح والقيصوم ، العابقة بالروائح الطيّبة ؟! .

هل يعقل أن يبيع أرضاً وافرةَ الغلال بالقمح والشعير برائحتهما التي هي أزكى من الطيب ، وأطيب من البُخور ؟! .

عجيبٌ هذا الزمان أوأعجبُ منه أناسه !

كيف دُجِّنوا ؟ .

كيف تمّ خِصاؤهم ؟! .

كيف جرى عُقمهم ؟! ...

هل يعقلُ أن يبيع أرضه ؟ .

كيفَ يبيعُ عمرَهُ، صباه، طفولتَه التي زرعها في شعاب أرضه ومرابعها ومراعيها ؟!

هل يبيعُ عرقه الذي روّها به ؟

هل يبيع جهده الذي بذله في خوابيها ؟!.

هل يبيع ذكرياته الجميلة في جنباتها ؟.

هل ينسى حليب الشياه والإبل المُحلّى العابق بطعم نفلها وأعشابها وأ...؟!.

وهل، وهل، وهل ...

ثمّ ينتقلُ بنا الشاعرُ الصياصنة ليروي لنا ذكريات ستّينَ سنةً قضاها على تلك الأراضي والربوع، بلّل عرقه كلّ ذرّة تراب فيها، يذكر سهولَها، ووديانَها وتلالَها، يذكرُ العشيّات والسهرات بين العذارى والحسان من الجيران، يذكر البئر والحليب، حتى تتحوّلَ هذه الذكرياتُ إلى مندبةٍ يبكي بها الوطنَ الضائع بين أسنان الملك والأمير وشيخ القبيلة وعساكر السلطان والغلمان الذين يسوسون البلادَ، ويُخضِعونَ العباد.. الشاعرُ لا يعترف بهذه الكيانات المزوّرة التي صنعها الاستعمارُ.. وثبّتها الخليفةُ وكلاب الخليفة بائع الديار، وتاجر النفط والدولار... الشاعرُ المسكينُ مازال يُصدّق أكذوبةَ الوطن الواحد، والأمةِ الواحدة التي تمتدُّ حدودُها من المحيط إلى الخليج، مازال يؤمنُ بالعرب وقد تحوّلوا إلى أمريكان باليد والتبعيّة واللسان... الشاعر لا يقبل المسكين بوطنٍ عربي إلاّ كمقولة زمان، كأيّام زمان، من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر.. لا يقبلُ بأقلَّ من وحدةٍ عربيةٍ كاملةٍ مكمّلةٍ لا يدخلها

غريبٌ لا من بين يديها ولا من خلفها ، فالشعبُ واحد ، والدربُ واحد ، واللغةُ واحدة ، والأرض واحدة ، والتاريخ واحـد ، والهدفُ واحد .. مسكينٌ هذا الشاعر فما زال يعيش حلمَ زمان . لم يستيقظْ بعدُ على هوانِ الزعامات العربية ، أبناء الزانيـة الذين صدّقوا شعارَ « الأرض مقابل السلام » .. هو لن يبيعَ أرضه ، لن يبيعَ ، لن يبيعَ .. أجيالٌ قادمة ستتخلّص من تخلفها من حكامها ظُلاّمها مُبادلي أرضها بكراسيهم .. يقول :

كنّا نرحلُ إليها إلى أرضه بالصيفِ الشباب والمشيبُ من الصبح حتى المغيب ، طروشهم وحلالهم معهم المرضعاتُ وغير المرضعات ، يحصدون نداويات ويدرسونَ ويعبّئون الحَبَّ لهم والتبنَ لحيواناتهم ، يُسمّنون فيها أغنامهم ، وأبكارهم ، وإبلهم ، يجتمعُ الشبابُ والبناتُ الشقراواتُ ذواتُ الذوائبِ الحمراء ، عذباتُ الريق كالسكّر ، يُقصّدون وينشدون مرّةً على الربابةِ ومرّاتٍ على شكل دبكاتٍ ، وفي آخرِ الليل يبحثُ كلُّ حبيب عن حبيبته ليتناجيا بعفّةٍ وطهارةٍ .

فأجدادُه عاشوا هناك ، وعزوتُه وكلُّ أقاربه وعشيرته ، فهل سمعتم أحدًا باعَ أجدادَه وذويه ، باعَ نفسه في سوق النخاسة ؟.

لهم فيها روابي ، وأديرة ، ومشاريع وجيرانُ عزٍّ لا أحلى ولا أجمل ، تقاسموا حلوَ الحياة ومرَّها ، ونسوا أيامًا ذاتَ نوائبَ وزعازع تشيبُ لها الأولادُ قبل أوانهم ، فثبتوا لها ، فلا وهنوا ، وصبروا ، ولم يذلّوا ، فهم يتقاسمون الحيـاة بسرّائها وضرّائها ويتعاونونَ على صُنع المعروف وفي الحوائج والشدائد رجالٌ صُبُرٌ أمام المليحات من العنتريات .

أمّا اليوم .. فهذه الحدودُ المزعومة، والأسلاكُ الشائكةُ فلا يعترفون بها، ولا يطيعونَ القوانينَ التي وضعَها الطغاةُ، ورسمها إبليسُ، فالديرةُ واحدةٌ، الكويرةُ، والمخيّمُ، والفقيعُ، بلدٌ واحدةٌ شربوا من مائها وآبارها، ليس ذلك فحسب بل الوطن العربي كله واحد، من المحيط حتى خليج المخاليع والسفهاء، الشعبُ واحدٌ والزعامةُ هي الخائنةُ لنضالِ شعوبها.

فنحن الرافضون من الشعب العربي، نحن الأساسُ، ونحنُ أهلُها، نحن ملحُها، فلنا سنامُها ولنا ترابُها، ولغيرنا الفشلُ والخيبةُ والعارُ .. عرضوا علينا البيع، فنحن لا .. لا نبيعُ، لا نبيعُ، لا نبيعُ، هذه أراضي الكسار مرتهنةٌ لديهم لكنّنا لن نبيعَ .. لن نبيعَ، لن نبيعَ.

النص :

قالوا: اتبيعهْ؟ قلتْ: للموت مَا بيع
هذا وطنْ يا ناس، ماهو زريبه!
هاي «أمّ صيره» زاهيةْ بالبراقيع
يرعلْ بها القيصوم ياطيب طيبه!
فيها الشّعير غلالْ والقمح مَطاليع
واطيب من البخّور وسبةْ شعيبه

فيها رعينا شيا هْنا والمرابيع

فيها حلبنا النّوق، سكّر حليبه

نرحل لها بالصّيف بكار ومراضيع

شيبٌ وشباب من الصّبح لمَغيبه

نُحصد نداويّات نختاطْ وانبيع

ونْخزِنْ تِبنْ طُرّيش ونخزن صليبه

فيها انتقينا من الشّلاويا مرابيع

سُكّر بنات الرّيق شقر الذّويبه

نقَصّد شروقي عَ الرّيابا مصاريع

وكُلْمَنْ بتالي الليل يدوّر حبيبه

جدّي هناك وعزولي بالمتاليع

ومن باع جدّو باع نفسو جَليبَهْ

لينا «عراق» و «دير» ولينا مشاريع

ولينا بها جيران عِزّ الطّنّيبه[1]

انسينا ونِسيوا ايّامْ سودَةْ زعازيعْ

شابت لها الوِلدان من قَبل شيبه

وماتجمعوا المعروف بالعون مايضيع

ومن قدّم الزّينات نِسي الحريبه

هذي حدود الشّيك، للأمر ما نطيع

حدود رَسَمْها ابليس دُون مَن ريبه (٢)

المكورة وطنّا والمخنيّ والفقيع

واطيب من التّرياق شربةْ جليبه (٣)

من البحر «لطلس» لخَليج المخاليع

الشّعب واحد والزعامةْ حريبه

إحْنا ملح لبلادْ حُلْمَ المرابيع

لينا منام الأرض لينا التّريبه

قالوا: اتْبيعَهْ؟ قلتْ مابيع مابيع

هذي أرض المكسار هذي الحبيبه

يوسف عويد الصياصنة

١- عراق: هو عراق الرشدان قرب مدينة دير أبي سعيد مركز لواء الكورة من محافظة اربد الأردنية حيث موطن الشاعر الأصلي.

٢- الشيك: الشريط الشائك الذي وضعته السلطات الأردنية على حدودها مع سوريا.

٣- المكورة، المغني، المقيع: مناطق وقرى جعلتها معاهدات الاستعمار بين الأردن وسوريا علماً أنها كانت بلداً واحداً.



٥ - غَزَلَتْ أنا العَبَرَاتْ

للشاعر: يوسف عويّد الصياصنة

إضاءة على النص:

السهدُ والسهر يصاحبان كُلّ العشاق، فيسعدون ويشقون.

يسعدون لأنهم يعيشون الذكرى ويجترون لحظات الوصال.

ويشقون لأنَّهم لا يجدون بين أيديهم غيرَ قَبْضِ الريح وحُرقةِ الأجفان، فيَئنّون ويشكون ويبكون...

وهل لشاعرنا المحروم يوسف عويّد الصياصنة نصيبٌ غيرَ أنْصِبَةِ غيره من الشعراء؟

لِنستمعْ إليه يشكو ويذرفُ الدموعَ ويحس الحرقة بداخله واشتعالَ النار في جوانحه، وأكثر ما يعذبه أنه يبيتُ في حارة، وحبيبُه يبيت في حارة أخرى.. لذلك فالحياة خسارة، والعمرُ لا معنى له. لنستمعْ إليه:

النص:

غَزَلَتْ أنا العبراتْ طاقِ على طاق

ألياما سواقي العين جفّتْ انهارَه

ونسجتْ مِنهن ثوبٍ عَ الجسم حرّاق
وحسّيتْ جوّاتْ الحشا بالشّراره
ما طِقتْ روحي، أفِزّْ لو مرّْ طرّاق
واسأل عنو دَالرّيم، وصلت اخباره؟
ما سمِعتْ غير الرّيح بتلاعب أوراق
واتطيح فيها من يَمينه لْيساره
ونَّتْ جُروحي، أصيحْ يا ناس بوّاق
مَن نام بحاره، ورُوحو بحاره
أفيق الصُّبح، لو كان قَصري بمفهاق
كِنّي ربيطِ البيرْ جُوّا مْغَارَهْ
صُبحْ ومسا بالحيّ مِلتاعْ مِشتاقْ
أتلمّس البيبان أنطُرْ إشاره
ما في حَدا بالدّار، والبومْ نعّاق
ومن بَعِدْهُمْ يا حيفْ عُمري خساره

يوسف عويد الصياصنة

٦- خلِّت الحبايِبْ يُنقّرِنْ على كتافي

للشاعر: يوسف عُويِّد الصياصنة

إضاءة على النص:

إذا كان الواقع لا يُلبّي طموحات المحبين، فليهرب كلٌ منهم إلى الحُلْم ليرى فيه كلّ ما يصبو إليه، وها هو الشاعر يوسف عويِّد الصياصنة أبو خالد، يحلم بأحبّته، فيُدخلنا معه عالم الحُلْم إلى كلّ جنةٍ وكلّ بستان حافياً عارياً يجوسُ سُدُفَ الليل، أو تحت أضواء القمر الخافي في أحضان السماء، وفي غفلة من النجوم في ساعات غياب النحس، حيث يفترشون الأعشابَ المخمَّسةَ بالندى، ويستظلّون بغيوم السماء المرفّلةَ الحواشي، والخضرة تملأ الشعابَ والوديانَ حولهم حيثُ ترتعُ قطعانُ الظباء في كلّ مكان، تُبهجُ النفوس وتملأ العيون مسرّةً من ينابيعَ صافية، ويغرِقْنَ بعطورٍ لا توصف، وشفاهٍ تقطّرُ عسلاً وأريجاً، أما عيونُهنّ فتصمي قلوبَ العاشقين بسهامها.

هكذا تختلطُ الطبيعةُ بجمال حبيبات يوسف، فيغرقُ الجميعُ في ديمةٍ من الولَهِ والألفةِ والمحبّة.

ثم يعدّدُ الشاعرُ الصياصنة من خلال حُلْمه، صفاتِ المحبوبات التي يتراوحْنَ بين البيضاء، والسمراءِ المخالطةِ للمسك المصفّى، والشقراءِ الفارعة القوام. ذات النهود الناقعة كفناجين القهوة علّقها الله في أعلى الصدر فتنةً وإغواءً، أمّا العيون فنُجْلٌ ذاتُ سهامٍ قاتلةٍ، تودي مَنْ يتعرّضْ لهنّ إلى المهالك، وتشفي قلبَ صديقه علي المصري فيبرأ بعد سُقم وهو الذي عيّى..

على الطبِّ والعلاج ، ويُحذِّره ويُوصيه ألا يحلمَ أحـــدٌ بالتمادي في حُبِّ الجميلات اللواتي هُنَّ زينةُ الحياة وبهجتُها.

ثم يختمُ الشاعرُ حلمَهُ متمنياً أن يكونَ طيرًا قويَّ الأجنحة ليظلَّ مُشرفاً من عليائه على حالِ العشاق والمحبين يرقبُ أشواقهم ولهفتهم في صحا ولائهم لإرواء هذا الظمأ الذي لا ريَّ له.

ويستيقظُ الشاعرُ من حُلمِه ، فإذا كلُّ ما هوَ سببه أضغاثُ حُلمٍ ليلةِ صيفٍ ، يُعصْعِصُ لِحافَهُ ، ويتمنّى لو أنَّ الصبح لم يأتِ ليظلَّ الحلمُ في عيونه على مدارِ الزمن .

وكأنّي بواقع الشاعر الظالم الذي لا يسمحُ له أن يسعدَ في حياته ، فيهربُ إلى الحُلمِ ليُنفِّسَ عمّا في داخله ، خوفاً من المجتمع المتحجِّر المتخشِّب الذي يُصادرُ الحبَّ والرسائل الزرقاءَ ، كان اللهُ معكَ يا يوسفُ على بَلْواك .

النصُّ :

خلمت الحبايبْ يُنِقّرنِ على كتافي
تاحُوم فيهن كلّ جنّة وبُستانْ
تَامشي بهنْ بَالليل والكلّ حافي
تامْشي بهنْ بالليل والكلّ عريانْ
نسرحْ ونمرحْ والقمر فوق غافي
وسهيل نايم والنّحس بَعدْ نعسانْ

فوقَ البَخْتَلا تِفَتّرِش ما تخافي

وتفوتْ بكمام النّدى إنْ كُنتْ وَهْجان (١)

الغيوم خيمة مرفّلاتٍ الحوافي

سِترْ وغطا للكُلّْ والكل سَهْرَان (٢)

يا سَعِدْ مَنْ شَام النَّفَلْ بالفيافي

ويا سَعِدْ من لايَعْ بها سِرْبْ غِزْلانْ

نكيلَ الهَنا والشّوقْ بالصّاع وَافي

نسكّرْ زبيب، وبُندق، وزهر رُمّانْ

ونشربْ نقوع الشّهِدْ من نبع صافي

وانْعِلّ عَلّ مْسافرٍ إنْ كانْ عطشانْ

يِنْشَم عطرهن عَ الصّدر عَ الشّفافي

ويخفى لَحِظْهن بين عيني وَلجفان

نِلْبَسْ بَعِضنا شوق والشّوق دَافي

تا يختَلِطْ كلْ شي بكلْ شي وَلايبان

حُبّ الخلايق واحده وبَسّ كافي

وَحُبّي لِهَنْ لو بُعِدْ كترِنْ بلكوان

بيضه وسَمْره مخالطه مِسْكْ صافي

وشقرا خَيفه والنّهِد كعِبْ فنجان

بعيونٍ نجلا توخذكْ للمهَافي
وتبري قليبكْ ياعَلي انْ كُنْتْ وَجْعانْ (٣)
بحُبّ العذارى يِتْغلط انْ قلت كافي
وزين الموج مرعاه وتشكيل ألوان
يارِيتني طيرٍ قويّ الخوافي
لَشْرِف وشُوفَ الشُّوقْ للشُّوق عَطْشانْ (٤)
وفقتَ الصُّبُحْ وَلِيّ بعضعض لحافي
وَاقولْ: ياريتَ الصُّبُحْ ضاعَ وَمَا بانْ

يوسف عويد الصياصنة

١- وهجان: من الوهج، الحر.
٢- مرفلات: مزينات لاصقات في الأرض.
٣- المهافي: المهالك.
٤- الخوافي: الريش القصير في الجناح عكس القوادم.

٧ـ يزهي عليكَ اللّيلْ

الشاعر: يوسف عويّد الصياصنه

إضاءة على النص:

يزدهي الوصفُ، ويزهو الحديثُ عن المحبوب، وتصبحُ الطبيعةُ كلُّها أكسيةً مُفوَّفةً تُزيِّن الحبيب، وتتأنَّق به، فالليلُ يصبحُ إكليلاً من الإضريج يُجلِّل هامَ الحبيب، والصبحُ يغدو "تمتَا" على أكمامه وأردانِ ثيابه، وأورادُ الحدائق تستحيلُ إلى أساورَ وخلاخيلَ، وحتى قمرُ نيسانَ يُمسي محفَّةً ومظلَّةً تظلِّلُ الحبيب، ونجومُ الليل تُضحي حلَقاً وشناشيلَ في مهرجان الحبيب.

يتغزَّلُ الشاعرُ ويظلُّ عفًّا نظيفًا في هذه القصيدة، ويكفيه رشفةٌ من ثغور الجميلات ليظلَّ مُشتعلَ الأشواق ضامي الفؤاد، ناهيكَ عن تمنُّع الحبيب وعناده، فالاقترابُ منه مخاطرةٌ ولربّما لاقى المرءُ حتفَه.. لذا يبقى حلماً يسمو به أو يرقى إليه، سمراءُ تشدُّكَ تفاصيلُ جمالها، معطَّرةُ الأنفاس، عذبةُ الريق، حلوةُ المبسم - تشتبكُ بخلاياه ويشتبكُ فيها فلا خلاصَ له ولا فكاكَ لها منه، فلنستمعْ إليه يقول:

النصُّ:

يزهي عليكَ اللّيل من غيرِ تفصيلْ
ويزهي عليكَ الصّبحْ من غيرِ كَفَّهْ

وردْ الجَنايِنْ صارْ لَجراحْ خَلاخيل

ولاجِلكْ قمرْ نيسانْ عامِلْ مَحفّهْ

يااللّي نهودِكْ تعشقْ الهزّ والشّيل

خلّي جعودِكْ دايره كالمهفّـــه

ياامّ الاساوِرْ والحَلَقْ والشّناشيل

هِفّي بتوالي اللّيل عَ الوِلفْ هَفّه

خيارْ المحبّهْ شوفْ، وانْ زاد تِقْبيل

وانْ زاد فُوق الزّود ياناس عِفّـه

مالي بهَمّ اللّي بهَواه التّعاليل

همّي هَوى الزّينات، من العِشقْ شَفّه

شَفّه اتوِدّ الرّوحْ والعقل والحيـلْ

وانْ خلصتْ الشّفات، بِشتاقْ شَفّه

ببحْر التّراجي يحُطّه الموج ويشيل

كِنّه صَويبْ، ذْواه ؟ من فوق دَفّه

هُو بِقترِبْ شبْرين، وهي تِبْتعِدْ ميل

بِبعد عَنودَ الرّيمْ، وبقْترِبْ حَتْفه

سمرا ضَحوكه تِتْدَهلكْ بالتّفاصيل

كلْ شي حُلو، طلّه، وهيبه، وخِفّهْ

واطيبْ من السُّكَّر، واعطرْ من الهيل

وافيَدْ من التّسْبيح، عَ الصُّبح شَفَّه

توَرّيكْ دِنيا كلّها قمارْ تِشكيلْ

وتسكُنْ ما بين النوّم والصّحو نتْفه

هذي حياتَكْ، رَعشِةْ شفاه، تِنّميل

مازادْ كُبَّهْ، شُوطْحَهْ فوق حفّه (١)

يوسف عويد الصياصنة

١- شوطحه : رماه بعيداً.



٨ - قالوا: تحرَّرْ

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنه

إضاءة على النص:

قالوا تحرر مقطوعةٌ ساخرة، يُعبِّرُ فيها الشاعر عن الكبتِ الذي أغلقَ الأفواه، وضربَ عليها خاتمًا من حديد، وهو يتَّجهُ بنقدٍ مريرٍ إلى ما وصلت إليه حالُ الناس من يأسٍ، فانصرفوا وأخلوا ساحاتِ النضال، إلى لعِبِ «البرسيس» والمدخنين طالما منَّ اللهُ على المتَّجرين بالتبغ والتنباك، فأصبحوا من الأغنياء يولون على شواطئ المسيل يتعاطونَ الخمر، وإذا ما خالفتهم النواميسُ والسنَنُ، ذهبوا وشربوا من حليب التيس الذي غدا مُعجزةً لكثرة ما أمَّهُ ناسٌ وبشر، ولو أنه بحرٌ لجفَّ من سُخفهم، يقول:

النص:

قالوا التحرُّرْ؟ قُلتُ بالليِّت والليِّس
قالوا متى؟ قُلتُ المها في مريحةْ
هذي حَرُبْ ماهيش نذخاتْ «برسيس»
بِدْها ذَوايِبْ سابلاتٍ مَليحةْ [1]

بِدْها نَفَسْ تُنبالْ مَفرولْعْ بِالمكيس

وبِدْهاعَ كتْفِ السِّيل تِشْوِي الذّبيحهْ

بِدْها زُمْ عَبَّتْ اضلاعَ بلَبَنْ تيس

وبِدْها حَليبْ سباع تَايْفوحْ ريحه (٢)

يوسف عويّد الصياصنة

١- البرسيس : لعبه قديمة مادتها الودع .

- نذخات : نخوات .

٢- التيس : ظاهرة في دير الزعر كالأسطورة شرب الناس لبنه للاستشفاء من مختلف أنحاء الوطن العربي ، وهذا يدل على تخلف الفكر العربي في الزمن الحديث .

٩ـ مَرْيوشَةُ العين

للشاعر: يوسف عويِّد الصياصنة

إضاءة على النص :

محبوبةُ الشاعر متميّزةٌ عن غيرها من المليحات بطول أهدابِ عينيها ، فأصبحتْ هذه الأهدابُ الطويلة علماً عليها ، وهاهو يُناديها بهذه الصفةِ العَلَم ، ويرجوها أن تومِئَ له لترى كيفَ يأتيها طائعاً حتّى ولو كانَ مدفوناً تحتَ التُراب .. سينهضُ إليها ، لأنَّ عودَه حينئذٍ ستخضرُّ من جديد وتُعاودُه الحياة .

فهي مهما ابتعدتْ ونأتْ فإنّها قريبةٌ منه قُرْبَ ما بين قلبه وعينه ترى هناك ، فالبعدُ عنها ليس نهاية المطاف ، بل بداية لبناءِ صرح الآمال للقيا ، ورفع المنارة للأشواق .

فهي غائبة حاضرةٌ تسكنُه وتشتبكُ بكلِّ جُزءٍ من أجزائه حتى بالخيال .بالوهم تسكنُه تتغلغلُ فيه ، فإذا ما صاحتْ أذنُه « صار بها طنين » دلَّ ذلك على أنّها تذكُره كما يذكُرها ، وأنَّ هذا بشائرُ خيرٍ ستهلُّ عليه ويتفاءل به ، وهو يعلمُ أنَّ سلواه الوحيدة هي أحاديثُ الأشواقِ عنها ، يُغنّيها ، يُلاغيها ، يُخاطبُها وكأنّها قبالته ، يتخيَّلُها تساهره تُناجيه حتى مطلع الفجر وصياح الديكة ، وإذا ما لمعَ برقُ أحاديثها وبريقُ ثناياها ، فإنَّ الدماءَ في عروقه تستحيلُ نفطاً وتشتعلُ في أوردته وتُشعِلُهُ ، فكان اللهُ معكَ يا يوسفُ .

النص :

مَرْيوشة العين ، بلسّ أُومي وَانا جيكْ
آجيكْ لو صكّوا عليَّ لحُودي
أقومْ وَامشي ، بعونَ الله ، وَانا جيكْ
يَللي ، بندعْ طِريانْ ، يخضّرْ عودي
ماانتي بعيده لو ترامتْ أراضيكْ
مفلاكْ بينَ العين والقلب وايدي
والبُعدْ يبني للتّراجي مَداميكْ
ويرفعْ عمودَ الشوق يبري الحديدي
وانْ صاحتّ اذْني أقول : خير يلاقيكْ
وخير لِفالي ، لِكنْ طَرالي .. وَديدي
أعرفْ حديثَ الشّوق عن بُعد يشجيكْ
ماامِلّ ذِكرِكْ بالهَرجْ ، بالنّشيدي
انسولفْ بعَضنا ، عن بُعد ، صيحة الدّيك
وان لعبْ برقكْ يشتعلْ في وريدي

يوسف عويد الصياصنة

- ٤ -

الشاعر

أحمد عبد الرحمن قداح



١ - يا عَلي ما ماتَ الحِلمْ

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

إلى الأستاذ الكبير، إمام الفكر، وقبلة المبدعين «أبو عصام علي المصري» أديب الأدباء، صاحب القلب الكبير.

هذه كلماتُ الشاعرِ أحمد عبد الرّحمان قدّاح «أبو عرب» التي أبى إلاّ أن يُوشّحَ قصيدتَه بها إلى صديقه علي المصري، وراح بعدَها يشكو إليه سُوءَ تقديرِ الناس للعلم والعلماءِ، ويبثّه لواعجَ نفسِهِ، وهُمومَ قلبه وكيفَ أناخَتْ عليه الأيّامُ بكلكلِها، يُحدّثه عن حبّه، عن أحلامِه، عن رؤاهُ في عالمٍ لا عقلَ لَهُ، وصروفِ دهرٍ قاسيةٍ.

وهي من المطوّلات الشعريّةِ عند الشاعر التي يمكنُنا أن نطّلعَ من خلالِها على طرائقهِ وأساليبهِ وسأتركُكَ معها وجهًا لوجهٍ - واعرفْ ما تشاءُ.

النص:

ياعَلي قبلَ الموتْ مَيّتْ وَالى حيّْ
في دارْ ظُلْمه مِنكْرِهْ لاحَياتي
ياعَلي وإنْ صاحُوعَلَيّهْ هَلا الحيّْ
أَني بعَرْضَكْ لاتِدْفُنْ نَواتي

خَلِّي اجْذوري تِشْرَبَ النُّوْرْ والمَيّْ
يِمكِنْ عُقْبَ اسنين تُبْرُزْ صِفاتي
وذَعداعْ روحي يِجْلُبْ بِحُزْنَة آلامي
وعَليه يِنْبُتْ لِلْخَلايِقْ نَباتي
ياعَلي مالي شَوقْ في مَقْعَدِ الفَيّْ
ولاهي مْعارَة مَنْ يِسَوّي سَواتي
أَجْني من روح الهوى آلام والفي
وَغَزِلْ احروفي للنَّغَمْ والبَيَاتي
أُطْوي على قَلبي جَمْرِ النوى طَيّْ
وَنْلبِسْ أَريامَ البَرْ قَبْتْ عَباتي
مِنْ جَرحْ روحي أَزْرَعَ النورْ وَالضَّيّْ
ومِنْ صَمِتْ قَلبي تِسْتَوي لي قَناتي
وَكْتُبْ رسايِلْ من صدى الروح تِلْفِي
اقْلوبَ الأَحبَّة وتَشْتَهيها البَناتي
وَشُقْ دَرْبَ الحبّْ لَلْخِلّْ وَالحَيّْ
وَزْرَعْ أَمَلْ لَلّي يراعوا حْشاتي
وَجْني من مَفلاي عُشْب وَجَتْلي
لاما اسْنينَ المَحِلْ تحْصُدْ رفاتي

وْلا مَا عديمَ الرشْد يبْرَهْ لَوَلِّي

ولا ما حَصيفَ الرأي يظْهرْ براتي

يا عَلي اهْمومَ الدهرْ بقسْوه لَوَلِّي

لحَيّةّ الروابعْ في هَشيم الفَلاتي

رَبعي شَوولِي قَبُلْ مُوتي وَالي لِيّ

في دارْ ظُلْمَهْ ساكْنينَهْ عُراتي

وكلّ مَن لِبْس العِلمْ ياعَلي مَنسيّ

قَبْر العلم بدارَ الجهالَهْ نَجاتي

يا عَلي ما ماتْ الحِلِمْ بَعِدْ ودّي

أفرِز من قَلبي أنغام المَبـياتي

أَزِفّ روحي ومنْ هَواها أَوَدِّي

كُلّ ما هَبّ الريح أفقِدْ سْباتي

وكلّ ما لاح الشوقْ أعطيه وِدّي

بِسْمِه اندا وي الروحُ رَعْشَهْ لَذاتي

مِنْ غِيدْها أفْلِقْ حَدّي ابْحَدّي

وإنْ جَفّ مِنّي القَلبْ أفْقِدْ جهاتي

أنعي روحي وَاشتكيها ابْتَحَدِّي

وَحِدّها والحَدّ يِفْلِقْ صَلاتي

ياعَلي ما لايمتْ مزحي بجدّي

ولا طِعتْ أخيْ النمّامْ وهذي وصاتي

ولا شُفتْ حالي في مزاميرْ جِدي

ولا قُلتْ للدِنْيَهْ هـاتي وْهاتي

أَكِدْ كدّ الحيدْ راضي بكدّي

وكلّ المرايَهْ اتزيّنَتْ مِن امْراتي

ياعَلي مالي يَدّ . لوْكُنتْ بَيدّي

إنْ كانْ اشْتَهيْتَ البُعُدْ وانتَه فْراتي

هذا زمانَ اللّي يعْطي ويَـدّي

ماهو زمان الوعي وعَهْدَ الوعاتي

أَنْدُبْ ، أشُقَّ الثوبْ ، أَلطُمْ بخدّي

أوُقفْ على بيبـانْ ترمي فتـاتي

صْبِرتْ وصَبْري عـايدًا للتّردي

مَنْوَهْ القلبْ ما يحفّ حِبْرَ الدواتي

ما احِبْ أخي النمّام لوهو بسدّي

ولا أخي منَ الّي يحبّ شيلَ العصاتي

مَشيت حافي عَ الدربْ مِسْتَعدّي

آشيلْ شوكَ الأرض ما كانْ ياتي

يا علي لا أني بقدّ .. ولا أني بشدّي

ولا أني على الدِنيّهْ عاوي شَتاتي

أنْعيكْ روحي وليتّها اتكونْ ضِدّي

هيَّه السببْ ومالي مِنْها نجَاتي

أحْطُبْ على روس الرواسي ومُدّي

وَرقَهْ على العَثْرَاتْ بعَزْم السُّحاتي

مالي نحالْ عَفينْ ومن قال بَدّي (١)

اظهورَ الأصايلْ حايطينه رماتي

أرمي بسَهمي كلّْ جاهلِ امْصَدّي

وإنْ صدّتِ الدنيّهْ هَذي غنَاتي

أُمّي بكَتْني ودمِعْها كان وَرْدي

واني زرَعْتْ الوردْ وذْميتْ ذاتي

بعيونْ رَغْفاتِ الشفايفْ أوَدي (٢)

كلّ الوسايلْ لاقْلوبَ الصِفاتي

عَ حِلِمتَ المَزّارْ روحي اتْهدّي (٣)

وإنْ صابهُا الصَّيادْ إعْلِنْ وَفاتي

حيّْ ومَيّتْ وصاعْ رُوحي ومُدّي

عَ صُبّتِ العشّاق أُنْشْ رفاتي

كُلُّ ماحانَ الكيلْ كالُوا بْيَدِّي
وكُلُّ ماطابَ الهرجْ رِجْعَتْ حَياتي
أَقومْ من قَبْري بكلّ التَّصدي
وَناغِيَ العُشّاقْ وَنكرْ مماتي

أحمد عبد الرّحمن قدّاح

(١) - قال بدي : من افتخر بأصله .
(٢) - رعفات : حمراء كدم الرعاف .
(٣) - الكزاز : النهد .

٢ - كِنِّي القَرِيص

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

التقاها مصادفةً، حاورها وداورها وتمتّع بقدها الأهيف ومرآها الذي تخلب الألباب، مهاة، ضامرة الحشا، رقيقة القسمات.. حاولت أنْ تُلهيه عن مغازلتها فقدّمت له فناجين القهوة المرّة، علّه يرتدعُ ويبتعدُ عنها، رغم أنها تحبُّه، وتهفو إليه.

والشاعر كالنّحلة، لا يطلبُ من الزهرة غير عبقها، وأريجها، ورحيقها، فهل في مكنتّه أن لا ينالَ ذلك؟! أبداً. وإلاّ، فَليُسلِّ النفس بالنجوى والشكوى وليتمتّعْ بصوتها العذب وأنفاسها العطِرة، وليبثّها تباريحَ الشوق المتأجّج في أعماقه، وليقلْ لها كلَّ الأقوال التي تسرح في قلبه وترعى خياله، فقال:

النص:

اللّيلْ طالْ وعَيَّتْ اتْنامْ لِشْواقْ
عِيني على مِرقابْ خِلّي بها اغْروقْ
كِنِّي القَرِيصَ اللّي في جِسْمِهْ اشْقاقْ
السمّْ يِسْري مثل سُرعاتَ البروقْ

أَحايِلَ العَبْرات في كُلّ الِطْباقْ
وَيْكي على ما فاتْ مِنْ خيبْتَ الشوقْ (١)
مِنْ واحْدٍ مثلَ الحماماتْ عَشّاقْ
حُلْوَ المبَسَّمْ على السيّال مَذْقُوقْ
مِنْ مِبْسَمَهْ تِعطي شَهّياتَ الِذواقْ
قَطْرِ العَسَلْ يومَنْ تَناجيكْ بشفوقْ
ولِيا انْثَنَتْ عُود على مَدْمجَ السّاقْ
كِنْها الغَزالَهْ ضامْرِ البَطِنْ وَالحوقْ
صِدْفَهْ التَقيَنهْ قُلْتْ هَذا الزَمَنْ راقْ
ودارِ الهَرجْ والقولْ في كُلّ مَنطوقْ
صَبَّتْ لنا فُنجانْ مَعْ تَمْرِ العِراقْ
قالَتْ تِقهوهْ قُلْتْ مالي بَها ذُوقْ
قالَتْ نِحبَّكْ مِثلْ أهْلي وَالِشّقاقْ
وأنْتَ عَزيزْ وعِزْتَكْ عالٍ فوقْ
قُلْتِ الْهَا يابِنْتْ قَدْحانْ الِفراقْ
وأني على فُرْقاكْ نا وي بلِ اليُوقْ
مار! احَرِسي والحِرصْ عاداتَ الِصداقْ
والملحْ ماهو زايْدَ الطَّعمْ وَالذُوقْ (٢)

حِفْيَتْ اقْدامي وَأنا اجيكْ مِشْتاقْ

وكلْ ما ارجعتْ مِنكم أردْ مَحْروقْ

ما حَصَلْ مِنكم غيرْ قِفلاً وِمِزْلاقْ

ومشْوارْ أسئِّيكم لاضاعَتِ النُّوقْ

أَشْكيكْ للّه مِظْهِرِ الحقْ خَلاّقْ

قادرْ على بَلواكْ في سَمّ العِروقْ

وفي عِلةْ تِدمي فُؤادكْ بالعْماقْ

وتوصِلْ عَلى كَبْدَكْ تِدَّعيه مَدقوقْ

أَساهِرَ النِّجماتْ وبالقَلبْ ما لاقْ

هُرجةْ حَبيبٍ تِبَعثْ ابروحيَ الشُوقْ

أَثارِيَ المَرْيونْ صَيّادَ العِشّاقْ

وما لي عَلى لونَهْ وما لونِنا لُوقْ

ضاعَتْ أيامَ الحبْ في موجَ العِماقْ

ضاعَ السّهدْ وسُودَ الليالي لَهاسُوقْ

هَذي بقايانا رَمادَهْ بالوِراقْ

بعكَنْ عُقُبْ مُدِّهْ ياصْويحْبي انفوقْ

أشكي لِهلَ الحبْ ومَنْ ذاقِ الفِراقْ

مِثلي تِلوّع وقلْبُه دومْ مَحْروقْ

لو جَفَّتْ ادْموعي لي قَلُبْ مِشتاقْ
وعيني عَلى مِرقابْها دُوم بِخروقْ

أحمد عبد الرّحمن قدّاح

١- أحايل: أتحايل . أطباق: عيون العشاق المطبقة على قهر الحب وضناه .
٢- مار: أداة تحذير .

٣ - يا كاسب الناموس

للشاعر: أحمد عبد الرحمن قدّاح

إضاءة على النص:

هذه قصيدة وجّهها الشاعر أحمد عبد الرحمن قداح أبو عرب إلى صديقه تركي الحريري يمدحه بقيم تعارفَ عليها الناس، ويشكو إليه ذُلَّ الفقر، وأيّامَ المحلْ، ويومها يكثر سيبُه وعطاؤه، لأنّه ورثَ ذلك كابراً عن كابر، وهذا مايُميّزه عن غيره من الناس الذين يسقطون لدى التجربة الأولى.

ويُضمّنُ الشاعرُ قصيدَته كثيراً من المواضيع حتى غدت معرِضاً فنيّاً من معارِض القول، سنتركُكَ معها وجهاً لوجهٍ لترى شاعريّةً فذّةً، وقدرةً فائقةً على حشد المعاني الجميلة التي يراها في ممدوحه، ويحبُّ أن تظلَّ خالدةً فيه تزيّنُه على مدى الأيام. فلنستمع لأبي عرب يقول:

النص:

البارحَهْ احتوتْ في بعضَ الِفْكارْ

وهاجَتْ افكاري وجابْلي القلبْ طاريكْ

لما غابَ النِجم عن شوفَ الِنْظارْ

ولْتَجْ موجَ البحرُ وهدَّ المداميكْ

يا كاسبَ النُّوماسْ يا واسعَ الدارْ

يا صقرْ عالي الحومْ خضْرَهْ مَفاليكْ

تُركي يا ذَعّار العِدا عِنْدنا اخْبارْ

عَذْبه وفيها صوتْ قَلبي يناديكْ

إنتَ الجوادْ ورحلَكْ أمزونْ ومْطارْ

في راسْ عِيطَةْ دومْ طيبه مَساعيكْ

جفلت وخلّتني على غيرها اختارْ

لَوْ جِفْ جودي لجوادي أَهاديكْ

عِسْرَهْ على روحي ترْويجَ السرارْ

وإنْ ضاعْ مِني الرشْدْ أرقُبْ عَلاليكْ

المويجْ تِطمُرْ مرهجَ الدرب كَثارْ

لا هي صَديقةً يوم تِطمُرْ مواطيكْ

دِنْيَهْ تراها زاهيَةْ حلْوَ الثمارْ

امسيَّرَهْ بِسْم اللِّي على الحقْ يِهديكْ

هذا حالْ الدهرْ ياصاحْ قَهّارْ

الْيا امحلَتْ مالَكْ صديقٍ يْواسيكْ

ولْيا اقْبَلَتْ عِدَّكْ اعطوَرْ البْهارْ

تِكْثَرْ اصْحابَكْ والنَّشامى تْصافيكْ

تُنظِم دُرّ القولْ، وتقولْ الِشعارْ

الحظّ يبري والسّعادهْ تباريكْ

ولْيا تصدّتْ مالْها اقيودْ وعْذارْ

كُلّ الخلايقْ بالملامهْ تْعاديكْ

تْصبحْ وتمسي مَصْدر لكلّ الِخْطارْ

كُلّ ما لاحَ القوُل كِوهُو أَساميكْ

الِقلّ ذِلّ، لاكِنْ الِقلّ مُوعارْ

الطيّبْ اللّي من وَطَهْ الخير يِقّويكْ

تْشحّ النفس ماهي مع الِقلّ تِنْدارْ

وبعضْ الِكرام سَاديهْ مِنْ سَواديكْ

ولْهْ اكْرامَ الضّيفْ سِنّهْ ولَنَا كارْ

حُورانْ دارَ الضّيفْ اسْأَلْ أهاليكْ

الجودْ ماهُو وقْفْ عَ صْغارْ وِكْبارْ

الطيّبْ اللّي دُوم صحْنوا يْناديكْ

الجَذْرْ مايحْمي اغْصانُو منَ النّارْ

والحِلْم سيّدْ وَالسّماحَهْ تغطّيكْ

بالكْ منَ العِشرهْ وحِرْص على الجارْ

ترى جارَ الجارْ بالرُّوحْ يِفْديكْ

وبعض الهرج ياصاح يصلح للبذار
المسانع رسولك وحرص الهرج يغويك
بعض الرجال امزون عالين القدار
ربك اعطاهم علم وبالعلم يرضيك
ضمير صافي ما يهدون الجدار
بالحق ينطق وبالكرم ينا ديك
وبعض الرجال كنهم قصر فخار
شوفة وماضنيت بالفعل يرويك
حذراك ياتسل الاجاويد تنهار
ترى الخلايق زايله وليك واليك
وربك خلق دنيه في ليل ونهار
نور وعتمة وحفنت اتراب تاليك
عتمة ليالينا وفي ليلها اقمار
نرقب فجرها والفجر ضاهر وفيك
تركي غزالي الشيب ونيه الوجع كار
وشكوى النفس تكفي والحلم يكفيك
ما هقوتي الدنيا تنقاس بشبار
وإن قستها بالفتر ما ظن ترضيك

الأرض مثل الرجال سهله ومنطار
ومثل الصحاري انضيعك وهي تناجيك
ملّيت طول الصبر يا صرت صبّار
وصبري يجمعوا الروح فوجه على اديك
هدّت احصوني وهاي ترتيب القدار.
أرعى من الرعيان اجفور وشرابيك
اسرح أني والذيب ونرعى بالقفار
دنيه ونزّتني ليتها ما توازيك
اللي يقني الصقر بالعون صقّار
واللي يقني الجرو ينبح على الذيك
العلم عندك وكافي العلم يا دعّار
إن كان الوصايه أتنيد حقّه توصيك
طول التمني جففت سير النهار
وكثر الشقا وعي غيّرت لون واديك
وصلاة ربّي عد ما رفرف اطيار
على نبينا قال: للحق لبيك
محمّد رسول الله لا كلّ القطار
يشفع لنا في يوم من النار يحميك

مِنْ بَعِدْ ذا شَدِّيتْ حُلواتَ اِلبكارْ
بُكْرِهْ نسُوقِ الدَّربْ ونَاصِلْ مَعاليكْ
مِنْ فوقْها نجَّابْ بارودَهْ ثَـارْ
بَذْرِ الحَدادي يِطِلّقوحين ايْلاقيكْ
يَمِّ المليحَهْ فوِّع الدربْ مِثْوارْ
يِنْقُل سَلامَ الله وسَلامَتَه ليكْ
السَّلامْ لِلهْ يا مَليحينَ اِلشْوارْ
شُورِ عَلينا وبِالسَّلامْ نِعزيكْ

الشاعر: أحمد عبدالرحمن قداح

٤ ـ هاجت أرياح الشوق

للشاعر: أحمد عبد الرحمن قدّاح

إضاءة على النص:

الشوق يؤرّق الشاعر أحمد عبد الرحمن قدّاح، ويحرمه لذيذ المنام، فيُسلّي نفسه بذكر القهوة، ويُعدّدُ صفاتها، وأدواتها، والنار التي تُنضجها، والمتكأ الذي يستند إليه شاربُها، والتبغ والتنباك الذي يُدخَّنُ على طعمها ورائحتها،

ثم ينتقل بعد ذلك ليحدّثنا عن الخيل المسوّمة وفرسانها الغرّ الميامين، وسيوفهم الصادقة ونجدتهم عند النفير والغارة.

ثم يتجه بنا إلى أبيات من الحكمة، فيلخص لنا تجربته في هذه الحياة، وما يراه صواباً فيها. فيقول:

النص:

البارحة والقمر حايم ع البراجْ
ونجم الثريّا فوق كلّ المخاليقْ

هاجت ارياح الشوق من غير مِزْهاجْ
وطرين عليّهْ امزيّنات الدّواوينْ

السيف وَالقرطاس ونقرة ومِهْباجْ
وريحَ العَصير امعَطّراً بالفناجينْ

وارقيلتا يطرب لها كل دواج
شعر البنات وفيه عطر الرياحين
دخانها جوه الصدر يدعج ادعاج
العطر والعطار وهوجبت محبين
تتنا وتنباك وزهبت أبوتاج
هيلا مزعفر من حوايج السلاطين
والميركة والخرج وفروخ الدراج
وغصن المعسل فوق صدره جمرتين
ودلة اثنا عشر مجمر النار بوهاج
لاصاح صدره والمه للنياشين
يتعانقن مع شهب سرعات الهياج
في نظرتن ترمد لهيب النيارين
وغرنوقه كنه حوريه امواج
لافاح عطره شاع ريح البساتين
لاصبها الصباب وفي صدرها راج
فنجان يشفي عاطبين الميادين
ومحماستا لاطوقه النار بسياج
يزهي وكدها لا انتثر بالقياشين

لْيا هَنَا والجُرُنْ في صوتٌ رَجَّاج

يطْوَبْ له الحَجَّاجْ لاصَاحْ كُلْ حينْ!

يَامَا حَلاَ وكُلْ ليل صِدرًا ومَدْراجْ!

وصَحْنٍ يحفُّونَهْ قَدْ عدىٰ الثمانينْ

يِتْلاَ يَعُوه اصْفُوفْ وافْوَاجْ وامواجْ

وعينَكْ اتْشُوفْ امْجَهْزِّينَ المواعينْ

وعَشْرةٌ اسروجْ امشَوّرِاتٍ بديباجْ

وعشرةٌ أصايلْ امْوَتقَهْ بالقَواشينْ

وعشرةٌ اعيالٍ يِدْهموا الصيدْ نحراجْ

لامَا رِمْشَ العِينْ يَضفي علىٰ العينْ

طال الصَّبْرْ يا عيَالْ بسنينْ اعْوَاجْ

القيدْ أرحَمْ من عَسيفَ القَوانينْ

سُلْطان يامِشْفايْ ما عُوزْنَهْ اسْراجْ

وِدّي اعْقالي تَلبسُو عُقْبَ السنينْ

عُفْتَ المجالِسْ كارِها طُولَ العِلاجْ

دْيانَهْ بَعدْ وعَاصي على الدِّينْ

السيفْ أَصْدَقْ لا اعْطى الضِّدْ مِنْهاجْ

أصْدَقْ لاعَانَقْ ارقابَ العَدوِّينْ

هَمِّي كبير ومَدْمَعَ العين مَا لاَجْ

لاحاب ضَنَّكْ فيِ سوات المِسْعقين

يا لا بتي ماعوزنَهْ طبّْ ورواجْ

الشوْر عِنْدَ اللّيِّ على الفِعلّ دارينْ

الفَهَوْ غابْ وهَاجَسَ الرُوحْ لَجَّاجْ

وجَرحي على حَالو ماهقوتي ايلينْ

لا فجُرْ لَيْنَةْ ولا صُبُحْ فيه معراجْ

وشلي بْرَبِعًا عِدْهُم كالمواعينْ

عدّا الوجايلْ بساحة المكُونْ لا فاجْ

عجْ الاصَايلْ ونستوتليّ الميازينْ

لَعْيون مَنْ عَجّْنْ زغاريتْ الفراجْ

ولَعْيون مَنْ شالو كبُرْ الفَيا طينْ (١)

يِخْفي سوادَ اللّيْلْ لاعرهُمْ هَاجْ

لاهَاجَت الدُّنْيا على العوجْ صِلْفينْ (٢)

صِلْفين يوم المكون مايدْفعوا لباجْ

ومَا يقْبَلون الذلّ عِزوهْ عَصِيّنْ (٣)

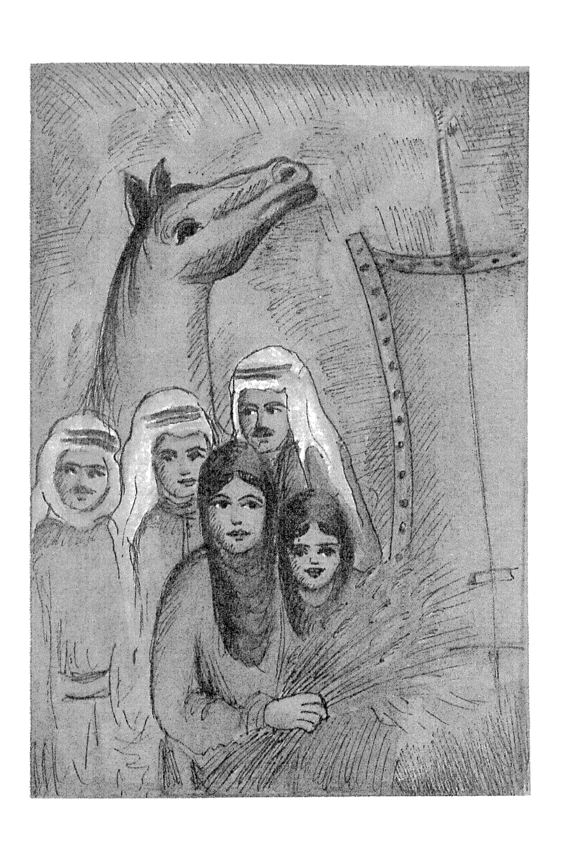
ماهُمْ عَدَدْ وِعْدولْ وميلادْ وخراجْ

ولِيهُمْ أسامي وفي لِيهُمْ عَناوين

الرِّجَالْ ساسْ أَوْباسْ وِمْراسْ وِسْياج
وَبَحْرْ ايلاطِمْ ويِلْتَطِمْ بالبراكينْ
عِدّ الرجَالْ اسيُوفْ وِعْضُودْ وِبْراجْ
عُونَه لَلدّنيهْ بكلّ الميادينْ
وصَلاةْ رَبِّي عِدْما حَجْ حُجّاجْ
عَلى نَبِيّ الله وأدى فَرْضْ دينْ

أحمد عبد الرحمن قداح

١- عجّنْ : صوّتن ، أصدرن صوتاً عالياً بالزغاريد .
٢- الخوج : الغوغاء ، الدّهماء
٣- الباج : ضريبة مباشرة تدفع عند بيع الدابة .



٥ - جويّد النّاسْ

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص :

للحاج حسن العثمان السلامات أبو محي رمنّةٌ في عنق الشاعر أحمد عبد الرّحمن قدّاح «أبو عرب» وأراد الشاعرُ اعترافاً منه بالجميل أن يوجه له، هذه القصيدة علّه يوفّيه حقّه، ويردُّ إليه بعضَ جميله، فأنشأ هذه القصيدةَ ووجّهَ بها إليه، لتنوبَ عنه في مدحه وتبيانِ أثر أياديه البيضاءِ على الشاعر الذي وجَدَ لزاماً عليه أنْ يؤرّخَ لصديقه ويُعدّدَ فضائلَه التي يتحلّى بها من كرم ونجدةٍ. فهاهو يقول :

النص :

يا راكبَ اللّي عِدَّها حِلْمَ النحاسْ

حُرَّه سَريعهْ من ابْكارَ البوادي

عجلهْ سَريعهْ خَطْوها يعقِدِ الراسْ

لا زَرفلَتْ تطربْ عَشير الحدادي

منْ فُوقها نجّاب لَلّيل دوّاس

زايِد ذْعارَ الخيلْ قاضِي امْرادي

ياهِيةْ ريِّضْ زُهبْتِي لِيكْ قِرطاسْ

وخُوجْنَا امْزيَّنْ مِنْ نسِيجْ الغنَادي

خُذْلِي مَعاكْ الخَطّ لَجْوَيِّدِ النَّاس

صَحْنَه كبيرْ ودوم صَحْنُو ينادي

سَلِّمْ عَ ابومِرعي في طَيبَ الِنفاس

مِرجايْ يامِشفايْ يِطْلِقْ جَوادي

أَخِي طَرِيدَ الخيل والقَلْبَ مِحْتاسْ

العرِفْ ياهْلَ العِرفْ أَنْتوا اجْوادي

أَنْتوا اخيارَ النّاسْ في قَوَّتِ الْباسْ

وأَنْتو لَنا ياشيخْ بِالعِلمْ هَــادي

اِكْرم وجَاهَكْ ياوديدي على الراسْ

لَولاكْ ماجانِ الوَفا والسَّدادي

ولولاكْ ماحَطّيتِ عَ النّارْ محماسْ

ولولاكْ ماريتْ وجُوهَ الوَّبادي

يابُو مِرعي كِلْنَهْ لِيكْ حُرّاس

أَنتَ الجوادْ وعِنْدِ عِينَكْ اولادي

يامِكْرِمَ الجِيرانْ في طيب الِحْساسْ

ياصَقْرَ دَادحَامْ بِكُلّ النّوادي

عِلْمَكْ يا راعِي النَّفيلاتْ رَوّاسْ

يا كاسْيَ العَرْيانْ والليلْ بادي

جاهَكْ على عَدْنانْ عَ العينْ والرّاسْ

بِلْعونْ أبو العَبِدْ قاضي امْرادي

في راسْ نابي اموح الصَّحِنْ لَعْماسْ

رُوسَ العَطايَهْ اَمْجَدِّدْا لِلسَّوادي

الجونْ بِنْدَه والمعاميلْ تِنْقاسْ

في رَبْعَتَكْ أجواد كُلَّ البِلادي

يا راعِي الذُوداتْ مِنَ الرّاسْ لَلسّاسْ

عَسى أيّامَكْ مْزَيَّنِهْ بالسَّعادي

أنتَ الشرعْ والسّيفْ في كلّْ مِتْراسْ

وليكَ الرَّكايِبْ وَالمدْ بالمشَّدادي

تِقْضي أمْرادَكْ دُومْ لَلضِّدْ دَوّاسْ

وحْنَهْ لَكُمْ يا جْوادْ عِزْوَهْ وسنادي

يومَ الركايبْ طَبَّحَتْ وسْطَ الطّعاسْ

تاهَتْ اشْوارَ أرجالْ راحو غَوادي

صاحوا هَلا الذُوداتْ مِنْ بطْنَ اِلكْداسْ

شُمُطَ اللّحى صاروا طَعامِ العَوادي

وسَمْحانْ عَشَّهْ أتراب حُورانْ بضْراس

وصَاحُو عليهم مِطِحْمينَ الجَرادي

حُورانْ دَارَ الصنيفْ ماضامْها اقْياسْ

وإنْتَ فَتاها يُومْ حَانَ السَّدادي

حِنَّهْ كِسْبِنَهْ من الصَّماعيرْ نومَاسْ

ورُهُبُتْ رجالاً داعِيسَهْ رَماديّ

حُورانْ غِمْدَ السِّيفْ فِي اتْرابْها اغْواسْ

اجْبالْ المُوتادْ ماتِطيقَ التَّعادي

خَضْرَهْ وفَيِّهْ بينْ دَرْعَهْ وميماسْ

الذيبْ يرعى والحَمَلْ والشَّوادي

وانْتَهْ تجرْها دُومْ بالطِّيبْ غطَّاسْ

يِطْهورهِنْ لاصاحْ صُوتَ المنادي

ياهفْةَ المنْظَامْ ياعُصبةَ الراسْ

درعَ اليَتيم مايْعوزَكْ رَشادي

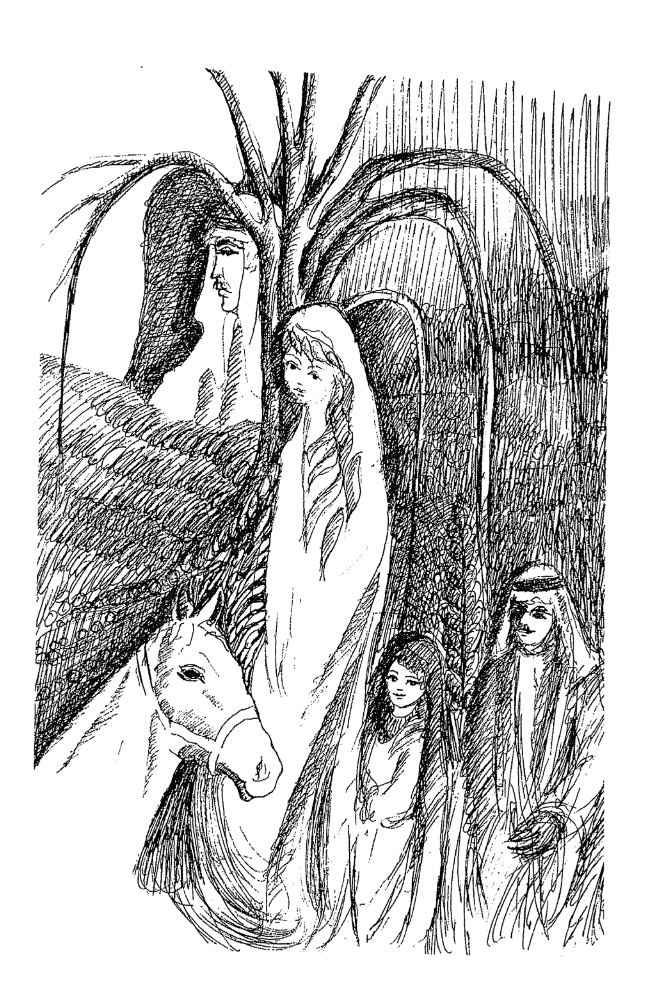
سَلِّمْ على عَدنانْ ياخيرْ لبَّاسْ

دَرْعَ الكرامَهَ وصارْ لَلجودْ وادي

خَضْرَهْ مَفاليِنَهْ مِنْ عِقْبَ اليِبّاسْ

وعُشْبَ المَراعي زادْ وَالخيرْ بادي

يا زيدْ يا مِشْفاي بالقَلْبْ هوجاسْ
خُذْلي اكْتابي وعَ الدَّرْبْ لا تْوادي
وِجْهكْ على لِحْراكْ وبالكْ ولقْواسْ
تَرى فشكهُمْ دايمًا بالمْرصادي
مِلْفاكْ أبو مرعي لِلِبْنْ حمَّاسْ
دارُهْ وَسيعة، لِلْحَرسْ وَالطّرادي
سَلِّم عَ ابن عُثمانْ وعَ كُلّْ جلاَّسْ
وِقْري التحيّةْ للرَّبْعْ وَالقيادي
يلقوكْ بالفَرْحَهْ وتِنْقامْ العراسْ
ونورِ المشاعِلْ ظاهرْ بكُلّْ وادي
يا خيرْ مَنْ هو للجليلاتْ لبّاسْ
ويا خير مَنْ وَدَّه الدوَهْ والضّمادي
العُذْرْ يا هْلَ العُذُرْ وانْتو على الراسْ
جَفّْ القلمْ وِنْحازْ سيلَ المدادي
وَصلاتْ ربّي عِدّْ ما حجّتِ النّاسْ
على نبي لو عِنْد رَبُّو اعْتِمادي
يِشْفَعْ لنا في يومْ تِلْتمّ الجْناسْ
حِنّا وهلا التوحيدْ وأهلَ الشهادي



٦- عِطْرِ المراعي

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قداح

إضاءة على النص:

الشاعر الملهم أحمد عبد الرّحمن قدّاح أبو عرب، صيّادُ فُرص، وقنَّاصُ ظباء، فقد كتب في مقدمة هذه القصيدة قوله:

«هذه القصيدة، من عطر المراعي، وهي من أثر حديثٍ جرىٰ بيني وبين مَنْ وجَّهتُ لها القصيدة».

وهنا أنا أتركُكَ مع أبيات هذه القصيدة تستطعمُ القريحة المتَّامنة، والمعاني الرائعة فيها، أتركُ لكَ الحُكم دون أن أتدخل في ذلك.

فتفضَّلْ أيها القارئُ العزيز:

النصُّ:

النّاسْ نومَهْ وَانِي ليلي أنُودي
قَلبي ايْعاتِبْني مناحرَّ السّهَادْ
مِنْ واحدٍ عَيَّا يُوفِي اوْعُودي
ياحْمُود عاجَنّهْ عَيّهْ ولاَرادْ
صابَتْ صَميمَ الْقَلْبْ وحنَّهْ اقْعودي
ويومٍ تِتَنّتَّ فَزّتْ اتقول طراد

ضِحْكَتْ بِشُوقْ ونَكْشَتْ براسْ عُودي
وعضَّتْ على ابريطِمٍ تِقُلْ نارْ وقّادْ
قالَتْ تَرى حِنّا مِثْلَ الورودي
ولا أحْنا جَليسٍ بِنْضَحُوكلّ ورّادْ
حِنّا بناتَ البدُو مِثْلَ الرعُودي
تِسْمَعْ بِنا ونصْعَبْ على كُلّ صيَّادْ
مَحْنا عَ لاغَنايِمْ عارضاتِ النهُودي
ولا احْنا مِن الجهّالْ للْخَلِقْ اسيادْ
الشمسْ بِتْطلعْ باديةً عَ النفُودي
ونَعْطي الفُلُحْ من عُقبْنا بعضْ مازادْ
لينا اجْذورَ الأرضْ كُلّها احْدودي
ويامَا زَرعنا الأرضْ ارصاصْ وعِنادْ!
لينا عَهد الله وطبع الجدودي
من ضاقْ مِلْحَ البيتْ يِقْلِطْ على الزّاد (١)
قُلْتْ لها إنْ كانْ قلبِكْ صدودي
ماحِبَّ أيْ كُلّمَنْ مَلْعَبْ وصَدادْ
الحبّ عِندي امبيناً له احْدودي
ماهو لِعِبْ بقلوبنَهْ وعشرةْ اولادْ

إنْ كانْ قَلبكْ منْ هَوانا جْحودي

مالِي منَ اللّي ع َالرديات ينْقادْ

ودّي ولَيفاً ايضُمْني بالْحُودي

مالِي على الوْلاَتْ يابنتْ معتادْ

أبي صفيَّ البالْ هيه يا العنودي

أصُونْ ملْحَ البيت ومَالِي برْوادْ

قَلبي وَزالِي وعَوَضْلي اشْهودي

خوفي من الله قبل أبيّن للشّهادْ (٢)

قالَتْ كفَّ الهرجْ وليكَ العْهودي

مابُوحْ أبي بالسِرْ وقلوبْنا ابْعادْ

سَمّتْ وقالَتْ بَسْ ودَّنا انعودي

الخَيْم عِطْشَتْ وبعدَتْ عنّا البلادْ

وحطّتْ على قَلبي ثِقَلَ اللحُودي

وسدَّت دروبَ الحبّ تاعُفتِ العْبادْ

عُفْتِ العمُرَ والزادْ وانكَرتْ جُودي

مِنْ واحدٍ جَدَّدْ عاداتَ الجوادْ

غزاً جميل القدّحلواً ودودي

ياليتْ ياحْمود لِلقَلْبْ وَدّادْ

اقْفَتْ وخلّتْني على غيرْ فُودي

كنّي لَجَمْر المعاميلْ وَقّـــادْ (٣)

عِدّي أسْبَّ المنارْ بحلم السـهُودي

أصيحَ ونارَ الحبّْ بالقَلْبْ تزدادْ

ليا هَنُو مَنْ ضَمَّها بالزّنودي !

واليا هَنُو مَنْ عاشْ عَ العينْ ورّادْ !

ولْيا خَسارَه ذُقِتْ طَعْمَ الصدُودي

صدَّتْ وخلّتْني مَعَ الصدّ منْصادْ

أحمد عبد الرّحمن قداح

١ - يقلط : يتقدم ، يقترب .
٢ - وزاني : اضطرني ، أرغمني .
٣ - غير فودي : بدون فائدة .

٧ـ البارحة عُقُبْ ما نامتِ النّاسْ

للشاعر: أحمد عبد الرّحمن قدّاح

إضاءة على النص:

عِطْرُ المراعي ... ظلَّتْ تسكنُ الشاعرَ وبعد أن انتهى منها، ظل في نفسه أحاسيسُ لم يكتبها، فباتَتْ معه، وباتَ معَها، ولم يستطعْ أن يتركَها حبيسةً، في صدره، في قلبه. فأنشأ هذه القصيدة يُتابعُ فيها ما يُسافر فيه من أحلام تجسُرُ ما بينهما من مسافات، فقال:

النص:

البارحة عُقُبْ ما نامتِ الناسْ

اطلِعتْ أراقبْ فوق رجمٍ طَويلي

أراقبِ الطُرقانْ، ومالي بدَسّاسْ

ورقبْ وَليفاً هقوتي انّه يجيلي

الموعدْ صايرْ بينَنَهْ بينَ الِقواسْ

عِدّهْ اجْنينَهْ مصنَّعهْ محيّ سيلي

فاتْ الموَعِدْ ولجّ صَدري بالِنْفاسْ

وضاقَتْ بيَ الدنيا وِنْهدّ حيلي

مَدري جَفا مِنْها وَلاَّ بْها انْعاسْ

وَلاَّ وَليفَ الروحْ جِسْمو عَليلي

عَسيتْها بالبيتْ والقَلُبْ مُحْتاسْ

مَرَّهْ بَعِدْ مَرَّهْ تاطَالْ لَيـــلي (١)

يابو انهودًا مالِهِنْ بين اقْياسْ

اثْمار تِسَبَّهِنْ بأَيـّـا خَـميلي

سَهَّرتْني ياسْفَيْفَا القدّْ لا باسْ

حتىَ الاشارَهْ صرتْ فيها بخيلي

ماالي بْجَوّافاً ولا أَني بطَفّاسْ

ولا أَني مَن الجُهّالْ عقْلو قَليلي (٢)

أَخافْ مِنْ هَرْجْ المِبغضينْ لَنْقاسْ

قَدْر الرجَالْ ويِنْهشونَ بْشَليلي

ودِّي وليفًا صافي الروحُ حَسّاسْ

لاماَلْ دَهري دايمًا يِصطَفيلي

مالي بلَيٍّ ماهوا وعُود أَوْ ياس

وما لي بلي مَعْ كُلْ ريحًا يْميلي

خَلّكْ مَعي بالشوُرْ وتْرُكْ حَكي النّاسْ

اترُكْ وديانا هجرْها المسيلي

بيني وبينَك صارْ عَ الوعدْ حُرّاسْ

كِنِّكْ نويتِ البُعِدْ لاتِبْتَليني

الفَجُرْ لاحْ وتبيِّنَتْ كُلَّ الِطْعاسْ

وأني ناطِرْ فرصتاً مُسْتحيلي (٣)

وعندَ الصُّبُحْ دَنِّيت جُرْنَنًا وْمحْماسْ

وسوِّيتْ فُنجانا أمْبَهَّرْ بهيلي

وناديت بعالي الصوت هاتُوا القِرْطاسْ

تَكْتُبْ مافي خاطْري لَخَليلي

يا اللهْ لاتِبْتَلي مِحبًا بالِفْلاسْ

ارْحَمْ فُؤادًا صارْ قَلبُو عَليلي

بحقْ الرسول اللّي حَجّتْ لَهُ الناسْ

وحقْ الحَرَمْ والبيتْ اِلهِنْ دَخيلي

أحمد عبد الرحمن قدّاح

١- محماس: محتار، مشغول.

٢- طفاس: المسير في الوعر.

٣- الطعاس: الكثيب المتحرك من الرمل.

- ٥ -

الشاعر

عبد الكريم خلف الحمصي

١ - حوران

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

الشاعرُ عبدُ الكريم الحمصي من فرسان حلبة الشعر بدرعا، ديدنُه حبُّ الطبيعة في حورانَ وما يتحرّكُ فيها من أناسيّ وأوابدَ، وما يتناوبها من مواسمَ ومناسبات، وما يعمرها من مضافات وبيوتات مازالت مُشرَعةً للأضياف والمعتفين. وأرادَ أنْ يجعلَ من قصيدته هذه، الموجّهة إلى صديقه الشاعر هاجم عيازرة معرِضاً من معارض القول، يعدِّدُ فيها هذا وذاك، من العادات والتقاليد التي يتمنّاها أنْ تظلَّ راسخةً على مرِّ الزمان، فقال:

صلى الشاعرُ الفجرَ، وقرأ القرآنَ، وتنحنحَ حولَ الدارِ، فطلعت الشمسُ، وجاءت ضيفةٌ تدقُّ بابَ الدار فاستقبلَها ورحَّبَ بها وصبَّ لها القهوةَ العربيةَ فُنجاناً بعدَ فنجان تفوحُ منه رائحةُ الهيل المسحوق، وغليانها على النار، ثم بدأ فسألها الأسئلةَ التقليديةَ عن الأهل والحال والحلال، ويُعدِّدُ من الأسماء التي كادَت أنْ تضيعَ في زحمة التغيُّرات الاجتماعية والمعيشية.

ثم ينعطفُ بالحديث ليسألَ حورانَ حُبَّهُ الأوّلَ والأخيرَ كلَّ حورانَ أمِّ المنازل التي تستقبلُ الوُرّاد، والأمطارَ والخيرات: أما زلتِ تستقبلينَ الزُّوّارَ من الرجالِ والنساءِ، ليزرعوا، ويبذروا، ويحصدوا، ويجمعوا المواسم؟ أما زالتْ أعراسُكِ تملأُ الأجواءَ، وتدقُّ الأرضَ

بالدبكاتِ، والميحة، والجوفية، وتلتهبُ السماءُ بالبارود والنيران، وتهزُّ الزغاريدُ أقطارَ الفضاءِ فينتشي الشيبُ والشبانُ، وكلّما انتهى فوجٌ، قام فوجٌ آخر يدبكُ ويُغني بعد أنْ أتعبوا الفوج الأوّل، واستنفدوا قواه؟

ثم يتّجهُ بعدَ ذلك وقبلَ نهايات القصيدةِ إلى صديقه أبي يزن هاجم العيازرة يسألُه لماذا هُجِرَتْ دارُ الجَزْلِ ذي الرائحةِ الطيّبة كالحرمل المدقوق والقصب والغار؟

ويشكو له زماننا هذا ويذكرُ أيامَ زمان يوم كانت جِمالُ البدو تُجلَبُ لِنقلِ المحاصيل من السهول إلى البيادر، كيفَ تلاشتِ اليومَ ولم يعدْ لها أثر؟ ويتمنى لو تعودُ تلك الأيامُ وتعودُ روائحُ الوطن تسكنُ القلبَ والشرايين وتُلوِّنُ المنجيعَ الأحمرَ فيها، فهذا هو الوطن أبا يزن وليس كما آل إليه طينةً وحجارةً!

النصّ:

صَلّيتْ قبلَ الضَّوْ وقْريتْ قُرآنْ
اتْنَحْنَحتَ أُمّي وتَدَّيتْ من جانْبَ الدّارْ
وبَوْ الشَّمسْ طِيفهْ وَدُقّ بلِيانْ
يامِتْ هَلا بالطَّيْفْ وحَيّ لنا زارْ
اسقيتْها فُنْجان مِنْ بَعِدْ فُنْجانْ
مْهيّلْ ومَسْحونْ ومَغلي على النّارْ

سألَتْ شلونْ الكلّ وشْ لونْ لِوْطانْ

شْلونكو يَاناسْ صْغارْ وكْبارْ

شْلونْ أبُو داهودْ وشْلونْ حَمْدانْ

شلونْ أبُو بايِنْ وحسينْ دَوّارْ

شْلونْ تِرْفه وبيكَهْ وأُمْ جَرْوَانْ

شْلونْ لوزْمِةْ وزَمْلِهْ وأُمْ زِنّارْ

شْلونْ المذاري والكوابِل والوّان

ولِقرْبْ بقاعَ الدّارْ والكِشِكْ والكارْ

والتوّر تبرْقْ ولِجدايا ولِحْصانْ

شْلونْ السّهلْ والفَشْ وشْ لونْ الحمارْ

خَابِزْ غطيّةْ اتْرقْ عَ الصُّبحْ رِغْفانْ

أطيبْ على الجوعانْ مِنْ هيلْ وبْهارْ

مَاعادْ شفتْ نْعاجْ تِسرحْ بوِدْيانْ

ومَاعادْ شْفتْ رقيطَّهْ وشُوكْ ومْرارْ

ومَافيشْ دْراسينْ ومَا فيشْ تَبّانْ

ومَا في حَدادي عَ البيادِرْ ولا شعارْ

ومَا فيشْ جنّاياتْ والبِرْ عطشانْ

عكّوبْ مَعْ جعْدِهْ ومُقرَهْ ونوّارْ

شُو صَارْ يا حُورَانْ يا كُلْ حُورَانْ
يَا امْ المنَازِلْ والزّلازِلْ وِلْمِطَارْ
كُنْتِي تَلْفِي النّاسْ زُلُمْ ونِسْوَانْ
لَجْلَ الحَصِيدِهْ والرّجِيدِهْ والبِذَارْ
العِرْسْ كانْ يْرِجْ وِتْثُورْ نِيرَانْ
مِيحَهْ وجُوفِيّهْ دَبْكَاتْ وطْوَارْ
الزّغَارِيتْ تِهِزّْ شِيبْ وشُبّانْ
كُلْ ماخِلِصْ طَارُوقْ يِنَادُوهْ مَاصَارْ
جْمَالِ العَرَبْ مَاعَادْ يِلْفِي وعُرْبَانْ
طَشّتْ وليل يِشْطَحْ بَهامَعْ نْهَارْ
يابُو يَزَنْ وِينْ الجِزِلْ لِيشْ هَمْدَانْ
والحرمَل المدقوق والصّرْ والغَارْ (١)
يَابُو يَزَنْ يَارَيتْ تِرْجَعْ لَنَا زْمَانْ
يْصِيرَ الوطَنْ بالدّمْ مُشْ طِينْ وِحْجَارْ

عبدالكريم الحمصي
٣ / ٣ / ١٩٩٥م

١- الصّر : نوع من نباتات الوديان الشوكية .

٢ ـ يَاجَامْعَ النُّونْ والكَافْ

للشاعر: عبد الكريم الحمصي

إضاءة على النص:

هذه القصيدة زفرة حرى يتنفس بها الشاعر عبد الكريم الحمصي عن همومه التي أرخت بكلكلها على صدره وأناخت بجارب ثقلها على نفسه، ويتحدث بها إلى بعض أصدقائه، يشكو لهم همّه، ويفتح بنفسه، ويضمّنها شيئاً من عصارة تجربته عبر مسيرة هذه الحياة، ويعدّد الشاعر خصال بعض الناس الذين يحيطون به، فمنهم الصادق، ومنهم المخادع، ويوصي الأصدقاء المخلصين منهم بالثبات على ودّهم، وإخلاصهم، ويطلب منهم التذرّع بالصبر، فلا بد للضيق من فرج، يقول:

النص:

يَا الله يَلّي تجمعَ النُّونْ لَلْكَافْ

تجْمَعْ لَنَاحُبَّ التُّقى والقَنَاعَهْ

الله بلايَ بْيحَواكيْن وجْقَافْ

ما يطلعنْ غيرَ الأذَى والبشَاعَهْ

مِنْهُمْ يبيع الدِّينْ بتَحويلةْ عْفَافْ

الله يجيرَكْ مِنْ ظَلامَةْ طْباعَهْ (١)

ومنهم جذي برقبة الديك ماناف
ويهد ع الجاجات قبل الرضاعه
وبزعروت حيه دونهم من تحت خاف
الله يجازي كل ذيك الجماعه
يا ابو صلاح لحي مع الين تنداف
ويا طعمة المخروم يوم المجاعه
وصلاح يلحي للزمن ذهب زفزاف
ويا بخمة بالليل والحي شعاعه (٢)
وحياة يلحي يشربون اللبن صاف
من ديذ أم طاهرة من الرضاعه
ما في قصير الباع لو دهرنا حاف
وما في جبان إن طول الدهر باعه
مرت علينا ظروف كنا بها ضعاف
لكن صبرنا للمحن بالشجاعه
والله لولا الحي بخوف ولا يخاف
ولولا بنات عند عمك وداعه
ولولا الفضايح والقبايح ولرجاف
لابين المكنون واكشف وجاعه

لَا قُطْتُهُمْ بِيمِبْصَنعي قَطّ لِخْوَافْ

وَشَيِّعْ بِهِمْ ذِيبَ الفَلاَ مَعْ سبَاعَهْ

أكْمِي لَهُمْ مَابِينْ تِينٍ وصَفْصَافْ

بَلْكِي تحُطُّو لَبيضَ الحَقّ طَاعَهْ

لَكِنْ يظَلُّو لَلْكِذِبْ قُوسْ نَدَّافْ

تا يُنْفُخْ سْرَافِيلْ وْقَامَتَ السَّاعَهْ

الامْ يَلِّي صَدِرْهَا منَ العَطْفْ جَافْ

مُشْ مُسْتَجَابِهْ دَعوةٍ أوْ ضَرَاعَهْ

الامْ إسْمْ مقَدّس مَابَهَا خْلافْ

ولِّي تْضَيِّعْ وِلْدَهَا زُوعْ زَاعَهْ

الأبْ يَلِّي لِلْرَّحنيصَاتْ وَقَّافْ

مَالُوشْ عَ المولُودْحقٍّ وطَاعَهْ

والأُخْتْ يَلِّي دُونْهَا الأخْ وَقّافْ

صَارَتْ تْبِيعَ الأخْ جُمْلَةَ بْضَاعَهْ

والأخْ يَلِّي للزّمَنْ يَدْ وِكْتَافْ

قَطَّعْ بِنَا حَبْلَ السُّفُنْ مَعْ شْرَاعَهْ

اسْتَلِيتْهُمْ دَهْرِينْ والقَلْبْ نزافْ

ودْمُوعْ عِينِي فُوقْ خَدّي سْرَاعَهْ

ونهم سراب عامدى البيد طوّاف
قلنا هلا بالضيف وقلنا وداعة
أوصيك يا أبو حميّد يا عالي الوّاف
مع إخوتك أهل الوفا والجراعة (٣)
إلبسوا ثياب الحق وكونوا بها نظاف
ولتوصخون كفوفكم بالجشاعة
إصبر هداك الله والمعتدي هاف
ون طاف ساعة طفّ الدهر ساعة
واختم وصلي عالنبي نسل لشراف
محمّد العدنان راعي الشفاعة

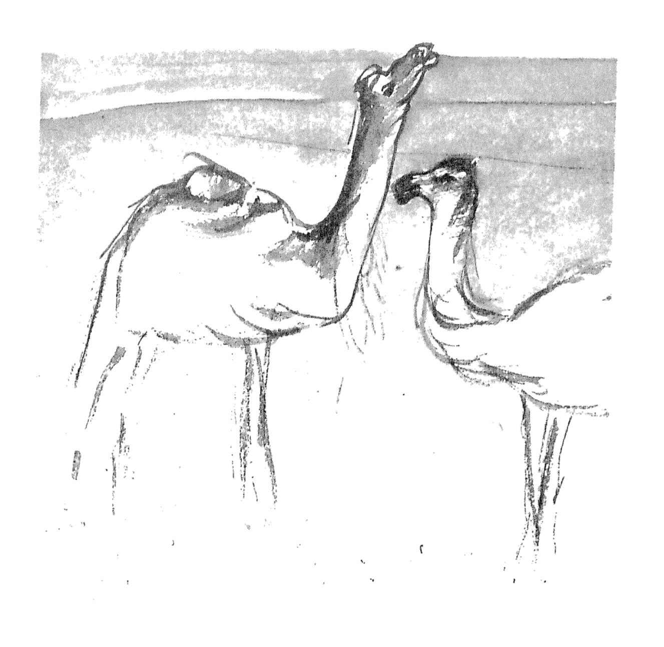
٦ / ٦ / ١٩٩٥م
عبدالكريم الحمصي

١- تحويلة : أن تجعل طرف العباءة كالحقيبة يُصَرّ بها .
٢- زغزاف : الناعم من التراب أو الرمل أو الذهب . ويعني التبر .
٣- الجراعة : الشجاعة

- ٦ -

الشـــاعر

هاجم العيازره



١ - بَدِيتُ بِسْمَ الخَالِقَ الكُون

للشاعر: هاجم العيازرة

إضاءة على النص:

يتلقى الشاعرُ هاجم عيازرة أبو يزن قصيدة صديقه الشاعر عبد الكريم الحمصي أبي محمد والتي عنوانها «حوران» فتملأ رئتيه برائحة الهيل والقهوة، وتعبقُ حوله روائحُ الغار والأعشاب ويتملأها، وتستثيرُ خياله بما فيها من أسماء ومُسمّيات، وتشحذُ هِمَّته فيقول:

إنه يبدأ قصيدته باسم الديّان خالق الأكوان الواحد الذي يتبع الليل بالنهار، راعي البرية وحاكم الإنس والجان ماحيَ المجرّة بالشهب والأقمار.

بعدها ينتقلُ ليصفَ لنا رحلته إلى صديقه الشاعر، فيشدُّ الرّحال على ركوبةٍ مستأنسة طيّعة يقودها إلى صديقه قبل أن تتململ الشمس من مرقدها بُكْرةً، وقبل أن يستيقظ مَنْ في الدار من نُوّام. ويجرِّد من خياله نديمًا يخاطبه ويطلب منه أن يحملَ كتابه قاصدًا ديار الشاعر عبد الكريم الفنان، ويوصيه ألاّ يطرقَ له بابًا، لأنَّ أبوابه مفتّحةٌ للأضياف والطارقين والجيران، وكذلك منتدياته، وأقرئه تحياتي وأوصل إليه أشعاري.

ويطلب منه أن يقول له: أخبارَ غضبِ أبي داهوك وأخبارَ التي انقطعت، وتبدأ لوحات من الوصف للعادات والتقاليد تعيدُكَ بروعة دقائقها وبراعة تفاصيلها إلى الأصالة والعراقة

التي كان يعيشها أجدادُنا بعيداً عن زيف الحضارة وبهرجة الأزياء ، فأبو داهوك كان يرتدي زبونًا بلا أردان وقمصان لا عراوٍ لها ولا أزرار . أمّا ترفةُ وشمخةُ وأمُّ غالب وغيرهن من نساء القرية فقد توظفن ، وصار لهن أخبار ودواوين .

ثم يُعرّجُ على وصف أدوات الحراثة والبيدر ويُسمّيها بأسمائها التي يكاد الدهر أن يبليها ، أما العذارى الجميلات فلهن نصيبٌ وافرٌ من الوصف والتبديل والتغيير ، فأصبح الفستان بدلاً من الشرش ، وأصبحَ المدلعُ بلا شنبر ، والخصرُ بلا زنّار ، وكشفْنَ صدورهُنَّ ملاعبَ لطيبِ النفل وثمر الرمان ، وفوح البختلي والنواوير ، وتبدَّلَ مشطُ الخشب والعظم بمستحضرات الحضارة الوافدة التي غزتنا وبدّلت وغيرت ماشاءَ لها التبديل والتغيير ، وأصبحت وجوهُ العذارى الصافية النقيه مطليةً مسبغَّةً بالمعاجين والمساحيق التي ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان ، فللّه من دهرٍ خؤون وغدّار !! ولله في خلقه شؤون! .

ويَسألُ صديقه أبا محمد عن بول النوق والقطران اللذين ماعادا يَنفعان في هذا الزمان ، فكل شيء تغيَّر وتبدَّل ، وولّى زمن المواجد حين كان الجمل وسيلةَ نقل المحصول من الحقلة إلى البيدر حيث يكدس القش شمائلاً وأغماراً .

ويتذكر الشاعر هاجم عيازرة أفراحَ أعراسنا التي كانت تملأُ الآفاق، وتطفحُ السعادةُ والسرور على كل الوجوه شيباً وشُبّاناً ونشامى يشبكون أيديهم حلقاتٍ للدبكة مع المليحات الجميلات. يتذكر كل هذا وذاك كما يذكر مضافاتنا المشرفة على كلِّ الأركان تستقبل الأضياف والمعتفين ، حيث تدور القهوةُ

القهوة العربية الطيبة بين الرجال .

النص :

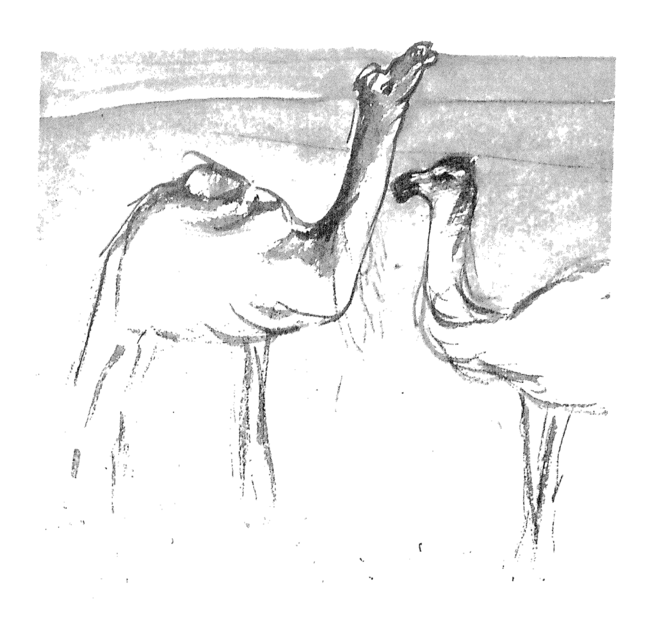
بَديتْ بِاسْمَ الخالقَ المكونْ دَيّانْ
الواحْدَ اللّي يِلْحَقَ الليّلْ بِنْهار
راعي البَرِيّة وحَاكمَ الأنْس وَالجَانْ
وزارع مجرّتنا شَواهيبْ واقْمارْ
من بَعِدْ ذا شَدّيتْ طُوعاتَ الإنْسانْ
قبل يِتَمْلَمَلْ شَمسْها وتُوقَضَ الدّارْ
خُذْلي كْتَابي بَسَنْ لا تَدُقَّ بِيبانْ
وانْصَى النّداوي مَعَدْيَ الضّيف وَالجارْ (١)
عبدَ الكريم صاحبَ الفَنْ فَنّانْ
اقْرِيه مِنْ صِدْقَ التّحياتْ بَاشْعارْ
وقُلُّو أَبو داهوكْ بِالحونْ زَعْلانْ
وضَاعَتْ اعْلُومُه وصارَ جَوّالْ دَوّارْ
لابِسْ زِبُونْ مْهَدْرَسٍ مالُهْ ارْدانْ
وقُمْصانْ مِنْ دونَ العراويَ وَالازْرارْ (٢)
وتِرْفَهْ وشَمْخَةْ وأُمّ غالِبْ وصيتانْ
توظِّفْ واهِنْ دَواوينْ وَاخْبارْ

وين المذاري من بعد جوز فدانْ
وصيقل وشاعوب ورحت ومفحارْ (٣)
شروش العذارى صار اليوم فستانْ
وتدلّعن من غير شنبر... وزنارْ
وصدورهن سوح النفل بين رمانْ
وفوح البختري خالطه اليوم نوّارْ
مشط الخشب والعظم لشعورهن كانْ
واليوم بذهن شامبو قبل سشوارْ
ولخدودهن طلي المساحيق ودهانْ
الله من دهر لعوب... وغدّار!
وما عاد بولك النوق ينفع وقطرانْ
يا ابو محمد كل شي نعرفه طارْ
اجمال المراجد وينها وين عزانْ ؟
وين البيادر والشمايل والاعمارْ ؟ (٤)
اعراسنا كانت تفاريح الازمانْ
وتلقى الشامي مكدسه اكبار واصغارْ
حبلاً مودع بين شيبا وشبانْ
والبنت تدبك والعوانس والابكارْ (٥)

كانَتْ مَضايِفْنا على سَبْعِةْ ارْكَانْ
والبِنّْ ما بين الوجَاجيلْ يِنْدارْ

هاجم العيازرة

١- أنضي : أقصد . معزّي : مُكْرِمْ
٢- زبون : نوع من اللباس مخطط بدون أردان صاية ، يلبس فوقه دفار .
مهردس : بالي ، عتيق .
٣- مذاري ، فدان ، سبيقل ، شاعوب ، رحت ، مقحار : كلها من أدوات الفلاحة .
٤- عوزان : عويشة من العيدان أو القش في الحقل أو البيدر .
٥- الحبل المودع : نوع من الدبكة يرتفق فيه شاب وفتاة حتى يشكلون حلقة .



٢- نخرِّ بيوتٍ محصّناتٍ سوارَهْ

للشاعر: هاجـــم العيانرة

إضاءة على النص:

مرثيةٌ يُزجيها الشاعر هاجم عيانرة مُعدداً مناقبَ صديقه المرحوم راشد الشحاف (أبو ناصيف من قرية المسمية)، الفقيد الذي تخطفته يدُ المنية في غفلة من القدر.

جرَّد الشاعرُ من خياله نجيّاً يُناديه ليشاركَه شيئاً من حُزنه ويحمِلَهُ بعضاً من همِّه، ويطلبَ منه أن يُعِدَّ له مُهْرَةً خفيفةً يتَّجه بها من جهة الصبح مسيراً، ناحراً نحوَ منازلٍ مُحصَّنةِ الأسوار، يحملُ كتابه إلى الأجاويد من الناس الذين يسكنونها.

ثم يبدأ بوصف وقوع نبأ وفاةِ الفقيد ووصولِ النعيّ عليه، فيقول: جرى الدمعُ من هولِ الفاجعة بغزارةٍ فوق خدَّيْه ولا غرابةَ في ذلك، فهوَ إنَّما يذرفُ الدمعَ على رجُلٍ عظيم هوى كالنجم من سماء. ويتحسَّرُ لفقدِه وقد تخطَّفته الليالي الخاشعة! ويتأسَّفُ أشدَّ الأسف على فقد أبي ناصيف فَفَقدُهُ خسارةٌ كبيرةٌ.. وهذا ما جعلَ الوجدَ يشتَعِلُ، ويستعجل مسيرةَ القلم على صفحاتِ الطروس يخطُّ رثائه بحبرٍ من جَمْرِ المحاجرِ الحزينة على فقدِه وقد فاضت سواقيها.

يتَّجه بعد ذلك بالخطاب على سبيل التجريد أيضاً للفقيد نفسه فيناديه بصفةٍ هي قيمة القيم المدحية التي يعتزُّ

بها العربي ألا وهي الشجاعةُ ، فيقول : يا ضيغميّ ،
والضيغم هو الأسد . ثم يسترسلُ بتعداد مناقبه الأخرى ،
فهو منارةٌ بين أهله وذويه يأتمُّ بها الحداةُ ، وواحة يفيءُ
إليها ، ان تحتها فواحة في طول البوادي وعرضها ، لأنه نحرٌ
ناخٌ بالطيب ، كريمٌ في سِنِيِّ المحل مليحُ الخوالي للأضياف ،
وهو وفيٌّ ، نادرُ المثال ، طعامٌ أيام الشح يومٌ يذبح
مواشيه ، وثابٌ لعظائم الأمور ، ينتدبُ نفسه لِجُلّها ،
يدفع من ماله ليفكَّ الخصومات لا يحسبُ حساباً للخسارة
والربح عندَ المحامد والمماجد . وهو شجاعٌ باسل يصدم
جموعَ الأعداء الضواري كالنّباء - جمع لبوات - وهو معتادٌ
على استعمال البنادق فلا يُخطئُ مرماه لأنَّ ذلك ديدنه
وعمله ، يؤدِّي الحقوق إلى أصحابها ويساعدُ على ايصال
الحقوق إلى أهلها . وهو دائماً طليعةُ قومه في أيّة غارة يغيرُ
بها قومه ، يفتكُ بجيش العدو بالطعنات البِكْر وكل من يوالي
الأعداء .

وأمّا معاميلُ قهوتهِ وأدواتُها فرائحتُها فواحةٌ خاصة
المهيل ، تستدرجُ الأضياف ، وصوتُ جرنِ قهوته - المهباش
أو المهباج - فيوقظُ النيّامَ ويُنبّهُ عابري السبيل والمعتفين
من طالبي المعروف .

لذلك كان الجميعُ يُلبُّون طلباته ، وسفراءَ لدى
الآخرين ينقلون محامدَه وخصالَه بين العشائر والقبائل .
أمّا اذا ما دعا الداعي واشتدتِ الأزماتُ فقد كُنّا نلقاه أمامنا
يردّ الزحوف .

وللأسف، فاليوم خرَّ النسرُ من علياته، ولا نسمعُ إلاّ صوتَ الناعي يُناديه، فيتفجَّعُ الجميعُ لهذا الناعي، ويجلُّ الخطبُ، وتفدَحُ المصيبةُ، فقد ثوى عضيدُهم في ساحته.

والذي يُحزنني ويؤرِّقُني بعد كل ذلك ويضعني لقمةً في شدقِ الأوجاع أنني ما عدتُ أرى نجومَ السماء ترعاه وتهتدي بمنازله.

ويوغلُ الشاعر في التفجُّع، ويتساءل تساؤلاً إنكاريًا، إذ كيفَ تروعُ عيونُ هذا القَدَرِ الغاشم وتتخطَّف هذا الرجل العظيم من بين دون المخاليق، أنسيتُ ندهاته وبخواته الصادقة، فمن لنا بعده ؟!.

فيا أيها النسرُ القَشْعمي. ويا صاحبَ الرأي النقيِّ السديد، ويا قمرًا كان يُضيءُ سماءَ اللجاة، ومن أجل ذلك يعمُّ الحزنُ على جميع الناس وتبكي حتى صخورُ اللجاةِ وحجارتُها يا أيها البيرقُ الذي كُنّا نحتمي به ونستظلُّ به.

النص:

يا يَنْ وَلْفِي خَفِيفِ المَهَارَهْ
وَالسمْت عِندك نِجمةَ الصُبْح خَلِّيهْ
نَحِّوْ بيوتٍ محَصَّناتٍ اسوارَهْ
وخُذْلي كْتابي ولْلأَجاويدْ ودِّيهْ

سالِ الدَّمع مِن فوق خَدِّي بغزارَهْ
وِيذْرِفْ على نجم هوى مِن عَلاليهْ
ياحيفَ أبو ناصِيف فِقْدَه خسارَهْ
ياحَسْرتي عَنْرَه الليالي تْعادِيهْ
هاجَ الوَجِدْ والقَلَم عَلْطِرْس سارَهْ
والحِبرْ مِن جَمْرَ المحاجِرْ سَواقيهْ
ياضِيغَمي بِدْيارنا ... والمنارَهْ
ياواحَةً فوّاحةً بِيبَوادِيهْ
والطّيبْ عندَكْ زاخِراةٍ بْحارَهْ
والكَرَمْ زايِدْ طافحًا بِيخَوابيهْ
ليًّا وفيًا نادرًا باعْتِذارَهْ
وطَعّامْ بِسنين المشّحَهْ مَواشيهْ
وثّابْ يِجمعْ بين طيب وجَسارَهْ
نَطّاحْ جَمْعًا كاسراتًا لَوابيهْ
طَقّ البنادِقْ يامَخاليقْ كارَهْ
ولِلحَقّ دومًا ثابتاً مواطيهْ
زِينْ ومهابالعُونْ وإنْ صار غارَهْ
هَتّاكْ جيشْ المعتَدي والمِوالِيهْ

عِندَهْ اذ لا لاَ فايْحاتاً بهَارَهْ

والفجْرُ يصبِحْ عازْماتاً حَداديَهْ

كل واحدٍ لَكْ بيصميمَه سَفارَهْ

وإذنْحطَّتِ اللزَّاتِ كِنَّا نْلاقيهْ

ياحيفْ نِسْرٍ كيفْ للخنيرْطارْ ؟!

واليوم نسمَعْ نادْباتاً حَواليهْ

جِتْنَاعلومًا مفجّعاتًا اخبارَهْ

وقالواجَملْنا بارْكًا بيمراعيهْ

وَالِّي شَجَانِيْ وهَدّجسمي بحرارَهْ

ماعادَأشوفْ سهيلْ نجماً وراعيهْ

كيفْ القَدَرْ ياناس زاغتْ بصارَهْ ؟

وكيفْ اصطفَى هَلِّي صادقاتٍ نخاويهْ ؟

ياقَشْعَمي والصافياتِ افْكارَهْ

يابَدْرٍ من فوق اللّجاء الرّبْ ضاويهْ

تِبكي عليكْ صْخُورها وَالحْجارَهْ

ياالبيرَقَ اللّي كلّنا نِحْتَمي فِيهْ

هاجس العيارة

- ٧ -

الشـــاعر

محمد الغصين

١ - جاءني من البادودي رسالة

للشاعر: محمد الغضيين

إضاءة على النص:

على أثر رسالة بعثها الشاعر محمود مفلح الزعبي إلى صديقه الشاعر محمد الغضيين، يكتب هذا الأخير قصيدة يبعث بها إليه، يذكر فيها مضمون الرسالة وما حملته له من أخبار تسرّ الخاطر عن صديقه الذي يقتحم المخاطر «محمود أبو منصور» متمنيًا دوام وجوده، وقد رحّب بقدوم هذه الرسالة وحيّى ما بها من المعاني الجميلة والرموز العذبة والأشعار لأنها أسعدته وكان قد ومها فالأحسنا عليه.

وإنه ليحمد الله تعالى على سلامة صديقه، وحسن أحواله فهو يستحق ذلك لأنه صاحب الشهامة وراعيها والمطعم الكاسي للضيف والجار.

إنها رسالة متّزنة مقنعة صافية كالدرر، عبرت بوضوح عمّا في ضمير صاحبها من أسرار خافية، إلا على أصدقائه الودودين. ففهمت مضمونها وأعجبت بها، فتلوتها عدّة مرات أتملّى معانيها ... فقد اكتشفت أن أبا منصور مشغول البال مبلبل الأفكار إثر ابتعاد حبيبته، وتبديلها الدار بديار أخرى. وإنها لتستحق أن يشقى المرء لبعادها، فهي بارعة الجمال بقدّها الأهيف، وعيونها التي تضاهي عيون عنود من الظباء ترتعي رياض الأزهار .. أفنجد القرب والوصل

والحبّ والصفو، يحلّ الفراقُ والضني، والبعدُ والجفاء؟
فلا غرابة إذنْ إذا جرّه ذلك إلى السهْدِ والسهر،
يُعاني ألمَ البعدِ وأوصابَ الحبّ ويصبحُ عليلاً لتذكره مهضومة
الكشحِ رقيقةَ الخصْرِ مليئةَ السّوارِ.

فهو إذن لَنْ يلومَ قلبَ صديقه على ماحلَّ به، فهذه
حالُ المحبين على كرِّ الزمان، وإنَّهُ لَيقسمُ أنَّ حبَّ كلِ الجميلات
غلاّبٌ وقهّار. من أجل ذلك يدعو بالويلِ والثبورِ وعظائمِ
الأمور على أولئكَ الذين سَعُوا بالفرقةِ مابينَ صديقه ومحبوبته
وبدَّلوا صفاءَ العيش بالنكدِ، وهدوء البال بالأكدار.

ثم ينتقلُ بالحديثِ إلى خِطاب صديقه مُباشرةً، ويُناديه
باسمه طالباً منه أن لا ييأسَ وأنْ يظلَّ صبّاراً على الشدائد،
فاليأس آفةٌ يا أخي لاتليقُ بكَ. ولابدّ من أن تنالَ
مُرادَكَ، وتنصفكَ يدُ العدالة الإلهية، ولابدَّ لرياضكَ
أن تُزهرَ من جديد وتحييها الأمطار.

ويُؤكّدُ له أن ساعةَ الفرحِ بالوصل آتيةٌ لاريبَ فيها،
وأنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى قادرٌ على أن يجمعَ الشتيتيْن،
ويوحِّدَ الشملَ بأمره جلَّ وعلا.

ثم يحاولُ أن يُعزِّيَه ويخفِّفَ عنه مصيبتَه وما يثقله
من هموم، فيناديه بكلمةٍ محبَّبةٍ في صيغة تصغيرها من
الحميمية مايُقرّبُ المسافة بينهما، فيقول له: إنَّ عشقَ
الجميلات ومطاردةَ البيض الحسان صعبٌ ومحفوفٌ بالمخاطر
ولهنَّ معنا حكايات تطولُ لها أوّلٌ وليس لها آخر، تطول
وتقصرُ، فتحلُ دلالهُنَّ وغنجَهُنَّ واعتلالهُنَّ بالعلل

الكثيرة والأسباب الواهية، وعلينا أنْ نرضى بحكمهنَّ علينا حتى وإن جُرْنَ في أحكامهنَّ.. فحبُّ البيض الحِسان قدرٌ علينا لا مفرَّ منه، وحياةٌ لنفوسنا لا بدَّ منها، ورأس مالنا في هذه الدنيا أن نحبَّ وأن نعشقَ وأن نموتَ عشقاً. فالحياةُ بدونهن لا تستحقُّ أن تُعاش، لأنها عندئذٍ شقاءٌ وغبنٌ وأوزارٌ، لا تُحتَمل ولا تُطاق.

ويختم قصيدته بسم ربّه الواحد القهّار الذي يُسيِّرُ المخاليق حسب رغبته، ويحميهم ويُقيهم بعنايته.

النص:

اليومْ جَاني من اليَادو وَدَه رِسالَهْ
بطيَّاتْها تِحمل تَباشِيرْ وِخبارْ
مِيتٍ هَلا بِقْدومها وحَيّْ فَالَهْ
وحَيِّ ارموزَه وَالمعاني وَلاشْعارْ
من الصَّاحبَ اللّي ما عَدِمْنا خَيالَه
محمودْ أبو منصورْ دَوّاس لِخْطارْ
الحَمدْ للّهْ على سلامِتْ احْوالَهْ
راعي الشهامَهْ مِكسيَ الضيفْ وَالجارْ
رسالةٍ كالدُّرْ صافي مَقالَهْ
وَضَّحْ بَها خافي ظَميرَهْ وَالسرارْ

وفهمت أنا مظمونها من خلاله
وقريتها ودرستها عدة امرار
وجدت أبو منصور مشغول باله
عند الحبيب اللي بدّل الدار بديار
خطو الهنوف البارعه في جماله
عين العنود اللي تقطف بلون هار
بعد التلاقي والصفا والزماله
حل الفراق وبدل الوصل بنكار
وصبح من الفرقة يساهر ليا له
طرح حب مدملج الخصر وسوار
مالوم أنا قلبه على ماجرى له
عاذ متي عشق الغنادير قهار
ياعل من صار السبب بار بحاله
يجازيه ربي عن صفا العيش بكدار
محمود لا تيأس ترا الياس عاله
خلك على الشدات ياخوي صبار
لابد ماتنصفك يد العداله
ولابد زهر الروض تحييها امطار

ولا بُدّ ماتفرح بساعة اوصاله
ويأمر بجمع الشمل كتاب المقدار
ياخوي طرد البيض صعبن مناله
وقالا تهن معنا طويلات وقصار
تبقا تحمل غنجهن واعتلاله
ونرضى بحكم المزايين لو جار
البيض حياة انفوسنا وراس ماله
وحياتنا من دونهن غبن وفزار
واختم كلامي بسم راعي الجلاله
الواحد اللي دوم للعبد ستار

محمد الغصين

الفهرس

الباب الأول

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

صدر للمؤلف

- في مجالات الدراسات والبحوث:

١- دراسة عن المتنبي - جامعة دمشق ١٩٦٧

٢- دراسة عن البحتري - جامعة دمشق ١٩٦٨

٣- دراسة عن الجاحظ - جامعة دمشق ١٩٦٨

٤- دراسة عن أبي نواس - جامعة دمشق ١٩٦٩

٥- قبس من شهاب جبران - بيروت ١٩٧٠.

٦- رحلة شوق مع نزار قباني - بيروت ١٩٧٧ الطبعة الأولى.

٧- شعراء الغزل في المملكة العربية السعودية، تتضمن دراسة لفن الغزل عند خمسة وأربعين شاعراً وشاعرة في فن الغزل. دمشق ١٩٨١.

٨- قلائد الجمان، وفرائد الزمان، في طرائف الأدب ونوادره. دمشق دار الكتاب العربي ١٩٩٥. الجزء الأول

٩- أخطار المراهقة - دمشق دار الكتاب العربي ١٩٩٤

١١- طرائف أبي نواس ونوادره - دمشق دار الكتاب العربي ١٩٩٤

١٢- ملوك العرب الشعراء أربعة أجزاء - دمشق دار الكتاب العربي ١٩٩٥

١٣- في رحاب الفكر والأدب دراسات نقدية لمجموعة من الشعراء والأدباء

الصادر عن اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٦

١٤- الشعر المنجلي في حوران شعراء ونماذج دمشق دار حوران ١٩٩٦

ب- في مجال المسرح :

١- تحليل لمسرحية غادة آفاميا - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٦

٢- تحليل لمسرحية دير ياسين - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٨

٣- تحليل لمسرحية مأساة الحلاج - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٩

٤- تحليل لمسرحية الأقنعة - دمشق ١٩٨٠.

جـ- في مجال التحقيق :

١- ومضات في ديوان العواد، تحقيق وشروح لثلاثة دواوين هي : «آماس وأطلاس، البراعم أو بقايا الأماس، نحو كيان جديد» للشاعر محمد حسن عواد - دمشق ١٩٧٩.

٢- مع الأنغام المضيئه، تحقيق وشرح لديوان الأنغام المضيئة للشاعر محمد أحمد العقيلي - دمشق ١٩٨٠.

د- في المجال العلمي :

١- تربية الدواجن، أحدث طرق تربية الفروج والبياض، حضانتها وتغذيتها، وأمراض التغذية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.

٢- المرجع في أمراض الدواجن، تشخيصها ومعالجتها والوقاية منها، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢.

٣- الأمراض الباطنية عند حيوانات المزرعة، تشخيصها ومعالجتها

والوقاية منها دار الكتاب العربي - دمشق ١٩٨٣

٤- الأمراض المشتركة السارية بين الإنسان والحيوان، تشخيصها ومعالجتها - دمشق والقاهرة ١٩٨٨ و١٩٩٥

٥- مملكة نحل العسل ومنتجاتها، وأمراض النحل تشخيصها ومعالجتها دار الكتاب العربي - دمشق والقاهرة، ثلاث طبعات

هـ- تحت الطباعة:

١- طرفة ابن العبد، حياته وشعره.

٢- رواية شعرية بعد الوداع، دار الكتاب العربي.

٣- النابغة الذبياني وفنونه الشعرية

٤- ديوان أبو العتاهية، حياته وشعره

٥- ديوان صفي الدين الحلي، حياته وشعره

٦- جميل بثينة حياته وشعره.

الشعر في هذا الكتاب

إذا قرأنا هذا الشعر نحسُّ للوهلة الأولى بجسوته وقسوته «وقد ننكر منه بعض ألفاظه التي لا نألفها.. غير أننا لا نكاد نجاوز عدم الإلف هذا، ولا نكاد نخلّي بيننا وبين حاضرنا الذي نعيش فيه، ولا نكاد نخالط شعراءه ونتعرّف إلى ألفاظهم ومعانيهم.. لا نكاد نفعل ذلك حتى يبدو لنا هذا الشعر جميلاً يجتذبنا إليه بعد أن كنا ننفر منه، ونقترب إليه بعد أن كنا نبتعد عنه.. ونحس أن النفوس التي صدر عنها نفوس رقيقة دقيقة تمتلك قدراً غير يسير من رهافة الإحساس وجمال الطبع، كما تمتلك مثل هذه القدرة في حسن البيان وجمال الأداء».



دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق ص . ب 32105

اشرفية صحنايا هـ : 6711353

السعر ٥٠٠ ل.س